

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

بَلُوتْشِسْتَان

فصول علمية في البيئة والسكان والتاريخ

منذ أول التاريخ حتى الغزو المغولي



د. سعد بن سعيد الحميدي

بلوشستان

فصول علمية في الهيئة والسكان والتاريخ
منذ أول التاريخ حتى الغزو المغولي

د. سعد بن سعيد الحميدي

دكتوراه في الفلسفة، جامعة مانتشستر

أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الملك خالد بأبها

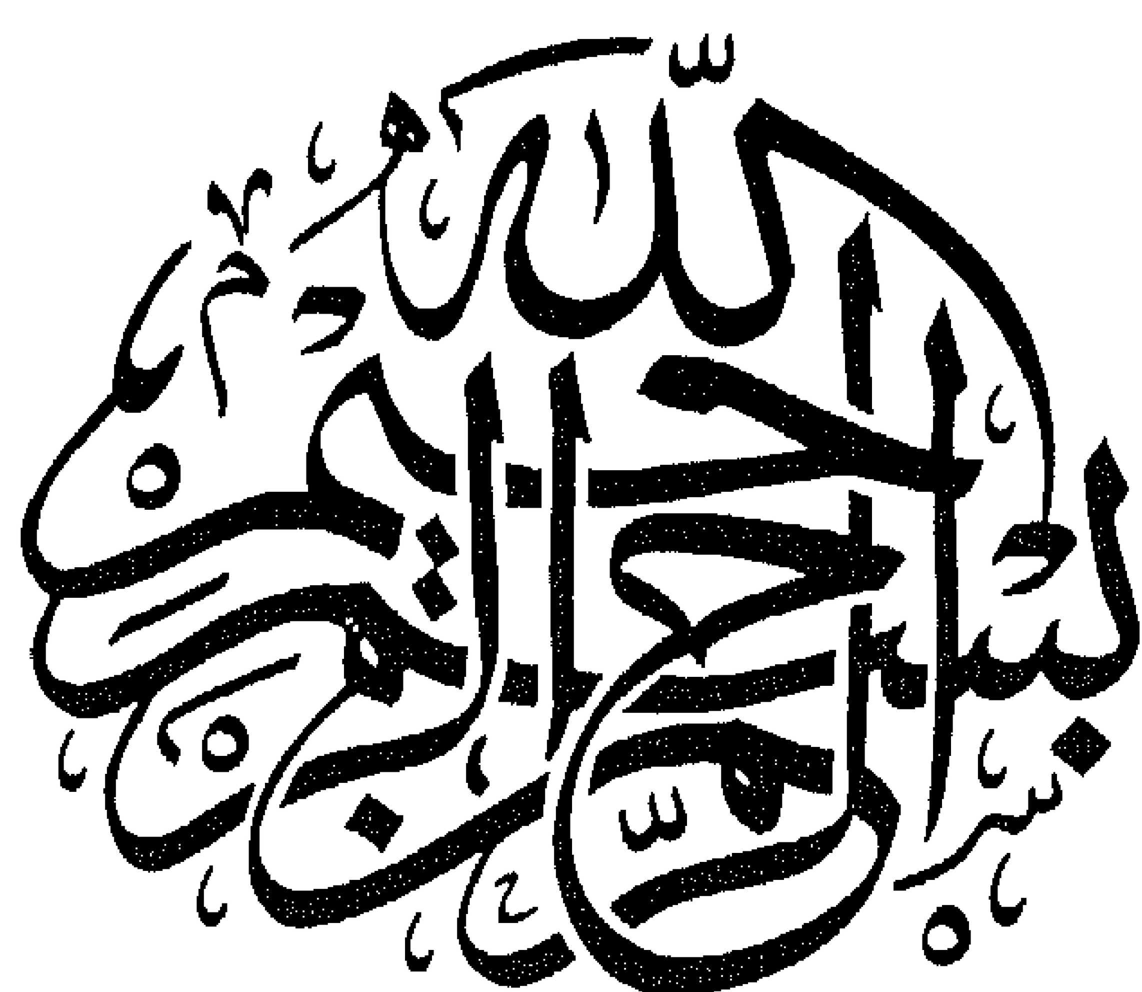
ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الحميدي، سعد بن سعيد
بلوتشستان... فصول علمية في الهيئة والسكان والتاريخ. /
سعد بن سعيد الحميدي .ـ الرياض، ١٤٣١هـ.
٣٥٧ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٦-١٧-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ بلوتشستان ـ جغرافيا ٢ـ بلوتشستان ـ تاريخ
أ ـ العنوان
ديوي ٩١٥,٤٩١٥ ١٤٣١/٥٨٩٥

رقم الإيداع: ١٤٣١/٥٨٩٥
ردمك: ٦-١٧-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث لقسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة الملكة فكتوريا بمانتشستر سنة ١٩٨٨م، وكان عنوانها:
Makran and Baluchistan from Islamic conqusts down to the mongolinvasion

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية



المحتويـــات

شكر وتقدير

يتوجه الباحث بعظيم الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي أمده بعونه وقواه على تحمل عبء العمل ومشقته. ويجد الباحث نفسه ممتناً لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية لتهيئة هذه الفرصة الغالية ودعم الباحث حتى تمكن من إنجاز هذا العمل.

والشكر موصول للأستاذ المشرف على هذه الرسالة وهو المستشرق الذائع الصيت الأستاذ الدكتور كليفورد إدموند بوزورث الذي كان لمتابعته وتشجيعه وتعاونه الأثر البالغ في مسيرة الإنجاز.

ويجد الباحث نفسه مديناً لزوجته وأم أولاده فاطمة بنت محمد بن مسفر القحطاني التي وفرت له الكثير من الدعم النفسي والاستقرار العائلي من خلال مشاعرها النبيلة وأصالة عرقها.

ولا ينسى الباحث نبل إخوانه وأصدقائه من قبيلة البلوتش ويأتي في مقدمة الجميع زميله الدكتور إبراهيم بن عطاء الله المحمد حسني البلوتشي الذي قدمه إلى العديد من الشخصيات والمشائخ والزعماء البلوتشيين في رحلته إلى بلوتشستان وشجعه على إخراج هذا العمل في النهاية، ويمتد الشكر إلى الإخوة حاج عبدالقدوس باديني من زعماء قبيلة "محمد حسني"، وسردار فتح محمد حسني، والسيد بشير أحمد بلوتش والدكتور نعمة الله كَشكي العالم الفاضل وزعيم قبيلة الكَشكيين، والعالم البلوتشي الأستاذ محمد سردار خان كَشكوري، والشيخ عبدالغفور بن عبدالمجيد بلوتش. زعيم الشاهدارزاي، وغيرهم من المثقفين والأدباء الذين قابلتهم في " قويطة " وفي جامعة بلوتشستان.

وكذلك يقدم الباحث شكره وتقديره العميقين لزميله الأستاذ الدكتور ظفر الإسلام خان بن الشيخ وحيد الدين خان العالم والمفكر الهندي المعروف الذي

ترجم له نصوصاً عديدة من الأردية إلى العربية حقاً إنه جدير بالفضل والاحترام.

ويذكر الباحث فضل القائمين والعاملين في مكتبة جون رايلاند جامعة مانتشستر وفي مقدمتهم الدكتور ديفيد بريدي لحسن تعاونهم. وأشكر الآخرين من الفضلاء الذين قدموا لي أدنى مساعدة ممن لم يتسع المقام لذكرهم.

مقدمة

ما من دولة عظمى في عصرنا الحديث إلا واهتمت اهتماماً بالغاً بمنطقة بلوتشستان نظراً لوقوعها على الطريق التاريخي الذي يربط بين أوروبا والشرق الأدنى والأوسط من جهة وبين الهند وبلاد الشرق من جهة أخرى، وقد أولت حكومة بريطانيا العظمى بلوتشستان اهتماماً خاصاً، إذ اعتبرتها الجسر الرئيس لربط مصالحها بمستعمراتها في الشرق الأوسط وخليج فارس وشبه القارة الهندية ـ التي كانت تعرف بـ (جوهرة التاج البريطاني) ـ، ونتيجة لتلك الأهمية فلم تكتف بريطانيا العظمى بالتدخل المباشر في شؤون بلوتشستان فقط، بل عملت على استنباط وإيجاد تواريخ ونظم جديدة للدول المجاورة لها، ومن أمثلة ذلك مشروع التلغراف الهندو ـ الأوروبي (محطات التلغراف البريطانية التي انتشرت على طول الشريط الساحلي تحت رعاية الحكومة البريطانية)(١)، وباستخدام أنظمة كهذه واحتلال ما يعرف اليوم ببلوتشستان الباكستانية، ومن ثم إرساء علاقات وطيدة ومتينة مع حكومات أفغانستان وإيران، تمكنت بريطانيا آنذاك من كبح جماح القوة الروسية الآتية من الشمال والمهددة لمصالحها(٢).

وفي المقابل جهد الروس دون كلل من أجل اغتنام أية فرصة توصلهم إلى موانئ المياه الدافئة القابعة على بعد مئات الأميال باتجاه الجنوب، واستمرت رغبة روسيا حينها جامحة لا تهدأ كانت خلالها الخصم الرئيس المنافس لإنكلترا في تلك المنطقة على مدى قرن امتد حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية(٣).

---

(1) GPGOCA VOL-II, p. 915, 923.

(2) H.W Bellew, Afghanistan and the Afghans, repr. (Lahore, 1979) . p.8 ff. T.H. Holdich . The Gates of Indian (London , 1910) . p. 322.
P.M . Sykes. "Southern Peesia and Pakistan" Liverpool Geographical society Transactions (1902) p. 76.

(3) Syed Abd-Al-Quddus, Afghnistan and Pakistan , Geopolitical study (Lahore, 1982) p. 2.
Ralph. Magnus (ed) Afghan Alternatives (New Brunswick, 1985) p. 14 - 19.

بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت رغبة الاتحاد السوفييتي في المنطقة من أجل مصالحها مطلباً أكثر إلحاحاً من ذي قبل نتيجة للنمو السريع الذي شهده القطاع الصناعي ضمن الدول السوفييتية الواقعة في منطقة آسيا الوسطى، وقد أدى هذا المطلب إلى تبني الاتحاد السوفييتي فكرة الحاجة إلى إيجاد وسائل يحافظ من خلالها على أمنه ويحمي مصالحه ويؤمن موطئ قدم له يكون مدخله إلى شواطئ بحر العرب(١).

وترتب على ذلك أن شهدت العقود التالية قيام الاتحاد السوفييتي بتفعيل استراتيجية ووضعها موضع التنفيذ من خلال نشر الأيديولوجية الشيوعية في أفغانستان وبلوتشستان مثيرة الاضطراب والقلاقل بين السكان، إضافة إلى استنفاذ طاقات تلك البلاد باستخدام قواتها العسكرية في عمليات قتالية مستمرة، وما كانت تفعله في أفغانستان مثال على ذلك(٢).

أما الدول الإسلامية فبعضها اعتبر أن من أهم أولوياتها هي الحيلولة دون وقوع بلوتشستان في شرك المنظومة الشيوعية والعمل على إبقائها بعيدة عن أية أطماع إمبريالية قد تشكل حاجزاً فيما بعد، ويمنع التواصل بين غرب العالم الإسلامي وشرقه إذ أن هذا التواصل هو الحجر الأساس في إرساء قواعد العالم الإسلامي الموحد.

وبما أن الحاضر هو امتداد للماضي، وبما أن الإنسان لا يستطيع مطلقاً أن يدرك حاضره ما لم يطلّع على ماضيه فإن دراستنا هذه تطمح إلى مد جسر لم يوله المؤرخون اهتماماً كافياً، للوصول إلى تاريخ منطقة بلوتشستان إبان القرون الستة الأولى للإسلام، وتهدف إلى لم شتات المعلومات التاريخية المتناثرة عن الموضوع عبر مساحة زمنية ومكانية شاسعة.

---

(1) Sayed Abd-Al-Quddus, Op.cit. p. 3.

(٢) كان الكاتب شاهد عيان على تلك الظاهرة خلال رحلته إلى بلوتشستان أواخر صيف ١٩٨٧م.

أضف إلى ذلك أن بلوتشستان كان لها دور مهم وملموس خلال أزمنة عدم الاستقرار التي سبقت الفتح الإسلامي، إذ أنها لم تكن مجرد بوابة عبرها أوائل المسلمين حين بدأو بنشر الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية في الشرق في فترة العصور الوسطى، بل كانت محطة انطلاق للهجرات البشرية المستمرة من الهند وإليها على مر التاريخ وقد تشكلت هذه الهجرات البشرية من شعوب قوامها الدرافيديون وشعوب بلاد الرافدين، والفرس، والإغريق، وصولاً إلى العرب في العصور الوسطى. وقد شغلت هذه المنطقة بأقوام اتخذت اسمها من اسمهم أولئك هم البلوتش أو البلوتشيون.

وقد برزت جماعات البلوتشيين جنباً إلى جنب مع جماعات القفص أو القفصيّين خلال المرحلة الأولى للفتح الإسلامي في العقود الأولى من القرن السابع الميلادي أو ربما كانت قد سبقت ذلك والتقت هذه الشعوب مع بعضها البعض أول ما التقت في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية المجاورة لبلدة "جيرُفت" الواقعة في النصف الجنوبي لإقليم "كِرمان"، وفيما بعد وتحديداً في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ذكر أنهم يعيشون في منطقة قد تكون شمال غرب "دِزَك"(١).

وما من شك أن هذه الأقوام قد اضطلعت بدور هام في تاريخ المنطقة سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، وفي الوقت ذاته تأثروا بالقوى الإسلامية الأخرى التي تواجدت في "كِرْمَان" و"مَكُّران" وبعض الأقاليم المجاورة، وفي بعض الأحيان كان ينظر إليهم على أنهم أناس طيبون ومسالمون ولكن في معظم الأحيان وصفوا بالمجرمين القساة الذين كانوا يكمنون على طول الطرق التجارية يثيرون الرعب وينهبون القوافل العابرة دون استثناء، وليس من المعلوم إن كانت هذه الصفة قد لازمتهم معظم الوقت نتيجة لتهورهم وجهلهم، حيث ارتأوا اتخاذ أسلوب الرعب

(1) Ibin Khurda ahbah Dhabah, al Masalik wa'l Mamalik , ed M.J. De Goeje, 2nd ed .
(Leiden 1967). وانظر ما سيأتي في الفصول التالية

والنهب للتعبير عن حاجتهم للمساعدة من قبل المجتمعات المجاورة أو القوى الرئيسة التي كانت تهيمن على المنطقة، وبهذا الأسلوب ظنوا أنهم قادرون على لفت الأنظار إليهم من أجل إجراء إصلاحات جذرية لتحسين وسائل عيشهم، أو أنهم بأسلوب كهذا يعبرون عن مدى سخطهم وعدم رضاهم عن الإدارة السياسية المفروضة عليهم.

وقد يكون السبب أيضاً هو أن هذه الأقوام هي بأي حال من الأحوال متمردة بطبيعتها ولا يمكن لأية قوانين أو أنظمة إيقافها عند حد، وسنحاول في دراستنا هذه أن نجيب على تساؤلات كهذه وعلى كل ما يتعلق بها.

من جانب آخر، تهتم هذه الدراسة بتتبع وتوضيح أصل هذه الشعوب التي قيل عنها الكثير، فمن المعلومات المستقاة من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين العرب نوقن أن هذه الجماعات كانت تقيم في مستوطنات كثيرة العدد انتشرت في مناطق مكران وقيقان أو قيقانان، وطوران، وقُصدار، وقَنْدَابيل، مما يطلق عليه اليوم اسم بلوتشستان.

وقد ذكرت سجلات الرحالة المسلمين الأوائل أسماء مواقع كثيرة لكننا نجهل أماكن بعضها فقد ضاعت هويتها واندثرت معالمها، وما نستطيع أن نقوله هنا هو إنه كان للإسلام في تلك المنطقة تاريخ طويل وحافل مع أنه لم يكتب أو يروى أو يجمع بشكل دقيق ومتأن. وكما أننا نستطيع القول أن ملامح وسمات المنطقة كان لها الأثر الواضح في نشاط الإنسان وتفاعله مع التاريخ والطبيعة. تحاول هذه الدراسة بعون الله عز وجل، أن تجيب عن كل التساؤلات ولعلها تلقي ضوءاً جديداً على تاريخ البلاد والسكان موضع الدراسة.

ولا بد أن أذكر هنا مدى الصعوبات وكثرة العقبات التي أعاقت سيري وأنهكت قواي خلال إبحاري في خضم هذا العمل فندرة المعلومات كانت سبباً من أسباب قلقي المتواصل وتوقي الدائم للمزيد، فكان عليّ أن أبحث بتأن ودون كلل

بين طيات الكم الهائل لأعمال العرب الأوائل التاريخية والجغرافية والرسائل الخاصة والعامة علني أهتدي من خلالها إلى معلومة قد تفيدني في السير قدماً بهذا العمل. وهكذا بذلت أقصى جهدي وعانيت الكثير في كل خطوة خطوتها حتى كاد اليأس يثني عزيمتي فكم من مرة وصلت إلى أن إنجاز عمل كهذا من ضروب المستحيل إلا أنني وبفضل الله عز وجل، كنت أنتعش من جديد حالماً أجد معلومة أو أكثر في مصدر من المصادر، ولكي أكون منصفاً مع نفسي أود أن أقول أن ندرة المعلومات حدتني لأن أوسع الدراسة زماناً ومكاناً فالخطة المبدئية كانت تقتصر على الحديث عن مكران وحدها خلال العصور الإسلامية فقط ولكن حالما تبينت أن المعلومات المتعلقة بذلك المكان وذلك الزمان قليلة وغير كافية اضطررت أن أعيد النظر في المشروع فتقرر توسعته ليشمل بلاد البلوتش أجمع وتاريخها منذ بدء التاريخ إلى فترة الغزو المغولي.

وبقدر أهمية المصادر الإسلامية لما لها علاقة في موضوع الدراسة، فإن المصادر المفصلة والدقيقة التي تنفرد بتناول تاريخ مكران أو أي جزء آخر من بلوتشستان تعد قليلة ونادرة، إلا أن بعض المصادر العربية تناولت تاريخ الإسلام في السند والهند علماً أن كلمة السند امتدت لتشمل بلوتشستان ومكران كان في إيران وباكستان حتى أن قندهار اعتبرت من وجهة نظر المسلمين العرب من ضمن إقليم السند.

ونستطيع أن نقسم هذه المصادر إلى مجموعتين : المجموعة الأولى تتضمن كتب التاريخ العامة، والمجموعة الثانية تتضمن كتب التاريخ المتخصصة، ومن بين كتب المجموعة الأولى نذكر تاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، وتجارب الأُمم لابن مسكويه، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وطبقات الناصري إلى آخره. وهذه المصادر لا تزودنا إلا بمعلومات عامة عن الأحداث المختلفة والمعلومات المحدودة عن حوادث معينة، وقد كان لهذه المصادر

دورٌ هام في هذه الدراسة باعتبارها المصادر الأولية، وأما فيما يتعلق بالكتب المتخصصة فيقال بأن الواقدي قد ألف كتاباً أسماه أخبار فتوح السند. ولكنه لم يصل إلينا بذاته وإنما وصلنا أجزاء منه عبر وسائط أخرى.

ونجد الإشارة إلى ذلك لدى القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه "الذخائر والتحف"، وأما إن كان هذا العمل مستقلاً أو مرتبطاً بعمل آخر فهذا ما لم يذكره أحد. وأهم من ذلك ما ألفه أبو الحسن علي بن محمد المدائني؛ إذ يقال بأنه ألف ثلاثة كتب جمع فيها الكثير من المعلومات، وهي: كتاب ثغور الهند، وكتاب عمال الهند، وكتاب فتح مكران، ومن المعترف به أن هذا المؤلف كان من أعلم الناس وأدراهم في تاريخ وشؤون خراسان وفارس والهند، ولسوء الحظ لم يصلنا أي من هذه الأعمال فقد ضاعت واندثرت على مر القرون باستثناء شذرات من المعلومات والأخبار التي استشهد بها المؤرخون والجغرافيون المسلمون في أعمالهم لاحقاً.

إضافة لذلك هناك بعض الأعمال التي تناولت أخبار الفتوح الإسلامية وغالباً ما احتوت فصلاً أو نحوه، كرس للحديث عن منطقة معينة من مناطق الدولة الإسلامية، ومن أمثلة هذه الأعمال كتاب فتوح البلدان للبلاذري حيث كرس قسماً منه للحديث عن فتح بلاد السند بما فيها بلوتشستان، وما زال هذا العمل يعد من أهم الأعمال المرجعية التي يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها حين تناول موضوع السند وبلوتشستان في المراحل الأولى للإسلام.

ومن ضمن الأعمال المتخصصة ضمن هذه العمومية نجد نصاً فارسياً بعنوان فتح السند، وتكمن أهمية هذا النص في كونه ترجمة عن أصل عربي ضائع يعتقد القاضي أطهر أن أحد أجداد القاضي إسماعيل بن علي الثقفي السندي قد ألفه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ويتناول فيه تاريخ السند وحملات المسلمين وفتوحاتهم.

وكان علي بن حميد بن أبي بكر الكوفي قد عثر في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) على هذه المجلدات وقام بترجمة الجزء الذي يتحدث عن تاريخ السند حتى أيام محمد القاسم إلى الفارسية، وبرأي الدكتور نبي بخش خان البلوشي فإن علياً بن حميد الكوفي لم يذكر في ترجمته عنوان الكتاب الأصلي ولا اسم مؤلفه، وحظي هذا العمل بأهمية كبيرة لتغطيته الأحداث التي رافقت الفتوحات العربية لمنطقة بلوتشستان والسند بإسهاب وتفصيل ابتداءً من السنين الأولى للفتح الإسلامي، وهذا ما كانت تفتقر إليه المصادر الأخرى. ومن ناحية أخرى فإن هذا العمل يختلف كثيراً عن الأعمال العربية الأخرى لما يحتويه من معلومات نقلت عن مصادر متعددة ووصفاً للتقاليد والعادات السائدة آنذاك، وعلاوة على ذلك يتضمن هذا العمل معلومات تاريخية عن مكران وبلوتشستان والسند قبيل الفتح الإسلامي فقد أكد هذا العمل أن الديانة البوذية كانت الديانة السائدة في السند في القرن السابع الميلادي، ويرى ميرزا كالشبيغ فريدون بغ: "أن أكثر القرارات التي ذكرت في هذا الكتاب لفتاً للنظر كان قرار الحجاج الذي أمر فيه محمد قاسم بأن لا يتدخل في شؤون العامة عندما يمارسون طقوس ديانتهم" وفيما بعد أصبح هذا القرار وثيقة رسمية وتشريعية يعامل الوثنيون بموجبها معاملة أهل الكتاب(١).

اكتسبت رحلتي إلى بلوتشستان في أواخر صيف ١٩٨٧م أهمية بالغة لأنها منحت دراستي صفة مصدرية وأعطتها روح الأصالة، كما أنها ساعدتني على الاقتراب أكثر ميدانياً وعملياً من موضوع الدراسة، فطورت مداركي الشخصية ووسعت آفاق معرفتي للبلاد والسكان، فاستطعت فيما بعد أن أقارن ما تعلمته مسبقاً من المصادر بما جمعته ميدانياً من المعلومات، وقبل أن أصل إلى قويطة (Quetta) العاصمة الإقليمية لبلوتشستان كنت قد أعددت قائمة طويلة من

(١) فتح السند. Chachnamah, p.Iv.

الأسئلة وخططت للتجوال في البلاد قدر المستطاع علّني أقابل أكبر عدد من السكان ولكن نظراً لضيق الوقت ولظروف أخرى خارجة عن إرادة الباحث كان عليّ أن أعدل خطتي، فقد أمضيت في قويطة وحدها معظم وقتي أقابل فيها أناساً ذوي شأن أستفسر عن أسئلتي وأتعلم منهم، فقابلت الحاج عبدالقدوس باديني الذي أظهر حسن الضيافة والكرم، فقد قدم خدماته بسعة صدر وأصر على إقامتي في بيته طيلة مكثي في قويطة إلا أنني كنت مجبراً على عدم تلبية دعوته. اصطحبني إلى سردار فتح، وهو وجه من وجوه عشيرة محمد الحسني. كان هذا الرجل حسب ما قيل لي : وزيراً عاماً لمكتب الاتصالات في باكستان. استقبلني بحفاوة ولكن بسبب انشغاله رشح لي مساعده السيد "شاشار" الذي كان يشغل منصباً رفيعاً في شرطة قويطة. بعدها سمح لي بالبحث في مكتبته الخاصة إلا أنني لم أجد أكثر مما وجدته من قبل. وفي غضون ذلك اشتريت عدداً لا بأس به من الكتب التي ارتأيتها مفيدة للدراسة ويتعذر وجودها في مكان آخر. وباختصار شديد، فقد زرت العديد من ذوي الشأن العلمي والأكاديمي في أقسام جامعة بلوتشستان وفي الأكاديمية البلوشية، كما أتيحت لي الفرصة لزيارة مدينة "لاهور" فقابلت هناك بعض الوجهاء، وقد دونت رحلتي في كتاب عنوانه الرحلة الباكستانية.

قسمت هذه الدراسة إلى ستة فصول: يعد الفصل الأول بمثابة تمهيد يتزود فيه القارئ بمعلومات جغرافية تتعلق بموضوع الدراسة، إذ يصف الأرض وتضاريس البلاد والبيئة والإمكانيات وسمات أخرى تربط بين المواقع التاريخية وبين أمكنتها الحقيقية في الوقت الراهن.

وعمدت في الفصل الثاني إلى إعطاء القارئ لمحة عامة عن تاريخ الإنسان ومستوطناته في بلوتشستان منذ مطلع التاريخ إلى قدوم الإسلام. وهكذا يشير هذا الفصل إلى "بلوتشستان ما قبل الإسلام" ومعظم المعلومات التي وردت فيه

اعتمدت فيها مباشرة على أشياء حسية مادية من المعثورات الأثرية ومواد أخرى ومن أبرزها أعمال بعثات التنقيب الإيطالية والبريطانية في بلوتشستان، ونشرت في بعض المجلات العلمية القيّمة كمجلة East and West التي تصدر في إيطاليا ومجلة Iran التي تصدرها الأكاديمية أو الجمعية البريطانية للدراسات الفارسية وتسمى "The British Instute for Persian - Studies" وغيرهما. وفي بعض الأحيان اعتمدت على المراجع التاريخية الحديثة ذات الأهمية الكبيرة، وقد أشرت إليها حسب ورودها في هذا الفصل.

ويحاول الفصل الثالث إجراء عملية مسح كاملة لشعوب بلوتشستان إبان العصور الوسطى من خلال دراسة تنوعها والخصائص التي تميزت بها، وكما أنه يعد توطئة للفصل الذي يليه وهو فصل " البلوتش " أكبر الفصول وأوسعها، ولقد قمت بدراسة وتفحص مجمل النظريات التي تكلمت عن أصل البلوتشيين ونشأتهم، فقد اختلفت هذه النظريات وتعددت الاحتمالات وبات السؤال هل ينحدرون من أصول كلدانية أم فارسية أم عربية؟ ومن أجل تقليل نسبة الاحتمالات تكلمت وتناقشت مع الشعوب التي تعيش وتقيم مع البلوتشيين في نفس المنطقة ويشابهونهم بسماتهم وخصائصهم وهم القفص أو القفصيّون والزط أو الجات والبدهة أو البوذيون والبراهويون وشعوب أخرى.

وتم تكريس الفصل الرابع للبحث في المواقع والمستوطنات الإسلامية، فقد ازدهرت كثير من البلدان والقرى خلال القرون الأولى للإسلام، وكانت الغاية من هذه الدراسات تحديد مواقع هذه الأمكنة وجمع المعلومات المتوفرة عن كل موقع ومقارنتها للحصول على صورة أوضح وأدق لكل منها.

والفصل الخامس يتكلم عن تاريخ مكران وبلوتشستان في عصور الخلافة الإسلامية، ويقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يتكلم عن الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد الخلفاء الراشدين وولاياتهم الذين أداروا شؤون مكران

وبلوتشستان، ويتكلم القسم الثاني عن البلاد في عهد الخلفاء الأمويين وولاتهم الحاكمين، أما القسم الثالث فيتكلم عن الخلافة العباسية بنفس الأسلوب الذي سبق.

أما الفصل السادس والأخير فقد كرس أيضاً للحديث عن تاريخ مكران وبلوتشستان أثناء حكم السلالات الإسلامية المتعاقبة من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حتى أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وقد قسمته تباعاً، فالقسم الأول يتحدث عن القوى الخارجية مثل الصفاريين والبويهيين والغزنويين.

ويذكر القسم الثاني الإمارات المحلية التي يعتقد أنها من أصول محلية تطورت محلياً خلال أزمنة معينة، أما القسم الثالث فناقشنا فيه تاريخ الأجزاء الشرقية من بلوتشستان وقصدار وقندابيل... وغيرها من المناطق.

وغنيٌّ عن القول بأن هذا البحث كان في الأصل رسالة دكتوراه قُدّمت إلى قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة مانتشستر بعنوان «مكران وبلوتشستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي» ولقيت ثناءً من المشرف على الرسالة الدكتور كليفورد إدموند بوزورث ومن لجنة المناقشة، وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة كارول هيلينبراد، من جامعة إدنبره. ثم رأى الباحث أهمية نشرها وشجعه على ذلك زميله د. إبراهيم عطاء الله البلوتشي. وها هي الآن تقدم للنشر لتكون في متناول الباحثين وطلاب العلم راجين بذلك أن تبلغ الهدف والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول
الوصف الجغرافي

الموقع:

لا بد لنا من الإشارة في بداية هذه الدراسة إلى أن كلمة بلوتشستان تشير إلى "بلاد القبائل البلوشية"(١) أي كل المنطقة التي تنتشر فيها السلالة البلوشية دون النظر إلى الحدود السياسية الحديثة. والحق يقال أن انقسام بلوتشستان أو بلاد البلوتش وعدم تمتعها باستقلال تام كانا سببين في صعوبة تحديد موقعها الجغرافي بدقة واستحالة إرساء حدود ثابتة لها. لذلك كانت وجهات نظر المؤلفين ومفاهيمهم متباينة ومختلفة خلال كتاباتهم عن بلوتشستان(٢) ولعل لونغوورث ديمز(٣) كان الوحيد الذي اقترب مما يبدو أنه الحقيقة عندما قال: "تشمل منطقة

---

(1) E.Mockler . "Ancient Geographers and the Mackran Coast," Jras , vol xi (1879) p. 148.
ساحل مكران عند الجغرافيين القدامى.

(2) Longworth Dames, art " Baluchistan, " Encyclopedia of Islam, 1st vol.I,. (Laiden 1908 - p. 34) .

(٣) ما من مختص وصف بلوتشستان إلا واختلف مع الآخرين بشأن حدودها يقول أ.هـ شيندلر، على سبيل المثال، أن حدود بلوتشستان في الغرب هي جبال نورماشير ورودبار. (مجلة الجمعية الأسيوية الملكية في بريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية). ويعتقد الجنرال غواد سميث أن حدود بلوتشستان تبدأ من خط الطول ٥٧ شرقاً (انظر = Emest A. Floyer, Uenxplored Balushi-stan : a survey with observations (Astronomical, Geographical, Botanical repr. (Quetta, 1977) p.7 .

أما السير تي اتش هولديش وحديثه عن اللغة البلوشية الغربية فيقول: " امتد استخدام اللغة البلوشية الغربية إلى أقصى الغرب حتى رأس الجاسك" June 1896 - (Geographical Journal, Vol. VII-January. p. 387.

ويبدو أن آي. غيرشفيتش الذي زار الباشكرد في أواخر الخمسينات من القرن العشرين قد جعل من الحدود أكثر وضوحاً في كتابته وهو يتبع الحدود الغربية لباشكرد: (يحد المنطقة من الغرب إقليم رودان، والشريط الساحلي المعروف باسم بيابان مأهول بالبلوتشيين.=

بلوتشستان القسم الذي يقع بين خطي الطول ٥٨ و ٧٨ شرقاً وخطي العرض ٢٥

= "مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لأواسط آسيا" (انظر النسخة الإنكليزية).
Journal of the Royal of The Central Asia Society , Vol. XIV (1959) p. 214 .
(وسنرمز لها من بعد الآن بـ CAS).
اعتمد هذا الوصف على اعتقاد وزعم السكان أنفسهم بأنهم من البلوتش وهذا ما أثبته وأيده ج.لورمير. في موسوعة الخليج الفارسي (Gazetteer of the persian Gulf VOL.11 (Cal- cutta,1908 p. 1131.f) وبعض المختصين الآخرين تناولوا بلوتشستان الباكستانية وقدروا الحدود الشمالية الشرقية للبلاد بشكل مختلف عما سبق. وتعطينا سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان (Baluchistan Districts Gazetteer Series) من الآن فصاعداً (BDGS). أكثر التعاريف دقة عن بلوتشستان. وهكذا نستدل منها أن الحدود القصوى شرقاً هي خط الطول ٧٠,١٨ شرقاً وأنها تقع بين خطي العرض ٢٤,٥٤ إلى ٣٢,٠٤ شمالاً. انظر: Imperial Gazetteer of India, Vol. VI (Bombay, 1908)، وأيضاً كتاب رحلات في بلوتشستان H.Pottinger: Travels In Blushistan and Sinde (London, 1816) p.249 . وهناك قلة من المختصين تعاملت مع بلوتشستان ككل لا يتجزأ إما لأسباب شخصية وإما دفعهم الفضول لذلك ونذكر منهم على سبيل المثال لونغورث دَيْمْز مؤلف كتاب السلالة البلوشية وكاتب الفقرة التي تكلمت عن البلوتش في الموسوعة الإسلامية الإصدارية الأولى، ونذكر أيضاً آر. إن. فراي، والمير خودابخش بيجراني ماري. إذ يؤكد الأول على أن بلوتشستان هي الأراضي الذي يعيش عليها البلوتشيين إلا أنه لم يذكر حدوداً معينة. ومن هذا المنطلق يقول إن توزع البلوتشيين لا يقتصر فقط في السند ومنطقة بلوتشستان وسيستان وجنوب أفغانستان ومن ساحل مكران حتى جاسك غرباً ولكنه يشمل أيضاً منطقة الشمال حتى نيسابور ومرو بل يتعدى ذلك. Remorks on Balushi History CAJ VOL.VI (1961)p. 47). أما ميرخودابخش، وهو من أصل بلوتشي فيقدم وجهة النظر البلوتشية؛ إذ يرجح أن تبدأ حدود بلوتشستان (من بندر عباس على البحر العربي لتمتد شمالاً عبر كرمان ووصولاً إلى " نَه " في إيران وتلتف شرقاً لتضم بلدة قرّه في سيستان الأفغانية ومن ثم تتبع الطريق إلى أقصى الشرق حتى "غيرِشْكْ" ومن هناك تصل إلى حدود إقليم بلوتشستان في باكستان بالقرب من قرية تدعى بُلخان وبعد ذلك تتبع حدود إقليم بلوتشستان الشمالية لتغطي مناطق مظفرغرة وديرة غازي خان ومن ثم تلتف إلى الحدود الجنوبية الشرقية لكل من يعقوب آباد ولاركانا لتغطي المرتفعات الشمالية لمناطق سوكور ودادو. وبعد ذلك تلتف غرباً لتلتقي بالحدود الحالية لمناطق لاسبيلا البلوتشستانية نزولاً على بحر العرب وبالقرب من ميناء كراتشي، من كتاب Searchlights on Baloches and Balochistan Karatchi 1979, p.3. لكن هذا الاعتقاد يبقى مفتقراً إلى المصادر الموثوقة.

و٣٢ شمالاً "(١) لكنه لم يفترض أية حدود طوبوغرافية.

تنقسم أراضي البلوتشيين إلى ثلاثة أقسام: أولها وأكبرها يعرف اليوم باسم بلوتشستان الباكستانية، وتتألف من اثنتي عشرة منطقة ويحدها من الشرق وادي السند، والبنجاب، ومن الغرب بلوتشستان الإيرانية على خط الطول ٦٠٫٥٦ شرقاً ومن الشمال أفغانستان وإقليم التخوم الشمالية الغربية، ومن الجنوب بحر العرب، وتبلغ مساحة هذا القسم، حسب ما ذكر في الأطلس الجغرافي لمنطقة بلوتشستان ١٢٧٫٨٢٥ ميلاً مربعاً. أما القسم الثاني فهو الذي ضمن إيران مشكلاً الجزء الجنوبي الشرقي من إيران وهكذا يعرف باسم بلوتشستان الإيرانية وليس هناك حدوداً معروفة لهذا القسم كما في القسم الباكستاني لكن مساحته تبلغ تقريباً ٩٠٫٢٥ ميلاً مربعاً. وأخيراً وبالنسبة للقسم الثالث والذي لا يشكل أهمية تذكر فهو القسم الأفغاني حيث يقتصر وجوده على طول الشريط الذي يمتد خلف المنطقة الواقعة جنوب وادي "هيلمند"، وهي منطقة مهجورة تناسب شعوباً تعتمد على تربية المواشي.

وبعد دراسة مستفيضة للمعلومات المستقاة من المصادر المتاحة وبمجرد الاجتهاد الشخصي فإن هذا العمل يَقترح الحدود التالية: تبدأ هذه الحدود غرباً من منبع نهر روديان أو ميناب على خط الطول ٥٦٫٥٥ شرقاً، وتنحني بعدها باتجاه الشمال الشرقي عبر أعلى وادي "جيرُفت" لتقطع "جبل البارِز" متضمنة "بم" و"فَهْرَج" ومن ثم تتقدم باتجاه "زاهِدان" و"زابُل" لتنحدر بعدها بتواز مع مناطق جنوب حوض "هيلمند" المنخفضة، وبعدئذ تتجه شرقاً حتى تلامس الحدود الفعلية لسَرَوَان وهي منطقة في بلوتشستان الشرقية، وبعد ذلك تتجه شمالاً على مقربة من خط العرض ٢٣ شمالاً لتصعد بعدها على الشرق والشمال الشرقي حتى خط العرض ٣٢٫١٠ شمالاً لتلتقي مع خط الطول ٧٠٫١٨ شرقاً، وبعد ذلك تنحدر إلى

(1) Art " Baluchistan " EI.1 , VOL. I,p.625 .

مرتفعات أو جبال سليمان وسهل "كاتْشِي" وعند مقربة خط العرض ٢٨٫٣٠ شمالاً تتجه إلى الغرب وجنوب ـ غرب، وبعدها تمتد على طول جبال "كِيرشار" لتنحدر ممتدة على طول نهر "هاب" حتى تصل إلى البحر على خط العرض ٢٤٫٥٠ شمالاً.

المظهر الطوبوغرافي

المرتفعات :

باستثناء سهل كاتشي وشريط "لَسْبيله" فإن بلوتشستان تغلب عليها الصفة الجبلية ولكنها لا تخلو من العديد من السهول والوديان بعضها رملي صحراوي تستحيل فيه الزراعة، وبعضها أراض خصبة غزيرة الإنتاج في حال تأمين الري المناسب لها[١]. ويمكن اعتبار بلوتشستان من الناحية الطبيعية نجداً[٢] يطوق المرتفعات الآسيوية الوسطى ومرتفعات إيران الجنوبية.

وابتداءً من الشرق تعد مجموعة الجبال البلوتشستانية امتداداً لجبال أفغانستان الشرقية، حيث تنحدر تدريجياً من الشمال إلى الجنوب، فمن أقصى الشمال على خط العرض ٣٢ شرقاً حتى سهل "لَسْبِيلَه" جنوباً، وتمتد بين خطي الطول ٦٥٫٥٣ و ٧٠٫١٠ إلى الشرق.

تتباين هذه المنطقة في شكلها وطبيعتها نظراً لاختلاف تضاريسها ففيها الوديان السحيقة ـ ٥٠٠٠ قدم ـ كما في منطقة المرتفعات الشمالية، وفيها الوديان الضحلة ـ ٢٥٠٠ قدم ـ كما في منطقة سفوح جبال مور[٣]، وفيها جبال يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠٠ قدم كجبال توبا كاكار في الشمال وبين ٣٥٠٠ قدم كجبال باب في الجنوب، وتختلف هذه الجبال عن بعضها لاختلاف طبيعتها فمنها

---

(1) A.W. Hughes , The country of Bluchistan : It's Geography, Topography, Ethnology . and History (London , 1977) p. 4.

(٢) النجد : السهل الواسع المرتفع.

(3) Imperial Gazetteer of India. New ed. vol. vi from now on, IGI (Bombay 1908). p. 266.

المكسية بالأشجار والمراعي والمروج ومنها الجرداء والعارية، وإلى الشمال من هذه المنطقة تقع سلسلة جبال توبا كاكار المشهورة، والتي يقال أنها امتداد لسلسلة جبال صفدكوه في الجزء الشرقي من أفغانستان، حيث تشكل مجمل المنطقة الواقعة بين أفغانستان وبلوتشستان الباكستانية، وبنفس الوقت تعد الخط الفاصل بين الهند وآسيا الوسطى(١)، وتنحصر هذه المنطقة بين خطي العرض ٣٠,٥٠ و ٣١,٥٠ شمالاً وبين خطي الطول ٦٦,٢٠ و ٦٩,٢٥ شرقاً، وبعبارة أخرى يحدها نهر "جومال" من جهة الشمال، وتندمج منحدراتها مع سهل "بيشين" في منطقة "قويطة" من جهة الجنوب، ومع سلسلة جبال صفدكوه العالية من جهة الغرب، وتتخذ انحداراً شمال شرقي وجنوب غربي. "مع ثلاث سلاسل جبلية متوازية، وترتفع تدريجياً باتجاه جنوب غرب من "جومال" ٥٠٠٠ قدم تقريباً إلى قمم ساكير (١٠,١٢٥ قدم) وكاند (١٠,٧٨٨ قدم)" ونيغاند (٩,٤٣٨) قدم في الوسط(٢)، ومن ثم تنحدر نزولاً باتجاه الغرب وتشكل قبالة شامان انعطافاً حاداً باتجاه جنوب غرب لتستمر تحت اسم "خواجة عمران" و"سارلات"، وأخيراً وبعد امتداد على طول ٣٠٠ ميل تقريباً تندمج مع سلسلة جبال مكران الوسطى، وتعرف المنطقة الواقعة بين جومال وقمة كاند، والتي يرويها نهرا كوندار وزهوب باسم "كاكر خراسان" نسبة إلى سكانها. ويطلق على القسم الواقع غربي قمة كاند اسم توبا ويقطنه بشكل رئيسي الأفغان الأشكزائية..

وتتألف المرتفعات العلوية من هضاب واسعة تتخللها من جانبيها وديان نهرية عميقة. وفي فصل الشتاء يصبح الجو شديد البرودة مع رياح قارصة تجوب السهوب المجردة، ويندر وجود الأشجار الكبيرة في هذه المنطقة ولا يوجد إلا

---

(1) Kazi, S. Ahmad , A Geography of Bakistan , 2nd ed . (Karachi , 1969). p. 26.
وأيضاً . IGI , VOL. XXIII, p. 405

(٢) انظر، جـ١، ص ٥ حيث يذكر المؤلف بعضاً من القمم المركزية ذات الارتفاعات العالية والتي تتراوح بين ٩,٧٠٥ و ٩,٧٢٨ قدم. انظر أيضاً قاضي أحمد، المرجع السابق ص ١٢.

شجيرات الأرطماسيا[١] وهي شجيرات دغلية كثيفة تنتشر على كامل المنطقة، ويختفي بين طيات جبل كاند وادي كامشو غاي الذي يعد أروع وأجمل الوديان الصغيرة في بلوتشستان"[٢].

ومهما يبدو هذا الصقع وعراً ويستحال فيه السفر والتجوال، إلا أنه يحتوي على العديد من الممرات التي تؤمن سبل الانتقال عبر المنطقة[٣]. ومن هذه الممرات هناك ممر "جومال" في أقصى الشمال بالقرب من دوماندي وممر "التساري" مهتارزاي في المنطقة الفاصلة بين "زهوب" وبيشين إلى الغرب من إقليم زهوب بالإضافة إلى ممرين مهمين آخرين يوجدان في فرع من فروع سلسلة جبال "خواجه عمران"، ويقع أحدهما إلى شمال الخط الحديدي الرئيسي الذي يربط باكستان بآسيا الوسطى ويدعى ممر "خوجاك" بينما يقع الآخر، وهو ممر "غوازها" تقريباً على خط العرض ٣٢,٣٠ شمالاً[٤].

تقطع هذه المنطقة أعدادٌ كبيرة من الأنهار والوديان تتفاوت فيما بينها بالأطوال والأحجام وأغلبها يتجه من الشمال إلى الجنوب ليشكل منطقة وصفها أ.جي. توينبي بـ "مسرح طبيعي هائل"[٥]. وإلى الغرب من سلسلة جبال "كاكري خراسان" يمتد وادي "جومال" مع فروعه العديدة، ومن أشهرها وادي "كوندار" الواقع في وسط الجبال على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم، حيث نجد أن هذا الوادي كلما امتد نحو الشمال كلما ازداد اتساعاً وعمقاً إلى أن يلتقي مع وادي نهر زهوب لينتهيا سوية في البنجاب.

ويعد وادي زهوب الذي يفصل بين سلسلة جبال "توبار كاكار" وسلسلة

---

(١) الأرطماسيا، Artemisia، نبات من الفصيلة المركبة لأوراقه رائحة قوية، قاموس المورد، (بيروت ١٩٨٦م) ص ٦٤.

(2) IGI , VOL. XXIII, p. 405 f .

(3) K,V Kureshy , Ageography of Pakistan (Karachi , 1978) p. 13 .

(٤) انظر IGI , VOL. XXIII, p. 406 ; BDGS, Loe. Cit. .

(5) Between Oxus and Jumna (London 1963). p. 55.

"جبال سليمان" من أهم الوديان في المنطقة، إذ أنه أعرضها وأطولها وأكثرها إنتاجية، وهو سهل واسع من الطمي الغريني يمتد من ممر "تساري ميهتارزاي" على الخط الفاصل بين وادي "زهوب" ووادي "بِشّين"، وهناك عدة روافد تروي هذا الوادي بعضها ينحدر من تلال "توبا كاكار" و"كاكاري خراسان" من الغرب وبعضها الآخر من المنحدرات الغربية لسلسلة جبال سليمان من الشرق، ويتفرع عن هذا الوادي عدة وديان صغيرة منها في الشمال وادي "حيدرزاي" ووادي "إسماعيلزاي"، ومنها في الجنوب، حيث تعرف باسم شاران وخيصور بين الجبال المحلية الموجودة في "تورغار" و"صورغار".

وقد علق أحد المختصين الذين زاروا هذه البلاد قائلاً أنها تتألف من "سلاسل جبلية وسهول شاسعة مفتوحة.... وواحات خضراء منعشة هنا وهناك أحياناً على شكل وديان حراجية خضراء تتخللها جداول رقراقة عذبة المياه أو على شكل غابات على طول قمم الجبال العالية، وأحياناً أخرى على شكل أصقاع وبقاع غزيرة الزرع والنبت تمتد على مدى الوديان والسهول"(١).

وإلى الشرق من جبال "توبا كاكار" تمتد مجموعة من القمم الجبلية(٢)، أو ما يشبه الهضاب المتتالية، وتمتد هذه الهضاب من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٠٠ ميل قاسمة مجاري المياه ومرسخة الحدود بين بلوتشستان الداخلية ووادي السند(٣)، وتغطي مناطق عديدة من بلوتشستان بما فيها أقاليم "زهوب" بالشمال و "لورالاي" و"بولان" و"سيبي" وينحصر وجودها بين خطي العرض ٢٨,٣٠ و٣٢,٠٤ شمالاً وبين خطي الطول ٦٧,٥٢ و ٧٠,١٧ شرقاً وتحيطها من الشرق

(1) A.H. McMahon , " The Southern Borderland of Afghanistan , " GJ . VOLIX (1897) p. 394 .

(2) T.H. Holdich, The Indian Borderland (London, 1901) page 36 .

(3) IGI, - VOL.XXIII p.199, Long Worth Dames art . " Baluchistan ' EI, Vol.1, p. 625, and Kazi S. Ahmed, A Geography of Pakistan , 2 nd . ed. p. 20 .

سلسلة جبلية متوازية ومسننة تتألف من قمم بارزة الاتفاع وتنتشر على معدل ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠٠ و ٦٠٠٠ قدم، وقد تتعدى ذلك لتصل إلى أقصى ارتفاع لها ١١٫٢٩٥ كما في قمة "تخت سليمان"(١) في الشمال، وتتشابه سلسلة جبال سليمان بسماتها مع سمات السلسلة السابقة إلا أن ضيق شعابها يعد السمة الغالبة عليها وخاصة في الجزء الشمال من شعب زاو عند ممرات "الغات" و"تشوهرخيل" وممر دهانا(٢). وتروي مياه المنحدرات الغربية لسلسلة جبال سليمان بلوتشستان، ويتساوى مع تدفق المياه في المنحدرات الغربية إلى أن تصل وادي السند(٣).

يمكن تقسيم سلسلة جبال سليمان إلى ثلاث قطاعات القطاع الشمالي والقطاع الأوسط والقطاع الجنوبي. يتألف القطاع الشمالي من ثلاث أجزاء من "القمم الوعرة والمتوازية ذات الانحدارات الشديدة"، وبالانعطاف شرقاً يظهر "جبل التخت" الذي وصف بالمرتفع العالي ٨٠٠٠ قدم، وإلى الغرب تقع سلسلة تلال "دور غار" و"صور غار"، وهي المعالم الرئيسية لسلسلة جبال سليمان، وتنطلق من الشمال إلى الجنوب بين خطي العرض ٣٠٫٣٠ و ٣٢٫٢٠ شمالاً. والجدير بالذكر أن أطلس باكستان يورد تصنيف امتداد هذه الجبال من نهر "التويسار" وحتى نهر "الوني" باتجاه الجنوب ضمن سلسلة جبال "موسى خيل"، وفي هذه المنطقة

---

(١) تذكر موسوعة الهند العظمى " أن الأوروبيين يطلقون على هذه القمة اسم تخت سليمان أي "عرش سليمان " أما المحليون فيطلقون عليها اسم غار القاضي، وقد وصفها ت. اتش. هولديش قائلاً : " يتموضع هذا العرش أو القمة فوق صخر جبلي ضخم على مسافة من أسفل القمة الواقعة في أقصى جنوب جرف الجبل. وبالرغم من صعوبة الوصول إليها فإن العديد من الهندوس والمسلمين يحجون إليها سنوياً " . BDGS

(٢) يجب أن نلاحظ وجود اثنين من الوديان يحملان نفس الاسم ـ داهانا أحدهما تشوهرخيل داهانا والآخر خيدرزاي داهانا ويقع في نفس المنطقة وهو ما نشير إليه هنا بداهانا. انظر:

BDGS, vol.I, p.10 Vol.11 p.9, Vol .III,p. 3.

(3) T-H.Holdich, Op.Cit. p. 36f .

بالذات تصل سلسلة جبال سليمان ذروتها حيث يتراوح الارتفاع بين ١١٫٣٠٠ قدم تقريباً في "تخت سليمان" أو "كياغازو" و ٩٫٢٧٣ قدم في "شين غار" .

ولكن كلما اتجهنا جنوباً تبدأ هذه الجبال بالانخفاض لتتراوح ارتفاعاتها بين ٩٠٤٥ قدم في "هزارغات" و ٦٤٧٨ في "كالابهار" إلى الجنوب(١).

أما القطاع الأوسط لسلسلة جبال سليمان فهو عبارة عن فرع من الهيكل الرئيسي لتلال سليمان الشمالية الجنوبية، ويبدأ من جنوب تلال "صور غار" من جهة الشرق نحو الغرب لينتهي عند خط الطول ٦٧٫٥٠ شرقاً، حيث ترتفع هناك إلى علو ١١٫١٠٣ قدم في قمة "كاساسار" ، وتتراوح هنا ارتفاعات القمم بين ٧٧٣٢ قدم، كما في "موردار غار" ١٠٦٥٢ و "مالك سالار" على خط الطول ٦٧و ٥٥ شرقاً، ومما يميز هذه السلسلة الجبلية أنها تأخذ بالارتفاع التدريجي على الجانبين المتقابلين، وهما الغربي والشرقي، ويختلف الارتفاع الوسطى من مكان إلى آخر، حيث يبلغ ٦٩٤١ قدم في "شورماغار"، و ٥٧٣٩ قدم في "تُمبيل"(٢)، وتتألف هذه السلسلة أيضاً من سلسلة متتالية من المرتفعات المتوازية . يطلق على المرتفعات الواقعة في الشمال "دامانْغَر" و "تشرُمَغَر" ، وعلى المرتفعات الواقعة في الوسط "كور" و"غَدَبَار" و"مُرادغِار" و"دَادَلَر" . أما المرتفعات الواقعة في الجنوب فتسمى "غازغَرْ" و"سيالو" و"دَبَر" وتتفاوت هذه المرتفعات في علوها فمنها ما يصل إلى ٨١١٢ قدم في "سيالو" ومنها ما لا يتعدى ٢٥٠٠ قدم كما في تلال تزها في المنطقة ذاتها(٣) .

---

(١) انظر أطلس باكستان : Atlas for Pakistan , Lahore, feros Sons Ltd. 1986. p. 22. من القمم الأخرى هناك ميرري روح (١٠٫٢٠٠) وديهو (٧٫٩٧٠ قدم) وترح (٧٫٦٤٠ قدم) وجوتير (٧٫٠٨٩ قدم) وشاركونداي (٧٫٥١٧ قدم) . انظر أيضاً " سلسلة أطلس مناطق بلوتشستان " مع الخرائط الموضحة.

(2) BDGS, vol.II, p.16 .

(3) Ibid, p.15 .

يعد القطاع الجنوبي لسلسلة جبال سليمان القطاع الأكثر انخفاضاً من القطاعين الآخرين، ويمتد من أرياف بُغْتي وماري في سيبي إلى كاتشي وناصر آباد، حيث يتخذ هذا القطاع اتجاهاً من الشرق إلى الغرب، ويتراوح ارتفاع الجبال بين ٥٥٠٠ قدم و ٣٥٠٠ قدم. وكما في المناطق الأخرى فإن هذه المنطقة قد قسمت محلياً إلى عدة أقسام لكل منها اسمها الخاص، وقد وصفها ت. هـ هولديش قائلاً: "تلال وعرة وضيقة وجرداء تلفحها الشمس معظم الوقت ويتكون غالبها من الصلصال والكتل الخليطة الأخرى، وتتوازى مع بعضها على امتدادها لتجعل السلسلة بكاملها شبيهة بمشواة ضخمة، وتساعد الوديان الضيقة والصغيرة الملحقة بهذه التلال ذات الجروف والانحدارات الحادة في تدفق المياه المالحة نسبياً بشكل متقطع إلى الأنهار الرئيسية، لتعاود مرة أخرى من هناك شق طريقها معترضة الامتداد الرئيسي للتلال الثانوية، وبعدها تنفرج على سهول السند(١).

ما من قطاع من قطاعات سلسلة جبال سليمان إلا واجتازته الممرات العديدة التي لكل منها أهميته الخاصة، فهناك مثلاً في القطاع الشمالي ممر "زاو" الذي يتراوح عرضه بين ثلاثين ياردة إلى ستة أقدام، وممر "الغاط" Ghat بعرض عدة ياردات وممر "تشوهرخيل دهانا" Chuhar Khil Dahana التي قيل أنها تقع في شمالي المرتفعات ولا تناسب إلاّ لمرور المشاة فقط. ومن ممرات القطاع الأوسط "جندرال" "بورتك" التي لا تصلح إلا للمشاة فقط و "سيمبهار" وبعض الممرات الأخرى أما في القطاع الجنوبي فنذكر ممر "دوجاماك" في "تُركي كوهي روه" وبعض الممرات الأخرى في منطقة "بغتي" لكن الممرات الرئيسية هي "غاط" و"زاو" و"دهانا" و"تشوهرخيل" و"خواجة"، و"بيكال" الذي يربط بلوتشستان مع "ديرة إسماعيل خان" و"ديرة غازي خان" في الأراضي الداخلية من البنجاب(٢).

---

(1) Ibid, vol. II, p. 15.

(2) BDGS, Vol.I, p. 9 ff .

أما سلسلة مرتفعات "براهوي" الوسطى فتتألف من سلسلة جبلية تمتد شمال "جَلَوان" و"سَرَوان" و"بولان" وأجزاء من مناطق "بِشين" و"قويطة" البلوتشستانية. وتقع بين خطي العرض ٢٧,٥٧ و ٣٠,٣٦ شمالاً وخطي الطول ٦٦,٣١ و ٦٧,٥٢ شرقاً، وتضم كل المرتفعات الجبلية من ممر "مولا" والنهر الذي يحمل نفس الاسم إلى شمال شرق خُزدار أو "قصدار" في الجنوب، و"بيشين لورا" وأنهار ناحية "زهوب" Zhob والحافة الشرقية من مرتفع "زَرغون" إلى شمال وشمال شرق قويطة، وتشكل هذه الجبال انحداراً من الشمال إلى الجنوب من "مولا" إلى قويطة. ثم يتحول الاتجاه ليصبح من الشرق إلى الغرب شمال "قويطة" حتى النقطة التي تلتقي بها مع جبال سليمان، والتي يبلغ طولها الإجمالي حسب ما ورد في "موسوعة الهند العظمى" Imperial Gazetteer India حوالي ٢٢٥ ميلاً، وعرضها حوالي ٧٠ ميلا[١].

ويغلب على هذه المرتفعات صفة التوازي، إذ أن الجبال فيها متوازية تحتوي على وديان ضيقة لتؤلف في مجملها منطقة الأراضي المرتفعة في القسم الشرقي من بلاد بلوتشستان، وترتفع بشكل تدريجي من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، وتسهل رؤية ذلك على الجانب الشرقي إلى أن تنتهي في منطقة "كاتشهي".

ووفقاً لدراستنا فيمكن تقسيم هذه المواطن إلى خمس مناطق وهي: المرتفعات الشمالية، ومرتفعات "ناغاو-مولا"، ومرتفعات "بَنْغُلزاي-كُرد"، ومرتفعات "هَربُوي"، ومرتفعات "الغار".

تتميز المرتفعات الشمالية باحتوائها على أعلى الجبال في البلاد ومثالها جبل "خليفت" (١١,٤٤٠م) وقد وصف بأنه "جبل عظيم يهبط بانحدار شديد يبلغ ٧٠٠٠قدم حتى يصل إلى وادي "شاهْرِغ"، وجبل زَرْغون إلى الشمال من

(١) انظر جـ ٤، ص ١٤.

"قويطة" Quetta إذ تبلغ ذروته ١١٧٣٨ قدماً، وجبل "تكّاتو" وارتفاعه ١١٣٧٥ قدماً، أما الوديان فتتواجد على ارتفاعات شاهقة ابتداءً من ٧٠٠٠ قدم فما فوق.

تمتد مرتفعات "ناغاو" في الجانب الشرقي من "غَزْغْ" في الجنوب حتى ممر "بولان" في الشمال راسمة الحدود بين إقليم "كاتشهي" في الشرق وبين أقاليم "سَرَوان" و "جَلَوان" في الغرب، ثم من ناحية "غازج" تأخذ نفس المرتفعات بالاتجاه جنوباً حاملة نفس السمات لكن تحت اسم آخر وهو سلسلة جبال "مولا" ويتراوح الارتفاع هنا بين ٧,٩٢٠ قدما، وبين ٣٦٠ قدماً فوق سطح البحر، وبرغم ما تبدو هذه المرتفعات عصية الاجتياز فإن بها خمسة مجازات تمتد فيها وتقسمها إلى مناطق وأصقاع تؤمن سبل المرور والاتصال مع المناطق الأخرى وإن كان بصعوبة وهذه المجازات هي: "بُهُور"، "جُدُسْك"، و"زاغ نَكَسَرَ"، و"هَرُّو"، و"نَلاني"(١). ويتخلل مرتفعات "ناغاو ـ مولا" عديد من الأغوار والأودية العميقة مما يمكن أن يستغل كطرق اتصال ولكن مع شيء من الصعوبات بحكم طبيعتها الوعرة ذات الانحدار الشديد(٢).

ويبلغ طول مرتفعات "بَنْغُلزاي" ومرتفعات "كُرد" في قلب سلسلة جبال "البراهوي" ٨٠ ميلاً، والتي تحدها "نَرْمُك" من الجنوب والمنحدرات الجنوبية لجبل "زرْغون" من الشمال. ومن سماتها نذكر ما جاء في "سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان"؛ إذ تنطوي هذه المرتفعات في قسمها العلوي على ممر بولان من كلا جانبيه وبعد أن تلتف حول مقدمته تمتد باتجاه الشرق حتى تصل ماتش في منطقة بولان"(٣). وتطلق على هذه المرتفعات أسماء عديدة ومختلفة حسب مواقعها المحلية ونذكر على سبيل المثال "تَلاَنْغ"، و"المورو" و"الدَّلباند" و"القندهار" و"إسبيد" وغيرها، وتتراوح في ارتفاعاتها ما بين ٩٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم، ما عدا

(1) Ibid, p. 4, 8. Vol. VIB , p. 4 .

(2) Ibid, p. 4 f 8 vol. VIb, p. 4 .

(3) Baluchistan Districts Gazetteer Series , VOL. VI, p. 5.

جبال "الكُرد" التي يبلغ ارتفاعها ١٠٫٣٩٠ قدماً عن مستوى سطح البحر(١)، وتعد هذه المرتفعات من أكثر الأجزاء وعورة وصعوبة نظراً لما تحتويه من حواف شديدة الانحدار، وممرات ضيقة تقطعها في مناطق عديدة، وخاصة في مرتفعات "مورو" و"برّي" يمكن اجتياز هذه السلاسل الجبلية إلى "بولان" من عدة أماكن تختلف في أهميتها، فمنها الرئيسي ومنها الثانوي، ولكن يبقى ممر بولان الذي يحمل اسم المنطقة بكاملها الممر الاستراتيجي والتاريخي(٢).

وإلى جنوب مرتفعات "بَنْغُلزاي" تقع مرتفعات "هربوي"(٣) التي تكثر فيها مجاري المياه والوهاد العميقة، وتنحصر هذه المرتفعات بين وادي جوهان في الشمال وبين وادي "زَهْري" و"انجيرا" في الجنوب في منطقة "جَلَوان" بالقرب من خط العرض ٢٨ و٣٠ شمالاً، وتضم المرتفعات العديد من الجبال التي يتراوح ارتفاعها بين ٩٠٠٠ قدم و ٨٠٠٠قدم فوق مستوى سطح البحر، لكنها في "كوهي ماران" أو "جبل الأفعى"، على سبيل المثال تصل إلى أقصى ارتفاع لها وهو ١٠٧٣٠ قدما، ويعد هذا الجبل أعلى نقطة في مرتفعات براهوي الوسطى جنوب قويطة(٤). وقد قسمت هذه المرتفعات إلى عدة بقاع وكل واحدة تحمل اسماً محلياً نذكر منها "سارون" و"كوهي سياه" و"كوهي ماران" و"هضبة زَبْرَا" و"زهر الغاط" إلى غير ذلك من أسماء أخرى(٥).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) اعتماداً على المرجع السابق فإن كلمة هَرْبوي هي كلمة مركبة من هَرْ بمعنى كُل، وبوي أي الشذى. يا لهذا التعبير الرومانسي الذي يشهد مدى تأثر سكان المنطقة الأصليين بأرضهم الأم.
Ibid ,Vol.VIB, p. 3.

(4) Ibid , p. 9.

(٥) ذكر آر. هيوز ـ بولر، ما يأتي " يقال بين البراهويين أن مرتفعات هربوي تمتد من كالات إلى كابول وبدون شك قد قصد بهذا الكلام أن هربوي تشكل جزءاً من مجموعات الجبال الهائلة التي تمتد عبر أعلى النجود البلوتشستانية مروراً بقويطة وهندوباغ إلى كاكار وخراسان ومن ثم=

ومن "انجيرا" إلى "خاطيك" جنوب "نال" تمتد، باتجاه الشرق، كُتَل من الهضاب والجبال حتى "قصدار" ولا تنتمي هذه المجموعة إلى أي جزء معين وتحمل العديد من الأسماء المحلية وتتوالى ارتفاعاتها من ٥٫٥٠٠ قدم إلى ٨٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. ومثل باقي الأصقاع الأخرى في المنطقة فإنها تحتوي على وديان وممرات تتفاوت في أهميتها.

أما مرتفعات "الغار"(١) فتقع غرب مرتفعات "هربوي"، بانحدار جنوبي إلى جنوبي غربي، لمسافة ٦٠ ميلاً، وهي أشبه بكتلة مركزية من الصخور تشكل الحدود بين أقاليم "مكران" و"خاران" و"شاغاي" و"جَلَوان" و"سَرَوان". هذه المرتفعات بعد أن تتشعب عن سلسلة جبال "سياهان" إلى الغرب بالقرب من "نيمارغ"، تتخذ اتجاهاً نحو الجنوب،"حتى تتفرع عند النهاية الشمالية الشرقية لوادي كولوا في "مكران"، حيث ينحني الفرع العلوي غرباً باتجاه سلسلة جبال "مكران" بينما يتصل الفرع السفلي مع مرتفعات ساحل مكران(٢). ويقال أيضاً أن هذه المرتفعات هي "استمرار لجبال خواجة عمران"، حيث تتحد مع مرتفعات "سالات" شمال وادي "كَنكَور"(٣). وإضافة لذلك فإنها تضم بعض الجبال التي يتراوح ارتفاعها بين ٧٫١٨٧ قدماً كما في جبل "مِسكين" شمالي "كودا" و٥٩٩٠ قدما فوق مستوى سطح البحر(٤)، وتتخلل مرتفعات الغار العديد من الوهاد التي

= إلى "غزنة" انظر. BDGS, vol. VI, p.3 ويرى الباحث أنه لو أطلق الجغرافيون والمختصون اسم هربوي على كل البقاع التي ذكرت أعلاه لكان أنسب، وذلك لسببين: أولهما لأن كل تلك السلسلة الجبلية تنبثق من أصل واحد من الركام الضخم لجبال هندوكوش. وثانيهما، لأن استخدام "هربوي" للدلالة على كل هذه البقاع يبدو أسهل في المفهوم العام.

(١) يمكن أن تكتب وتنطق حسب الكاف الفارسية "گ" التي يشبه نطقها نطق الجيم عند المصريين وبعض اليمنيين أي هكذا "گار" وهو الأفصح في الدلالة والله أعلم.

(2) BDGS , VOL. 6B, p. 8 .

(3) BDGS, VOL. VI . . "انظر الخارطة الملحقة بنهاية المجلد"

(٤) المرجع السابق.

يحتوي بعضها على أراض زراعية واسعة، كما تقطعها العديد من الممرات والشعاب التي تمكن مرور القوافل عبرها ومن أهمها: الطريق المؤدي من "مستنكَ" إلى "خاران" عبر وادي "تشيرنكَي" ويدعى "بوبكى" الذي يقطع مرتفعات "الغار" أيضاً. ممر "خاران راه" الذي يمر بممر "زاي"، وممر آخر ينطلق من "جيدار" إلى "خاران"(١).

وإلى الجنوب من سلسلة جبال "براهوي الوسطى" وتحديداً جنوب "قصدار" و"نال" في إقليم "جَلَوان"، تمتد سلسلتين من الهضاب الصخرية المتوازية وهما "الباب" و"كيرثار"(٢). وتنحصر هاتين السلسلتين بين خطي الطول ٦٦,٥٠ و٦٧,٢٠ شرقاً وخطي الشمال العرض ٢٤,٥٣ و ٢٧,٣٦ شمالاً بطول إجمالي مقداره ١٩٠ ميلاً من الشمال إلى الجنوب و ٧٠ميلاً تقريباً من الشرق إلى الغرب(٣)، وتشكل هاتان السلسلتان ارتفاعاً يبدأ من ٧,٧٥٩ قدماً في منطقة الباب، ثم تصلان إلى ٤,٠٠٠ قدم في الوسط، وتنخفضان إلى ١,١١٥ قدما في النهاية الجنوبية من سلسلة "هالا" إلى أن تتلاشى في وادي "بيلا"(٤).

تشكل سلسلة مرتفعات الباب أربعة أقسام وهي: أولاً: إلى الشرق وباتجاه جنوبي شرقي السلسلة تمتد سلسلة "الخود" أو "الخودي"(١). ثانياً سلسلة الباب وهي الأكثر هيمنة: "ترتفع من وادي هاب وتسير باتجاه الجنوب ضمن سلسلة طويلة أحادية وضيقة حتى تصل إلى البحر "(٢). وبمقارنة ارتفاع الجانب الشرقي

---

(1) BDGS, VOL.VI , p.12 & vol. VIB. p. 8 .

(٢) أطلق هيوز - بوللر اسم الباب على كل المنطقة الواقعة بين دور وهو رافد نهر " هينكَول " في الغرب، ووادي سليمان وهو فرع من نهر " كولاتشي " في الشمال وإلى الجنوب حتى إما منبع نهر هاب وادي لاس بيلا أو شواطئ بحر العرب . " انظر: BDGS, VOL.VIB, p.13f

(3) Ibid, p. 14 .

(4) Ibid.

(5) Cf. IGI, vol. XIX, p. 296 ; Atlas for Pakistan , p. 22f.

(6) BDGS. VOL. VIB, p. 14 .

من الباب مع المنحدرات الغربية فإنه يعد أكثر انحداراً. ثالثاً: جبال "المور" التي يقسمها عن الباب وادي "كَنْراتش"، وتنحدر هذه الجبال إلى سهل "بيلا". رابعاً: السلسلة التي يطلق عليها اسم "هالا" أو "هاله" وتسير إلى البحر ضمن سلسلة من القمم البرجية ويمكن رؤيتها بوضوح من سهل بيلا. كما أن سلسلة مرتفعات الباب تضم وديان مختلفة ومتعددة وسهول واسعة، منها سهل "لاس بيلا" ووادي "كَنْراش" ووديان "ساروما"، إلا أن وديان "ماهري" و"واد" و"أوناتش" تقع بين الهضاب إلى جهة الغرب(١).

وإلى الشرق من مرتفعات "الباب" توجد سلسلة "كيرثار" التي يمكن القول عنها أنها السلسلة التي تشكل الحدود بين بلوتشستان وسهل السند. وتبدأ هذه السلسلة من النقطة التي يتدفق فيها نهر "مولا" منفرجاً إلى سهل "كاتشهي"، وتأخذ هذه السلسلة اتجاهاً من الشمال إلى الجنوب وتنحصر تقريباً بين خطي العرض ٢٥,٣٠ و ٢٨,٢٥ شمالاً(٢)، وهي مشابهة في صفاتها لسلسلة الباب من ناحية الطول والعرض، فطولها ٩٠ ميلاً وعرضها ٦٠ ميلاً، ويحدها أيضاً من الشرق حوض السند، ومن الغرب المساقط العليا لنهر "هاب" ومن الشمال نهر "مولا"، ومعظمها هضاب جرداء ومقفرة غير مأهولة، وعلى عكس مرتفعات الباب فإن هذه الجبال تتميز بارتفاعات عالية تتراوح بين ٧٤٣٠ قدماً و ٣٣٢٠ قدماً فوق مستوى سطح البحر(٣)، ومن فروعها الرئيسة سلسلة "لاخي" التي يخترقها نهر "كولاتشي" أو "غاج".

تتخلل مرتفعات "كيرثار" و"هاب" العديد من الممرات الطبيعية التي يتجه أغلبها من الشمال إلى الجنوب، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأصقاع ليست بذات أهمية تذكر نظراً لطبيعتها الشديدة الانحدار ونظراً لوجودها على ارتفاعات

(1) BDGS. VOL. VIB, p. 14.

(2) I,G.I VOL.XV. p. 308f . BDGS. VOL. VIB, p. 12.

(3) Ibid . VOL.VIB, p. 11 ff .

شاهقة، إلا أنه بين الحين والآخر، قد تظهر بعض الممرات الهامة مثل ممر "غاجي لاك" على الطريق المؤدي من "زيدي" و"قصدار" إلى "جال" و"الهرباب" و"فوسي" و"رُهيل" ثم ممرات "غار" التي تصل بلوتشستان مع السند في كيرثار. أما في مرتفعات الباب فلا يوجد بها سوى ممرين مهمين، أولهما ممر "غوري" بين نهر "هاب" و"واد" وثانيهما ممر "باران" بين "أورناتش" ونهر "بورالي"(١).

أما مرتفعات مكران الشرقية فهي عبارة عن سلسلة متتالية متوازية من الهضاب تتخذ اتجاهاً من الشرق إلى الغرب، وتغطي المساحة الواقعة بين خطي الطول ٦١,٤٠ و ٦٦,٣٠ شرقاً ودائرتي العرض ٢٥,٢٢ و ٢٨,١٥ شمالاً، ويبدو أن لهذه المجموعة امتداداً باتجاه الغرب فوق الأراضي البلوتشستانية المتبقية والواقعة ضمن حدود إيران حالياً. تقسم هذه السلاسل إلى ثلاثة أجزاء رئيسة وهي: سلسلة مكران الساحلية وسلسلة مكران الوسطى وسلسلة سياهان، ولكل منها أسماء محلية، وتضم مختلفاً من المنبسطات والوديان، ويبدأ علوها بالارتفاع من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق.

ويمكن اعتبار الجبال الرئيسة في مكران فروعاً من جبال "الغارّ" أو "الكَار"، التي سبق الحديث عنها، وامتدادها نحو الشمال، وقد قيل عنها بأنها: "تغطي وسط بلوتشستان إلى أن تنضم في النهاية إلى "صفدكوه" في الشمال الشرقي"(٢). وكما قيل أيضاً: "إن الصخور الضخمة والكتل الخليطة الأخرى التي تشكل بوضوح هيئة جبال منطقة "جَلَوان" تغيب عن جبال مكران، إذ أن قوام الأخيرة أقل قساوة بكثير فمعظمه يتكون من الصلصال الرمادي أو الأبيض ـ ما يعرف محليا بـ تشور ـ مع تميزه بغياب الأحجار والصخور"(٣). ويقطع هذه الجبال عدد من الوديان الجافة شديدة الانحدار التي تتحول فجأة إلى أنهار متدفقة بعد هطول

(1) BDGS. p. 12 - 16 .

(2) Ibid . VOL.VII . p. 6.

(3) BDGS. VOL. VII .p. 6.

الأمطار. ومن المفيد ذكره هنا أن أسماء وألقاب معظم الأجزاء الواقعة ضمن سلسلة مكران الجبلية قد تطرق لها "هيوز ـ بوللر" في عمله الضخم الخاص بالمنطقة التي تعرف باسم بلوتشستان الباكستانية.

أما جبال مكران الساحلية فتتشابه في سماتها مع باقي جبال وهضاب مكران، إذ أن ارتفاعها يتدرج من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال، وينحصر موقعها بين دائرتي العرض ٢٥٫٢٢ و ٢٦٫٠٠ شمالاً وبين خطي الطول ٦١٫٤٠ و ٦٦٫٣٩ شرقاً، وتمتد أجزاء منها فوق الشريط الحدودي الذي يفصل منطقة جبال هالا الواقعة على سهول لاس بيلا أو (لَسْبلَه) في الشرق، ويطوقها بحر العرب من الجنوب ووادي "كيتش" أو "كيج" في الشمال، ويطلق السكان المحليون على هذه المرتفعات اسم "بحري غارّ"، ويبلغ طولها ٢٨٠ ميلاً وعرضها ٣٥ ـ ٧٠ ميلاً، وتضم ثلاث مجموعات جبلية متميزة ومتفاوتة في ارتفاعاتها.

تشكل المجموعة الأولى معظم الأطراف الشرقية، ويطلق عليها اسم "ضُرُون" وأبرزها جبال "روديني كاتش" إلى الجنوب وجبال "تَلُوي" التي تحتوي على ثلاثة ممرات صعبة الاجتياز، ويتراوح الارتفاع هنا بين ٥١٧٧ قدماً في جبل ضرون و ٣٠٢٢ قدماً في جبل "تَلُوي". وإلى الغرب تنطلق جبال "تلاري باند" التي يقال عنها إنها المرتفعات الرئيسة التي تنطلق من الشرق إلى الغرب وتتشعب بالقرب من "كولمات" إلى فرعين: أحدهما ينطلق باتجاه غرب وشمال غرب، ويدعى "غوكيروش" والآخر ينحدر إلى الجنوب الغربي ويدعى "تاليسار"، أما ارتفاعها فتتراوح بين ٤٣٤٥ قدماً عند قمة جبل "جانزات" في "غوكيروش" وبين ٣١٢٥ قدماً عند "تلاري باند" وبين ١٧٥٩ قدماً عند قمة "كَرَغي" الواقعة في نفس المنطقة. ولا تشكل وديانها المتناثرة هنا وهناك أهمية تذكر فيما عدا وادي "كولنتش"، غربي "باسني" الذي يحتفظ بنوع من الأهمية، وتتابع هذه المرتفعات امتدادها ـ بشكل وعر وعصي ـ حتى تصل مصب نهر "هينغول" في الجزء الشرقي.

وفي جهة الجنوب تنتشر هضاب مكران الوسطى فوق المنطقة الواقعة بين وادي "كيش" في الجنوب وبين مرتفعات "سياهان" في الشمال، وبعبارة أخرى بين دائرتي العرض ٢٦ و٢٨ شمالاً وخطي الطول ٦٢,١٠ و ٦٤,٥٥ شرقاً وتمتد طولاً إلى مسافة ٢٨٠ ميلاً.

يمكن تقسيم هذه الهضاب ـ حسب خارطة منطقة مكران الموجودة في سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان[١] ـ إلى ثلاث مجموعات جبلية بارزة المعالم، تبدأ المجموعة الأولى من الجنوب آخذة اتجاهين مختلفين أحدهما جنوبي غربي والآخر شمالي شرقي، وتتألف من جبال كوهي "بَتَندَر" وجبال "سامي باند" و"كيش باند" الواقعة غربها. ثم باتجاه نحو الشمال ـ شرقي المجموعة السابقة ـ تمتد المجموعة الثانية وتسمى جبال "زاموران"، ويسمى باقي امتدادها من الشمال إلى الشرق، جبال "ناري ناناغان"، وتؤلف جبال "زانجي لاك" من منطقة "درانجوك"، المجموعة الثالثة، ويقال بأنها استمرار لجبال "بام بوشت" الممتدة من مكران الفارسية في الغرب. وتختلف هذه المجموعات الجبلية من ناحية ارتفاعاتها ففي "بَتَنْدَر"، يتراوح الارتفاع بين ٧٥٠٠ قدماً و ٥٠٠٠قدم. ثم يقل الارتفاع في جبال "زاموران"، إذ يصل إلى ٤٥٠٠ قدم كما هو الحال في قمة جبل "هيشار". أما في مجموعة جبال "زَنغي لاك" فالقمم كثيرة ومتعددة وتتراوح في ارتفاعاتها ما بين ٦٦١٠ أقدام وبين ٥٥٥٩ قدماً إلا أن الارتفاع يأخذ بالهبوط باتجاه الغرب إلى أن يصل ٢٧٠٠ قدم غربي "كيشباند".

ويتخلل المنطقة العديد من الوديان ذات الأهمية، ومع كون اتساعها محدوداً فإنها تضم أراض زراعية وافرة الإنتاج، ومن أشهرها "كيش" و "بوليدا" و"بالغاتار" و"باروم" و"بَنجور" إلى الشمال من "زانجي لاك". ويقطع هذه البقعة أحد عشر ممراً

---

(١) صممت هذه الخارطة لتكون ملحقاً للجزء السابع من سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان وهي خاصة بإقليم مكران.

بعضها يتمتع بأهمية وشهرة مثل ممر "تانك" وممر "دوراسكي". يصل الممر الأول "بنجور" الواقعة في مركز المنطقة مع "كاتشي" في بلوتشستان الشرقية، والآخر يربط "بَنجور" بسهول "لاس بيلا" جنوب شرق المنطقة.

أما ممرات "بوركي" و"ماداغ" و"زارغو" فنبع أهميتها من كونها السبل التي تربط مكران الوسطى مع جاراتها من مناطق، في حين أن الممرات الأخرى تقوم بربط المنطقة داخلياً(١).

وأنهار هذه المنطقة ليست دائمة الجريان، فهي تتأثر بمواسم الأمطار على مختلف فصول السنة، فهي إذن أنهار موسمية. ويقوم واديا "رغاي" و"غيشك" بتغذية نهر "هينغول"، أما واديا "غيتس كُور" و"كيل" فيصبان في "كيتش" في الوسط. ويقوم نهر "نِهينغ" بنقل مياه المنحدرات الشمالية لجبال زامورون متجهاً نحو الغرب، ومن ثم نحو الجنوب وبعد أن يصل جنوب غرب سفوح جبال "كيشباند" يتجه شرقاً إلى المنطقة التي يندمج فيها مع نهر "غيش" ليتدفق من هناك في مجرى نهر "داشت". وهناك أيضاً واديا "غوراغو" و"رَخْشان" في أقصى شمال المنطقة؛ والأخير هو الرئيس في المنطقة وتغذيه مصارف المنحدرات الجنوبية لمرتفعات "سِياهان" والمنحدرات الشمالية لجبال "زَنْغي لاك"، ويتخذ هذا النهر اتجاهاً جنوبياً غربياً إلى وادي "بَنجغور"، ومن ثم ينحرف شمالاً ليغذي نهر "مَشْكيل" في "خاران"(٢).

تتخذ سلسلة جبال "سياهان" اتجاهاً من الشمال إلى الشرق، ومن الجنوب إلى الغرب، وتمتد فوق المنطقة الواقعة بين دائرتي العرض ٢٨و٢٧ شمالاً ضمن شريط ضيق لا يتجاوز عرضه ٢٠ ميلاً، وينحصر بين "سيريزا" في الشمال الشرقي لإقليم

(١) من أجل تفاصيل أكثر انظر سلسلة موسوعة مناطق بلوتشستان. (BDGS) جـ٧، ص١٣.

(٢) هناك جدال حول لفظ اسم هذا النهر بين ما إذا كان "مَشْكِل" أو "مَشْكيل" أو "مَشْكيد". ويقال أن اللفظ الأخير يجري على ألسنة السكان أما اللفظان الأوليان فيجريان على ألسنة الرحالة الغربيين. من أجل تفاصيل أكثر انظر: BDGS VOL.VIIA, p. 16.

"خاران" وبين وادي "دزَك" في الغرب في منطقة مكران الإيرانية بطول يبلغ حوالي ١٧٦ ميلاً(١)، وتعد هذه الجبال خطاً فاصلاً بين "مكران" وبين "خاران" من منطقة بلوتشستان الباكستانية . وتتألف من مجموعتين متوازيتين من الكتل الصخرية : المجموعة الشمالية وهي جبال منطقة "سياهان" وتمتد من "دزَك" في الغرب و"شُوك" في الشمال الشرقي، أما المجموعة الجنوبية فتنحصر بين "شيريزا" في الشمال الشرقي في "خاران" وبين المنطقة التي تتلاشى فيها في وادي "بَنْجكَور" ، ويتراوح الارتفاع بين ٦٧٥٨ قدماً (بالقرب من "شيريزا") في الشرق و ٥٠٠٠ قدم في الغرب .

ويقال بأن هناك سبعة أنهار تجري في المنطقة. يصب عدد منها في مجرى نهر "مشكيل" ، ويمكن اعتبار نهر "راخشان" من بين هذه الأنهار نهراً مهماً، فهو يجري في استمرار على مدار السنة ـ خاصة في وهاد "تانكي غراوغ" و"تانكي زُرّاتي" ـ مما يساهم في تيسير أمر الزراعة هناك . أما أغلب الأنهار الأخرى فتروي سهول "خاران" عن طريق شبكة من مصارف المياه تنتشر ضمن هذه السهول، وتتواجد في هذه المنطقة أشجار الطرفاء، وهي أشجار نحيلة الأغصان، وأشجار صمغ الحلتيت وأشجار النخيل التي يقتصر وجودها على بعض الأماكن، بينما ينتشر القصب بوفرة على ضفاف الأنهار ويعرف باسم "غراواغ" .

كما أن سلسلة جبال "سياهان" تحتوي على عدد كبير من الممرات، ولعل أهمها تلك التي تطرقها القوافل على الدوام كممر "زارد" ويقع شمال غرب شيريزا وممر بالياز، ويقع شمال ناغي كالات وممر زاغاري كانداغ وكوركيان، ويقعان على الطريق من إيساي إلى واشوك، وهناك ممر الهيتاي وهو ممر هام يقع شمال تانكي غراواغ على الطريق من بانج غور إلى دغوار في خاران(٢).

(1) BDGS VOL.VII, p. 16.

(٢) المرجع السابق.

أما مرتفعات "راس كوه" فهي عبارة عن سلسلة من الجبال في إقليم "خاران" وتنتشر بين دائرتي العرض ٢٨,٢٥ و ٢٩,١٣ شمالاً، وبين خطي الطول ٦٣,٥٧ و٦٦ شرقاً، وهي تتخذ كباقي الهضاب الموجودة في "مكران" اتجاهاً من الجنوب إلى الغرب، ومن الشمال إلى الشرق، ويذكر أيضاً أنها امتداد آخر لجبال "خواجة عمران" المتفرعة عن سلسلة جبال "توبا كاكر" بطول يصل إلى حوالي ١٤٠ كيلا، وبعرض يتراوح بين ٢٠ و٣٠ ميلاً. وتماماً في وسط هذه المجموعة تشمخ أعلى قمة من قمم جبال "راس كوه"، وتدعى "إسبيدار"(١)، ويصل ارتفاعها إلى ٩٨٩٩ قدماً. ومن الجدير ذكره أن اسم "راس كوه" يطلق على كامل المنطقة والتي تضم تقريباً تسع قمم بأحجام معتبرة وبارتفاعات تتراوح بين ٩٨٩٩ قدماً كما في جبل "راس كوه" وبين ٥٧٠٦ أقدام، كما في جبل "شاشاري آن". ويقال أن مسقط المياه يفصل "خاران" عن "شاغاي" و"إن المرتفعات التي تؤلف هذه المجموعة لا تنتظم في اتجاهها"(٢).

قد تصلح الزراعة في مواقع محددة ومتعددة من هذه الهضاب ويندر وجود النباتات الطبيعية في أرجائها، ومرتفعاتها قاحلة جرداء. ويقطع هذه الهضاب اثنا عشر ممراً، خمسة منها يصلح للسير على الأقدام، وما تبقى منها يصلح لمرور القوافل التي قوامها الجمال فقط، وهي تربط منطقة "خاران" مع "تشاغاي".

أمّا مرتفعات "تشاغاي"(٣) فتتألف من مجموعة من الجبال التي تظهر في عدة بقاع من هذا الإقليم، وتختلف في اتجاهاتها إلا أنها ترتبط ببعضها بوساطة بعض

(١) Ibid, VOL.VII,p.16 إن اسم اسبيدار مشتق من اسم شجرة شائعة تنمو في هذه المنطقة. انظر سلسلة موسوعة مناطق بلوتشستان ـ BDGS, VOL.VII,p.6.

(٢) موسوعة الهند الكبرى. Imperial Gazetteer of India , VOL.X. p. 121

(٣) قد يبدو هذا الاسم مقنعاً وبالإمكان استخدامه للدلالة على السلاسل الجبلية في المنطقة التي تحمل نفس الاسم والتي تقع شمال خاران تجنباً لاستخدام الأسماء المتعددة والمتنوعة التي تطلق على الجبال الملحقة.

الهضاب المتواضعة، وتمتد فوق المنطقة الموجودة تقريباً بين خطي الطول ٦٠,٥٣ و ٦٦,١٠ شرقاً. وتبتدئ من الشرق جبال "سارلات" وتفصل "نُشكى تحصيل" عن "سَرَوَان" كما أنها تشكل استمراراً لامتداد جبال "خواجة عمران" المتفرعة عن سلسلة جبال "توبا كاكَر"(١) بطول إجمالي يبلغ ٦٠ ميلاً(٢)، وتتخذ هذه الجبال اتجاهاً من الشمال إلى الجنوب، وعند وصولها " نُشكى " تغير اتجاهها ليصبح من الجنوب إلى الجنوب الغربي، وتحمل نفس السمات التي تميز الجبال الموجودة في "قويطة" Quetta و"كَلاَت" بما فيها من وديان طويلة وضيقة(٣)، وتتشكل جبال "تشاغاي" ابتداءاً من غرب "سارلات" وغرب منخفض "هاموني لورا" متخذة اتجاهاً من الشرق إلى الغرب فوق منطقة يبلغ طولها ٩٠ ميلاً وعرضها ٣٥ ميلاً، وتقع هذه السلسلة أيضاً بين دائرتي العرض ٢٨,٤٦ و ٢٩,٣٤ شمالاً، وخطي الطول ٦٣,١٨ و ٦٤,٥٠ شمالاً. ويعتقد أن لهذه المرتفعات شأناً استراتيجياً من حيث تحكمها في الطرق الآتية من منخفض "هيلمند" من جهتي الغرب والشمال، وبعبارة أخرى، من إيران وأفغانستان إلى باكستان وشبه القارة الهندية. وإلى الغرب من جبال "تشاغاي" يقع جبل أو "كوهي سلطان" ويفصله عنها منبسط رملي على طول ٣٠ ميلاً. وغرب جبل "كوهي سلطان" تقع سلسلة جبال "كاشاكوه"، والتي يذكر أنها امتداد لجبال "باتشينان كوه" جنوب شرقي وغرب "هاموني مشكيل"، وترسم هذه الجبال الحدود الغربية العليا بين بلوتشستان الباكستانية وبلوتشستان إيران، وتعد هذه المنطقة ومنطقة "كوهي سلطان" من أكثر المناطق هجراً في بلوتشستان لانتشار قطاع الطرق واللصوص والخارجين عن القانون فيما مضى، إضافة إلى أن مياهها " كثيفة الأملاح المعدنية لدرجة يستحال فيها

---

(١) تعد سلسلة "توبا كاكَر" ركاماً هائلاً من العقد الجبلية في شمال بلوتشستان - انظر:
BDGS, VOL.VII, p. 18.

(2) BDGS, VOL.IVA, p. 6.

(٣) المرجع السابق.

استهلاكها آدمياً"(١).

وتتراوح ارتفاعات جبال "تشاغاي" في مجملها بين ٨٣٥٥ قدماً كما في جبل "نيفلان" من منطقة "تشاغاي"، و ٣٥٤٧ قدماً كما في سانياك كوه غربي البلاد، إلا أن معدل الارتفاع يبلغ حوالي ٦٠٠٠ قدم(٢).

هذه الجبال تقطع بالعديد من الطرق والممرات والأراضي المنبسطة، حيث يوجد في "سارلات" أربعة ممرات، ثلاثة منها تصلح لمرور الدواب المحملة، وفي "تشاغاي" يوجد ممران رئيسان أحدهما، يدعى "شيبياني" الذي يربط تشاغاي بأفغانستان، والآخر يقع على ارتفاع ٥٥٨٥ قدماً، ويدعى "مَزَاري" وله نفس وظيفة الأول، وبالإضافة لهذين الممرين الهامين هناك ممرا "مَزاري واد" و"الكُشتغان"، وهما على ارتفاع ٦٣٩٠ قدماً، وكلاهما يصلح للقوافل المارة غربي البلاد.

يضم الجزء الغربي من بلوتشستان بحسب هذه الدراسة مكران الغربية أي بعبارة أخرى مكران إيران، والمناطق مما هو شرق "لارستان"، وجنوب "كِرمان" وجنوب صحراء "لوط" ومعظم "سيستان"، حيث تعيش القبائل البلوتشية، ومن هنا فإن هذه المنطقة تنحصر ضمن المثلث الذي يقع بين دائرتي العرض ٢٥ و٣١ شمالاً وبين خطي الطول ٥٧,١٠ و ٦٣,٣٠ شرقاً، ويضم هذا الجزء ثلاثة أصناف من التضاريس: الركام الصخري والمنخفضات والسهول.

يضم القسم الإيراني من بلوتشستان ثلاث مجموعات جبلية مهمة تهيمن على المنطقة، وهي سلسلة مكران الجبلية، ومجموعة "تفْتان" بما فيها نجد "صرحد" وكوهي "جبل البارز" مع بعض أطراق المنحدرات الجنوبية لمرتفعات "زاجروس".

(١) سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان " VOL.VIA. p.13-15 يمكن هنا الاطلاع على وصف مفصل للمنطقة من قبل شاهد عيان زاد المنطقة وهو آ. هـ ماكماهون. انظر وصفه في " المنطقة الحدودية الجنوبية من أفغانستان " المجلة الجغرافية.

Geographical Journal , IX (1897) p.412ff.

(٢) انظر موسوعة الهند الكبرى وخريطة تشاغاي الملحقة بنهاية الجزء الرابع / Aمن : BDGS.
VOL. Iva, p. 6 - 16 CF IGI, VOL .X p. 120.

تعد مرتفعات أو هضاب مكران[١] مجموعة جبلية تكثر فيها الصخور الرملية، وتتجه بشكل رئيسي من الشرق إلى الغرب، وتحمل مزايا وصفات متعددة، وفي الجنوب وعلى معظم الشريط الساحلي تمتد مجموعة من الجبال المتقطعة يمكن الإشارة لها بسلسلة جبال "مكران الساحلية"، وتبدو أنها امتداد لسلسلة الجبال في الشرق من "مكران" الباكستانية[٢].

وتضم هذه المنطقة مجموعة مرتفعات جبلية تتسم إلى جانب توازيها، بأشكالها غير المنتظمة، ويذكر أيضاً أنها: "تشكل خطين مستقيمين مائلين ويقابلان بعضهما عند الزاويا اليمنى، ويتجهان من الشمال إلى الجنوب في الغرب على طول "بيابان" الساحلية غرب "جاسك"، ومن الغرب إلى الشرق في الأراضي الداخلية بين "جاسك"، و"غوادَر" قد يصل الفارق بينهما إلى ١٢ ميلاً، كما يلاحظ في "غياغان" شمال جاسك"[٣].

وعلى عكس سلسلة جنوب غرب فارس فإن هذه الجبال تتوقف على احتواء الحدبات لتتخذ لنفسها أشكالاً مقعرة، وتنحدر هذه الجبال تدريجياً من الجنوب إلى الشمال، وتعد الجبال الساحلية الغربية أو "كوه بيابان" أعلى من مثيلاتها، ويتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ و٤٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، وفي بعض المناطق قد تصل إلى ارتفاع ١,٣٧٠ قدم كما في "بَرُودَك". وهناك خمسة نتوءات صخرية تدخل غمار البحر قاطعة السهول الساحلية، نذكر منها جبال "بُنجي" التي تقع على بعد ٣٧ ميلاً شمال غرب "جاسك"، وجبال "بَهَل" و"غُوهَرت" و"باندِيني" و"نيلي سَنت" بين "تشَهْبَر" وبين خليج "غواتر"، كل هذه الجبال تقع

(١) من أجل مزيد من الملاءمة والموافقة ونظراً لغياب الأسماء المناطقية كما هو الحال في منطقة مكران الشرقية، فقد قدمنا هنا بتبني الاسم العام لمجموعة جبال مكران الغربية ومن ثم أجرينا التقسيمات كما في الشرق أو مكران الباكستانية.

(٢) انظر ما سبق.

(3) Geographical Handbook series : Persia , p. 99.

شرقي "جاسك"، وتبعد وسطياً عن البحر بمعدل ٤٠ ـ ٥٠ ميلاً. وتضم هذه المرتفعات الجبلية بعض المناطق الزراعية في العديد من السهول، وخاصة في ما بين بعض السلاسل حيث يتسع العرض. أما في جهة الغرب فإن جبلي "انغوران" و"غَرَفِن" يعدان من أكثر الجبال تميزاً، وفي المنطقة الوسطى هناك "هَسْتي" و"غَرِي دَرَب" و"بِنت" و"غِيه" و"فانوتْش"، وهناك "قصر قَنْدْ" جهة الشرق.

تجري العديد من الأنهار عبر هذه البقعة من البلاد، ويعرف الواحد منها باسم "كُور" وأغلبها موسمية وأطولها وأوسعها نهر "كُوركالو" في الشرق، وغربي هذا النهر هناك "كور كار" و"رابتش" أو (فانوتش) و"ساديتش" و كابريج"، ونهر "جاغين" شرقي جاسك، وتعد هذه الأنهار أهم الأنهار في الجنوب، وفي منطقة الغرب فإن نهر "زَنْغَل" و"مَرُوك" يرويان ساحل "بياباان" باتجاه غربي(١).

وتعد سلسلة جبال بياباان تابعة لسلسلة جبال مكران الساحلية واستمراراً لها على امتداد الساحل غرباً وشمال غرب، وتحتوي على قمم مثلثة وانحدارات سحيقة على كلا جانبيها الشرقي والغربي.

وتعد جبال سوهاران و"جبل كَراي" من أهم الجبال التي توجد في هذه السلسلة وترتفع إلى ما فوق ٣٠٠٠ قدم، وتضم مجموعة من المرتفعات ذات الصخور الرملية.

وإلى الشمال من المرتفعات الساحلية وعلى بعد حوالي ٨٠ ميلاً من الشاطئ تنبثق سلسلة من المرتفعات الجبلية متخذة اتجاهاً في معظمه من الشرق إلى الغرب على مساحة طولها ٢٨٠ ميلاً، وعرضها يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ ميلاً(٢). يضم هذا الشريط الجبلي خط تقسيم المياه بين المناطق الغربية الساحلية لمكران وسهول "جاز

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر Ibid, p.103ff وجًا، جي، لوريمر، دليل الخليج (الترجمة العربية لـ (GPGOCA) ج، ٤، الدوحة، ص ١٤٢٣.

(2) Aluin J. Cottrell. Edr. , The Persion Gulf States (Baltimore , 1981) p. 552 .

موريان" على معدل ارتفاع يتراوح بين ٧٠٠٠ قدم و ٤٠٠٠ قدم، يحد هذا الشريط الجبلي "جاز موريان من الشمال" وجبال مكران الساحلية الغربية من الجنوب، والحدود الفاصلة بين إيران وباكستان في الشرق، وسلسلة جبال بيابان الساحلية من الغرب، وتضم جبال "بَشْكُرد" (أو باشاغِرد) و"سَرباز" و"بَمْبُشت". وعلاوة على ذلك، فمن الممكن اعتبار مجموعة الجبال الوسطى التابعة لهذه السلسلة امتداداً واستمراراً لسلسلة جبال مكران الشرقية، إذ أنها تشابهها بلونها الرمادي الباهت وكذلك بوجود الكتل الصخرية الداكنة اللون، وتعود إلى نفس الحقبة الجيولوجية من ناحية الزمان والبنية. وفي أماكن محددة تتخذ هذه الجبال أشكالاً نجدية كما هو الحال في جبال "انغوران" غربي السلسلة، وهناك أشكال شبيهة يمكن ملاحظتها في منطقة "بَمْبُشت" في الشرق. وترتفع هذه الجبال تدريجياً إلى أن تصل إلى أعلى نقطة لها في "كوهي كُرَان" في "بَشكُرد".

ويفتقد خط تقسيم المياه استمراريته وارتفاعه في وسط السلسلة أي في المساقط العليا لنهر فانوتش، حيث يهبط ارتفاعها إلى حوالي ٣٠٠٠ قدم بسبب التعرية، ومن ثم تستأنف امتدادها لكن تحت اسم آخر حتى تنضم إلى جبال "سرباز" و"بَمْبُشت" في الشرق(١).

تحتوي هذه السلسلة على بعض السهول المنبسطة، وعلى بعض الممرات المختلفة في أهميتها، ومن أهمها ممر "ناسك" شمال "فانوتش" وممر غوادر "كَلْكَرْيان" على ارتفاع حوالي ٤٨٠٠ قدم، وممر "غُجَك". وهذان الممران الأخيران يربطان "سَرْباز" "بإيران شهر" و"ماغاس" شمالاً.

وإلى الشمال من مكران يمتد شريط جبلي عريض يتخذ اتجاهاً شمالياً غربياً إلى جنوبي شرقي يعرف بهضبة "سرحد"(٢)، وينحصر هذا النجد بين مرتفعات

(١) انظر. GHS, Persia , p. 103

(٢) تم استخدام العديد من التسميات فيما يخص هذه المنطقة ـ فعلى سبيل المثال، أطلق عليها آ. هـ=

"نصرة آباد" و"بانسوره" في الشمال، ونهري "بَمْبور" و"مَشْكيل" في الجنوب، وجنوبي نهر لوط في الغرب ونهر "طحلب" و"هاموني مشكيل" وما يجاورها في الشرق. وحسب ما جاء في "تاريخ إيران: كامبريدج"، فإنه بالإمكان تقسيم هذا النجد إلى منطقتين: "الأولى شمالاً وتقع حول "زاهِدَان" والأخرى تتوسط "خاش"(١).

وتتخذ هذه الجبال انحداراً تدرجياً باتجاه الشرق مما يسمح لعربة جيدة التجهيز بالوصول إلى القمم المخروطية البركانية العالية(٢)، ويبلغ أقصى ارتفاع لهذه الجبال في مجموعة " تفَتْان " وتحديداً في كوهي " تشيلِتان " التي يبلغ ارتفاعها ١٣,٠٣٤ قدماً، أما الجبال الأخرى الواقعة ضمن المجموعة ذاتها فلا يقل ارتفاعها عن ١٠,٠٠٠ قدم(٣)، ومن الملاحظ هنا أن هذه الجبال تأخذ بالهبوط تدريجياً من الوسط وباتجاهي الشمال والجنوب.

ومن خصائص هضبة "سرحد" الأخرى تكرر القمم الشديدة التحدر في

= شندار اسم "كوهى كوجرد سلفر" ولكن هذه التسمية لم تعد متداولة. (ملاحظات حول بلوتشستان الفارسية - مجلة الجمعية الآسيوية الملكية)

Notes On Persian Balucdhistan , JRAS, VOL.IX (1877) p. 149 .

أما في سلسلة الدليل الجغرافي إيران فليس لها اسم معين فقد ذكرت ضمن أسماء مختلفة تبعاً لمناطقها المختلفة، وكما هو في تاريخ الهند. أما من جهتي أنا فأفضل إطلاق الاسم الرسمي على كل المنطقة حيث تعرف باسم "سرحد" وقد يطلق عليها أحياناً وخطأ اسم "كوه تفتان" وذلك حسب الشكل العام للجبال الأخرى المعروفة بنفس الاسم إلا أن هذه التسمية لا تنطبق إلاّ على قسم منها.

(١) سلسلة الدليل الجغرافي: فارس. Geographical Hand book series of persia, p. 113

(2) Ibid .

(٣) المرجع السابق. يقول سير تي. إتش. هولدتش عن تَفْتان: "إنه عبارة عن بركان ضخم في شقة قصية من البلاد ليس إلا سمة جغرافية غريبة بما فيه الكفاية تتطلب أكثر من فصل لذكرها". (المجلة الجغرافية) Geographical Journal , VOL . IX 1897 p. 418.

وانظر: C.P. Skrine, The Highland of Persian Baluchistan , G.J. vol.LXXVIII 1931, p. 325ff.

العديد من الأماكن التابعة لمجموعة "تفتان" و"كوهي مِلك سياه" وغيرها[١]، كما أن المنطقة تحتوي على العديد من الأودية ذوات المصبات الداخلية كما في "شاهي غابي هامون" شمال غرب "خواش".

أما الجزء الجنوبي في "سرحد"، والذي يتمركز حول "خواش" فيعد أقل ارتفاعاً مما سبق، وتتراوح الارتفاعات فيه ما بين ٩٠٠٠ - ٦٠٠٠ قدم، وتتخذ الجبال في هذا الموقع سمة التوازي مع انحدار يتجه شمال غرب وجنوب شرق، كما أنها مقسمة إلى ثلاثة نتوءات هي: "كوهي بريغ" و"موربش" و"كوهي بادامو" المتصل مع "ديزَاك". والوديان الواقعة جنوب كوهي "بَزْمان" و"جبل البارز" عبارة عن مجموعة من الصخور الكتيمة، وتمتد تقريباً بين دائرتي العرض ٢٨،٠٠ و ٢٩،١٥ شمالاً وبين خطي الطول ٥٨،٠٠ و ٦١،٠٠ شرقاً متخذة اتجاهات مختلفة، فعلى سبيل المثال، يتجه "كوهي بَزْمان" من الشرق إلى الغرب، وبالإضافة لاعتباره نقطة وصل بين "سرحد" و"زاغروس" عند فرعه الجنوبي الغربي فإنه يعد فاصلاً ما بين "لوط" وبين منخفض "جاز موريان". وتقع جبال "جيران ريغ" في الوسط وتليها سلسلة "كوهي جبل البارز"، وتمتد هذه الأخيرة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي على مسافة ١٦٠ ميلاً، وتتميز بارتفاعها وعرضها "وقوامها في معظمه صخر الغرانيت"[٢].

يتدرج ارتفاع جبال البارز وبشكل ملحوظ باتجاه الوسط من الشرق والغرب، وتصل إلى ذروتها في "كوهي جبل البارز" - ١٢٠٠٠ قدم - من ناحية الغرب وشمال غرب، وفي "كوهي بزمان" من ناحية الشرق - ١١،٤٧٥ قدم، أما في الوسط فيتراوح ارتفاعها ما بين ٤٠٠٠ قدم كما في "مِلِي فرهد" و ٦٤٠٠ قدم كما في "كوهي جاغون"[٣].

---

(1) GHS: Persia , Loc.Cit . : وانظر أيضاً P.M. Sykes , Ten Thoersound Miles in persia (London, 1902) p.354 .

(2) Ibid , p. 106 .

(3) Ibid . CF. John Bartholomew ' s Map of Iran .

وتكثر مجاري المياه في المنطقة لكنها قليلة الأهمية، أما المعابر والممرات فقليلة العدد وذات أهمية ومن هذه الممرات ممر "داري آهو" في الشرق، حيث يَمُرُّ عَبْر "كوهي بزمان" ليربط وادي بامبور مع "جنوبي صحراء لوط" وهناك ممران آخران في "جبل البارز"؛ أحدهما "ده بكري" الذي يربط "بام" في إقليم كرمان بسهول "جيرُفت" وممر "غوداري مسغون" ويقع قريباً من الأخير إلى جنوبه. وهناك أيضاً ممر "غوداري زُرْنِه" في "كوهي شاه سفاران" الذي يشق وسط جبل البارز رابطاً جنوبي لوط مع منخفض "جاز موريان".

أما الجانب المقابل لمنخفض "جاز موريان" في الغرب فهو عبارة عن منطقة مرتفعة تطرزها التلال: "وخلفها تقع قطعة من الأرض تبدو وكأنها رصيف ضخم كثير الصدوع والشقوق، فالتلال مسطحة القمم وكأنها مفروشة بالبلاط. وتعرف لدى البعض بـ "كوهي حَبْر"(١)، يتصاعد الارتفاع من الجنوب إلى الشمال بالتدرج على معدلات تتراوح بين ١٦٥٠ قدماً كما في "كوهي ميرزا" في الجنوب وبين ٦٢٥٠ قدماً كما في كوهي "كَلْمُرد" أو كوهي "غِيرَه" في الوسط، ثم تبدأ بالارتفاع أكثر كلما ابتعدت إلى الشمال، وتنحدر مستجمعات الأمطار التي تغذي نهر روديان من هذه التلال. ومما يجدر بالذكر أن هذه المرتفعات يقطعها ثلاثة ممرات من أماكن متفرقة؛ وهي: "ممر "خاني شاه" في الجنوب وممر "بُدُك" بالقرب من "كوهي غيره" وممر "غُدارْتَتْ" في الشمال في الأطراف الجنوبية لجبال "زاغروس"(٢).

السهول والصحاري والمنخفضات

سهل كاتشهي :

يعد هذا السهل مثالاً نموذجياً للسهول النجدية، فهو يمتد منبسطاً في معظمه

---

(1) Ibid : Persia , p. 106 .

(2) W.C. Brice , South west Asia (London , 1966) p. 194 .

ما عدا جزئه الغربي الأقصى، حيث تطوقه سلاسل صغيرة من التلال، وتدعى "بانه" أو "بَبّ"(١).

ينحصر هذا السهل بين دائرتي العرض ٢٧,٥٠ و ٢٩,٣٥ شمالاً وخطي الطول ٦٧,٢٠ و ٦٩,٢٠ شرقاً ضمن مساحة تبلغ ٣٥١٠ ميلاً مربعاً، ويحده من الشرق والشمال المنطقة الهضبية "مرّي بُغتي" من إقليم "سيبي"، ويحده من الغرب "جَلَوان" و"سروان" و"بولان" ومن الجنوب حوض السند.

ويتخذ هذا السهل ارتفاعاً ضئيلاً لا يتعدى ٥٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر، وقد وصفه البعض بقوله: "لسان صحراوي ينطلق من وادي السند على شكل مثلث.." ويخترق التلال المتاخمة لطريق "بولان" و"ناري" المؤديان إلى "قويطة"، ومن صفاته الرئيسة سطحه المنبسط وحرارته المرتفعة في الصيف وشح مياهه في بعض الأوقات من السنة، لكن طبيعته تخالف طبيعة الصحراء إلى حد ما لاعتماد بعض مناطقه على الري أو على الأمطار التي قد تروي مساحات شاسعة منه في بعض المواسم مما يجعله أحسن حالاً من الصحراء(٢).

تشكل منطقة "بَتّ" ـ الجزء الصحراوي من هذا السهل، وتسمى "داشتي بيدار" أو "صحراء الأموات" ـ جزءاً كبيراً منه، وتقع في وسطه من ناحية الجنوب. يبلغ عرضها ٣٠ ـ ٤٠ ميلاً مربعاً، ويقطعها الخط الحديدي الممتد بين سند ـ بيشين، وتتجلى ظاهرة السراب في أبهى صورها في هذه المنطقة والذي: "يتألق

---

(1) A.W. Hughes , The Country of Baluchistan , p.89 ff. , BDGS vol. VIA . p.4., IGI vol. XIV , p. 248 .

ونفضل استخدام اسم بانه ـ بتسكين النون ـ بدلاً من "باب" لتجنب الأشكال الذي يثيره الاسم الأخير لدى القارئ إذ هناك سلسلة جبال أخرى تحمل نفس الاسم ـ الباب ـ وتقع جنوب جهالاوان وقد ذكرت فيما سبق.

(٢) عزى المؤلف هذا الوصف لـ تي. إتش. هولدتش لكنه لم يذكر اسم المصدر.

BDGS, VOL.VIA , p.3 cf . A.W. Hughes , op.cit . p. 89.

عن بعد مثل صفحة ماء عريضة"(١). وتتعرض هذه المنطقة لرياح وعواصف ترابية عاتية خلال فصل الصيف وتندر فيها الأمطار إذ لا تتعدى كميتها ٣ بوصات في السنة، كما أنها عرضة للزلازل القوية التي قد تضرب المنطقة من حين آخر مسببة اهتزازات حادة مدمرة(٢).

هناك العديد من الأودية التي تغذي هذا السهل بالمياه موسمياً، إلا أنها سرعان ما تتفرع وتتلاشى بمجرد وصولها إلى هذا السهل، والنهران الوحيدان اللذان قد يتمكنا من الوصول إلى نهر "السند" إن فاضت مياههما بعد أمطار معقولة نسبياً هما نهر "بولان" ونهر "الملا"، ويمكن أن نذكر أيضاً بعض الأنهار الأخرى المهمة في هذا السهل، وهي نهر "ناري" و"سُكلِيجي" و"بدرا" و"هري"، وغنيٌ عن القول أن كل الأنهار الآنفة الذكر بالإضافة إلى العديد من الأنهار الثانوية الأخرى التي ذكرت في "سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان"(٣) تلعب دوراً هاماً وحيوياً في الزراعة هناك.

يتصل سهل كاتشهي مع المناطق الأخرى - من جميع الاتجاهات - بوساطة دروب وممرات وخاصة ما يقع في قسميه الغربي والشمالي، فيربطه ممر "مولا" في الغرب مع "قصدار" في "جَلَوان"، ومع "مَسْتُنغ" في "سروان"، ومن "قصدار" ينعطف هذا الممر باتجاه "خاران" و"بنجغُور" في "مكران"، ومن هناك يتجه إلى أقاليم بلوتشستان الإيرانية ومن خلفها فارس، أما ممر "بولان" في أقصى الشمال الغربي فيربط السهل مع "قويطة" ليصل إلى "قندهار في أفغانستان، وهذان الممران يعدان الممرين الرئيسين في سهل "كاتشي"، وقد ذكر أي. دبليو. هيوز تسعة ممرات أخرى، وهي على النحو التالي ممر "غَزْغ" و"ميخ كاراستا" و"لاداو" أو (مواج) وهي كما يقال

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر . BDGS, VOL. VIA يذكر هنا أن أسوأ الزلازل المسجلة كان الزلزال الذي ضرب المنطقة في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٣م.

(3) Ibid VOL.VIA. p. 9 see also A.W . Hughes , op. cit. p. 90 .

ممرات وعرة جداً وممر "كاهون كاراستا" و"تَكَرِي" و"بهاور"، ويقال عنها ممرات مقبولة نسبياً أما فيما يخص ممر "ناغهاو" الطريق المباشر بين قرية "سُنّي" في "كاتشهي" و"كلات" و"شاديهارو" و"نورمَك" فالمعلومات عنها ضئيلة(١).

منخفض "مَشْكيل":

يتخذ هذا المنخفض شكلاً مثلثياً ينحدر من جميع الاتجاهات إلى أن يستقر أخيراً في أخفض نقطة له على حوض مشكيل أو "هاموني مشكيل"، ويختلف منخفض "مشكيل" عن "جاز موريان" باتساعه وعلوه الذي يبلغ ١٦٠٠ قدماً(٢)، أما بحيرته الداخلية ـ الهامون ـ فهي ضحلة وموسمية ومياهها مالحة(٣).

يمتد هذا المنخفض بين دائرتي العرض ٢٧,٢٠ و ٢٩,٣٠ شمالاً، وبين خطي الطول ٦٢,٠٠ و ٦٦,٠٠ شرقاً، تحده من الشمال جبال "شاغاي" مع امتدادها في "كوهي سلطان" و "كوهي مِلك سياه"، ومن الشرق تحده جبال "غار" من الجانب الغربي لسلسلة "براهوي" الوسطى، ومن الجنوب تحده سلسلة "سياهان"، ومن الغرب يحده "باتشينان كوه" و"بادامو كوه"، وهو أحد جبال نجد "سرحد" الجنوبية، وتقطع هذا المنخفض سلسلة جبلية تدعى "راس كوه". التي يتخللها العديد من البحيرات المائية ـ "الهامون" ـ ونذكر منها "هاموني مشكيل" و"هاموني مُرغ" و"هاموني بدّو" وبعض البحيرات الثانوية الواقعة في القسم الجنوبي من المنخفض، أما "هاموني لورا" فهي البحيرة الوحيدة الواقعة في أقصى الشمال

(1) Ibid VOL.VIA. p.4 and A.W . Hughes , op.cit. p.91.f.

(2) Cf.M. Abu Bakr , Physiography of Chagai - Kharan , Wes Pakistan , Pakistan Geographical Review , Vol. XVIII. No.2 (1463) p.6, 8and p.33. 1960 .

(٣) يُبَيِّنُ غي . فاندونبورغ السبب وراء ظهور الهامون أو البحيرات الضحلة، بقوله: في معظم الأحوال فإن المياه قد ترتد لتتجمع في مكان ما بسبب عدم سوية الأرض وتنتشر ضمن برك ضحلة قد تغطي مناطق واسعة (دراسة جيولوجية موجزة حول صحراء بلوتشستان) " إصدارات الجمعية الجيولوجية الهندية ".

Memoir of the Geological Society of India , VOl.XXXI, ptt.ii 1901 p. 189, 235 .

الشرقي وتعد بحيرة "هاموني مشكيل" أكبر هذه البحيرات، ويغذيها نهر يحمل نفس الاسم، وهو من أكبر الأنهار في البلاد وربما كان هذا السبب وراء إطلاق معظم الجغرافيين المعاصرين اسم "مشكيل" على كل منطقة السهول والأحواض[١]. ويغذي بحيرة "مشكيل" في الحقيقة ثلاثة أنهار: أحدها يقع في الجنوب ويحمل نفس اسم البحيرة، والثاني يقع في الشمال والشمال الغربي ويعرف باسم "طهلب" (أو طحلب) وهو نهر موسمي، بينما ينحدر النهر الثالث من مرتفعات "شاغاي" من الشمال إلى شمال شرق ويعرف باسم "مورجون" ومياهه قليلة، وتقدر مساحة البحيرة. هاموني مشكيل - بحوالي ٣٥٠٠ ميل مربع[٢].

ويطلق بعض الباحثين والرحالة مصطلح الصحراء البلوتشية على منخفض "مشكيل" وكذلك إقليم "تشاغاي" وهضبة "كوهي سلطان" وحوض بحيرة زهرة إلى حدود مجرى نهر هلمند من الجنوب"[٣]. ويعود السبب في ذلك إلى هيمنة الرمال من جميع الأنواع على المنطقة الجبلية بين كوهي سلطان وشاغاي لتعزلها، وتجعل الحياة فيها صعبة جداً.

ويتكون القسم الجنوبي من المنخفض من سهل منبسط مع انحدار شمالي بسيط تغطيه بقع من الحصى الأسود الصغير فتبدو وكأنها جزر تحيط بها أكوام من الرمال والكثبان في منطقة منعزلة[٤]، ولا توجد الواحات إلاّ في مناطق تواجد

---

(١) ويزعم برايس أن مجرى "بَادُّو" أو "بادو" "بباء مثقلة" هو بمثابة الرافد الثالث الذي يغذي بحيرة مشكيل وهو خطأ، إذ ان مجرى "بادو" يقع إلى الشرق من نهر مشكيل ولا يصل إليه بل هو يصب في حوض مغلق يحمل نفس الاسم "بَادُّو" . W.C. Brice loc.cit

(2) BDGS, VOL. IV. p. 24 .

(٣) يذكر اى، سي، ييت أن الصحراء البلوتشية تمتد ما بين "نُشكي" و"هلمند" أي الأجزاء الجنوبية من حوض نهر "هلمند" . انظر: (GJ,vol.IX Jan-June , 1897 p.672)، وتعرف محلياً باسم "رِجستان" انظر (A.H.Mc Mahan , op.cit.p. 402) و (Vandenburgh, art.cit, p. 189ff) .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر: (BDGS, VOL.VII Ap. 29f) و(C.M. McGregor, Wandering in Baluchistan pp. 134, 152 - 157) و(A.H. Mc Mahon, art.cit., p.408) .

"الكارزات"(١) الآتية من "تالوس" في سلسلة "خاران"(٢)، ويعزى ظهور السهول الحجرية في بعض المناطق إلى الأمطار الغزيرة التي انهمرت على فترات طويلة خلال العصور السحيقة، سببت بروز هذه الأحجار فوق مساحات واسعة من الصحراء(٣).

وغالباً ما يتعرض منخفض ماشكيل إلى رياح عاتية ومدمرة، ليس في فصل الصيف فقط، وإنما في فصل الشتاء أيضاً التي وصفها الكولونيل لوكوود - أحد الرحالة الذين جابوا المنطقة قديماً - بأنها رياح شيطانية "ساتانيك وند"(٤).

ويقطع منخفض "مشكيل" تقريباً من كل الاتجاهات العديد من المعابر الحيوية ومن أهمها ذلك الطريق الذي يربط "نوشكي" مع "سيستان"، أو "سجستان" ويقع في الشمال وقد تحول هذه الدرب القديم إلى معبر مهم في وقتنا الحالي، إذ أنه يربط بين "قويطة" و"سيستان"، ومن ثم إلى "فارس"(٥)، كما أنه يستخدم لمرور العربات بالإضافة إلى وجود سكة الحديد المتجهة إلى "زاهدان"، وهناك ممر آخر يسير وسط المنخفض ليربط خاران مع "زاواغ" جنوبي بحيرة ماشكيل "هاموني ماشكيل"، ومن ثم يتجه إلى القسم الجنوبي من "سرحد"، ونضيف إليهما الطريق الذي يتخذ عند "خاران" اتجاهاً جنوبياً غربياً موازياً لمنحدرات "سياهان" الجنوبية، حيث يربط "شاهنا" مع "زاواغ"، وهناك العديد من الممرات والطرق التي تتجه من الشمال إلى الجنوب كما هو الحال في الطريق من "خاران" إلى "دالباندين"، ومن ثم إلى "هليمند" والطريق الذي يربط "زاواغ" مع "نوك كوندي".

---

(١) جمع "كارز" وهي عبارة عن قنوات مائية من تحت الأرض بعضها طبيعي والبعض اصطناعي، والتي هنا طبيعية التكوين.

(2) Vandenburgh , art.cit ., pp. 56, 234 .

(3) Ibid ., p. 183. , A.H. MCMahon, loc.cit .

(٤) كان مرافقاً لأحد الجواسيس البريطانيين واسمه "ماك غريغر" في رحلاته خلال بلوتستان، في مطلع القرن العشرين انظر: C.M. Mc Gregor , op.cit. p. 128

(5) BDGS, VOL, IVA. P145 ff , VOL. VIIA. p. 8, 124 , ff .

جاز موريان:

يحد هذا المنخفض من الشمال جبال "كوهي بَازْمَان" وامتدادها الغربي ومن الجنوب جبال "بَشْكُرْد" والمرتفعات الغربية لسلسلة جبال مكران الوسطى ومن الغرب جبال "كوهي خَبْر"، ومن الشرق الأطراف الغربية للجزء الجنوبي من هضبة "سرحد". وطول هذا المنخفض ٢٠٠ ميلاً وعرضه ٥٠ ميلاً، ويقع على ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر.

ما يميز هذا المنخفض هو أن تصريف مياهه داخلي والتي يغذيها نهران: نهر "رُود هَلِيل" من الغرب والشمال الغربي، ونهر "بَمْبُور" من الشرق، وتتشكل فيه بحيرة ضحلة على شكل مستوعب للمياه العذبة الموسمية، ويطلق عليها اسم "جازموريان"، وينفتح هذا المنخفض على جميع المناطق المجاورة عن طريق العديد من الدروب والممرات(١).

" قد تنشط الزراعة الدائمة على الضفاف الغرينية للبحيرة والمناطق القريبة منها، ولكن كلما ابتعدت أراضي المنخفض عن البحيرة كلما تحولت إلى قفر تغطية الكثبان الرملية، وتقطعه الأقنية الجانبية المتفرعة عن النهرين السابق ذكرهما" ويمكن مشاهدة المستوطنات والواحات بالقرب من البحيرة وفي منطقتين أخريتين: إحداهما تقع في الشمال الغربي على الروافد العليا لنهر "رود هَليل" وتدعى هذه المنطقة سهل "جيرفت"، والمنطقة الأخرى تقع في أقصى الشرق على نهر "بمبور"، وتعرف باسم سهل "بمبور" وعاصمته "إيرانشهر".

منخفضا زرّه وسيستان:

يغطي منخفض "زرّة" المنطقة الجنوبية لنهر "هيلمند"، وهو قفر واسع تغطيه التلال الرملية الكبيرة، ويبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر ١,٥٨٠ قدماً

---

(١) من أجل الممرات انظر ما تقدم عن الجبال الحدودية لجازموريان وأيضاً انظر:

GHS: Persia , p. 104f. W.C. Brice . p. 194 .

تقريباً، وينحصر امتداده ضمن المنطقة الواقعة بين نهر "هيلمند" و"كوهي سلطان" في الشمال وبين "تشاغاي" الذي يفصله عن منخفض "مشكيل" في الجنوب وبين كوهي "ملك سياه" مع جزء من سهل سيستان في الغرب وبين سهل صحراوي شاسع في الشرق، وقد قيل أنه ما من جماعات بشرية استقرت فيه منذ سالف الأزمان حتى الآن سوى بعض الجماعات البدوية الرعوية المتنقلة، وفي نهايته الغربية تقع سبخة موسمية من المياه المالحة، وتدعى غودي زِرّه التي تثير الاشمئزاز نظراً لطبيعة مياهها الآسنة الكريهة(١). ويبلغ طول البحيرة ٢٥ ميلاً وعرضها خمسة أميال ويغذيها نهران متقطعا الجريان : أحدهما يجري من الجنوب الغربي وتحديداً من منطقة جبال "تشاغاي"، والآخر ينحدر من جبال "كوهي ملك سياه" في الغرب، وقد تتغذى أحياناً من "بحيرة سيستان" ففي مواسم الفيضانات تتدفق المياه الزائدة عن البحيرة عبر قناة "شيلاغ" على طول ٨٠ ميلاً حتى تصل سبخة غودي زِرّه(٢).

ومن ما يميز "منخفض سيستان" وجود البحيرة الكبيرة المشهورة فيه وتعرف بـ "بحيرة سيستان أو هاموني سيستان"، وبسبب عذوبة مياهها ونقاوتها فقد جعلت أراضي المنخفض من حولها خصبة تنتج محاصيلاً هامة بنوعها وكمها، وهذا يفسر إطلاق تعبير "مخزن قمح آسيا" على سيستان فيما مضى(٣). ولم يتم مسح

(١) يعلق سي. ام. ماك غريغر على هذه المياه فيقول : أُغ ! سيلتصق ذكراها في مخيلتي طالما حييت. هناك بالتأكيد أشياء محددة لا يمكنني نسيانها : ذلك المسحوق الناعم الذي اعتادت عمتي أن تطليني به. عندما كنت طفلاً والآن سأضيف إليه بالتأكيد هذه المياه ". انظر:
Wanderings in Baluchistan , op.cit, p. 183 .

(٢) GHS: Persia . p.117 ومما يستحق الذكر هنا أن هذه المنطقة قد عرفت لعدد من الرّحالة الغربيين وخاصة البريطانيين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نذكر منهم على سبيل المثال، C.M.McGregor, A.H. McMahon, A.W. Hughes و G.P.Tate وغيرهم وكتب عنها كذلك من الرحالة المسلمين في العصور الوسطى العديد من أمثال ابن حوقل، والاصطخري، والمقدسي، والمسعودي، وياقوت الحموي وغيرهم.

(٣) المرجع السابق ص ١١٦.

المنطقة بكاملها نظراً لانقسامها حالياً بين إيران وأفغانستان لكنه يقال إن الجزء الفارسي: "يغطي مساحة تبلغ ٢٨٥٠ ميلاً مربعاً" كما يتميز هذا المنخفض بتعرضه الدائم لرياح صيفية شديدة من مايو حتى سبتمبر كل سنة، وقد تغطي القرى والحقول بالأتربة مما يتطلب العمل الدائم على إزالتها[١]، ويقول فيها الاصطخري: "وتشتد رياحهم وتدوم... وتنقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها لطمست على المدن والقرى[٢].

يحصل هذا المنخفض على مياهه من أفغانستان من منطقة تبلغ مساحتها ١٢٥٠٠٠ ميلاً مربعاً، ويجلبها إليه أربعة أنهار هي: نهر "هيلمند" ونهر "خواش" ونهر "فرح" ونهر "هاروت" أو (ادرا سكان) ويعد نهر "هيلمند" النهر الرئيس بين المجموعة. ويتراوح معدل تدفقه ما بين ٢,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠ م٣ في موسم الفيضانات ويقال بأنه قد يتدفق عشرة أضعاف هذا المعدل خلال الفيضانات غير الاعتيادية[٣]. ويقع مجراه السفلي في أفغانستان تحت واد ضيق، وقد يتسع في بعض الأماكن ليصل إلى عرض ميلين لا تقطعه سوى بقع مغطاة بالحصى، و"بالقرب من "بندر كمال خان" وفي منطقة انفتاح الجروف باتجاه الشمال والجنوب، يشكل النهر مثلثاً حيث ينقسم إلى ثلاثة فروع رئيسة "[٤].

وتقع "بحيرة سيستان" على ارتفاع ١٥٨٠ قدماً عن مستوى سطح البحر وهي أعلى من بحيرة "غودي زرِه" بحوالي ٤٠ أو ٤٥ قدماً. يتراوح معدل عمقها الوسطي بين ٤ ـ ٨ أقدام إلا أنه قد يصل إلى ١٥ قدماً في مواسم الفيضانات، وقد تغطي مياه البحيرة حينها ١٠٠ ميل طولاً و ٥ ـ ١٥ ميلاً عرضاً من الأراضي ولكنها

(١) المرجع السابق ص ١١٦.

(٢) انظر المسالك والممالك (لايدن ١٨٧٠م ص ٢٤٢) وكذلك ياقوت، " معجم البلدان، جـ ٥ (بيروت ١٩٥٧م ص ١٩٠) ".

(3) Geographical Hanbook Series : Persia , p. 116 .

(4) Ibid .

ما تلبث أن تجف حال انتهاء مواسم الأمطار، ويبقى القسم القليل منها في مركز البحيرة على مدار السنة. علاوة على ذلك تتأثر مياه البحيرة بعملية التبخر التي تسببها الرياح الصيفية الشديدة من ناحية وحرارة الصيف اللاهبة من ناحية أخرى ناهيك عن العوامل الأخرى التي تتعرض لها على مدار السنة من نز ورشح وما شابه ذلك.

وصحراء لوط الجنوبية هي جزء من "داشتي لوط" ـ أي صحراء لوط ـ ويحدها من الشمال الطريق بين "دَرَبَنْد" و"بِرْغَنْد"، ومن الجنوب مرتفعات "جبل البارز" و"كوهي بازْمَان"، ومن الشرق الجزء الغربي من "نجد سرحد"، ومن الغرب كوهي "سُغُوتش" شرقي "كِرمان"، ويغذي هذا الحوض الصحراوي العديد من الأنهار الموسمية الصغيرة الداخلية، وهو عرضة للرياح الشديدة طوال أيام السنة والمسببة لانتشار تلال الرمل في كل مكان، وترتفع صحراء لوط حوالي ٨٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر، ومع ذلك تعد أخفض منطقة في الهضبة الإيرانية وتغطيها الكثبان الرملية والأخاديد الضخمة التي تتخذ اتجاهاً شمالياً ـ شمالياً غربياً وجنوبياً ـ جنوبياً شرقياً.

وهناك العديد من الواحات التي تدعم الطرق الممتدة بين "بم" و"فَهْرَج" و"نصرة آباد" في الطرف الشمالي الغربي من الصحراء، وقد فرش هذا الطريق بالإسفلت لربط "كرمان" و"زاهِدان"، وقد رشح ليكون مساراً من مسارات الخطوط الحديدية في إيران الوسطى ليربط بين مدينة "بم" ومدينة "قويطة"(١). وهناك طريق آخر جنوبي الصحراء يعبر وسط الحوض من "خَبيص" أو "شالداد" في الغرب مروراً "غُدَري بارُت" ومن ثم مباشرة إلى "نيه". ويبقى هناك الممر القديم الذي يعبر لوط الجنوبية من الجنوب والجنوب الغربي إلى الشمال والشمال الشرقي، وأول من ذكر هذا الدرب هم الجغرافيون المسلمون، ومن ثم أكده الدكتور أي. غابربيل الذي اجتاز المنطقة من "غارّ سفيد" إلى "كاشيت" عبر صحراء لوط(٢).

---

(١) انظر W.C. Brice, op.cit., p. 194و .. GHS. Persia, p. 95

(٢) مَدَونٌ في (GHS. Persia, p. 95).

السواحل:

يمتد ساحل بلوتشستان من أقصى نقطة له في الشرق - "رأس مونزه" على دائرة العرض ٢٤,٤٦ شمالاً، ويتجه غرباً بشكل محدب إلى بلدة "ميناب" الواقعة على مضيق هرمز وبطول إجمالي يبلغ حوالي ٨٠٨ ميل(١)، ويضم أيضاً كلاً من سواحل "لسبيله" و"مكران الباكستانية" و"مكران الإيرانية". وخلفيته جبال عارية قوامها الصخور الجصية أو الرملية، وفي بعض مناطقه يضيق، ويتحول إلى ساحل رملي تتناثر فوقه بعض البقع الزراعية المجاورة للقرى لتضيف إلى نشاط صيد السمك نشاطاً زراعياً. يشكل هذا السهل الساحلي شريطاً طويلاً من الرمال المختلفة الأشكال من مناطق مسطحة، وكثبان رملية، وتلال بعضها ذات ارتفاعات معتبرة، ويختلف عرض هذه المسطحات باختلاف المناطق حيث يتراوح عرضها من ١ - ١٠ أميال كما هو الحال في "بيابان" ومن ١ - ٢٥ ميلاً كما في مكران الإيرانية، ويقطع هذه المسطحات في العديد من أجزائها بعض الكتل الصخرية المتصلة بالبحر ذوات الحواف الجرفية وهي عبارة عن فروع من سلسلة الجبال الساحلية تصل إلى مياه البحر على شكل ألسنة حادة الارتفاع ووعرة المسالك، لذلك لا يمكن النزول إلى اليابسة إلا عن طريق خلجان تنتشر في أماكن مختلفة ومتفرقة(٢). إلا أن هناك العديد من المناطق التي تتخذها السفن مراسٍ لها ومنها "أورمارا" و"باسني" و"سُنمياني" و"كَلْمَت" و"غُوادَر" و"شاهبار" و"جاسك" و"ميناب".

وتتباعد المناطق المأهولة من السهل الساحلي عن بعضها البعض، ولا يوجد سوى البلدان والقرى الصغيرة، والسبب في ذلك قلة الأمطار وطبيعة التربة المالحة

---

(١) لا يوجد حتى الآن أي رقم يدل على طول ساحل مكران وبلوتشستان ويبدو أنني أول من وضع رقماً لهذا الطول بالاعتماد على العديد من المصادر. انظر مثلاً " لوريمر، دليل الخليج، ص ١١٣٢ و 1132; GHS;Persia, P.135,137، وكذا IGI, VOL.I,p.342, IGI,VOL. XVII, p.45, VOL. XVI, p. 145.

(٢) انظر: GHS : Persia, p. 137 وC.M.McGergor, op.cit, p.11

وتضاريس المنطقة، ويضاف إلى ذلك استحالة رسو المراكب الصغيرة لما تتعرض له المنطقة من عواصف رملية خلال الفترة الواقعة بين أبريل ويوليو إلى جانب علو الأمواج وشدة تكسرها على الشاطئ، ويمكن حفر الآبار في أي مكان على أعماق تتراوح بين ١١ ر١٥ قدماً، ومما يمكن ملاحظته أن سكان هذه المنطقة مسالمون بطبعهم فلا يميلون إلى العدوان(١)، ويزرعون النخيل والقطن والسكر والقمح وبعض الفواكه الاستوائية، ويعد سهل "دَشْتياري" الواقع في المنطقة الحدودية في الوسط ما بين بلوتشستان إيران وبلوتشستان الباكستانية من أخصب الأجزاء على ساحل مكران، ومن المعلوم أن السمك في هذه المنطقة لا يصطاد فقط لتأمين الغذاء، وإنما يعتبر سلعة تجارية يقايض بها مع التمور من المناطق الداخلية ويقوم الأهالي بتصدير ما يتبقى من أسماك صغيرة بعد عمليات الفرز إلى "سريلانكا" كسماد عضوي يستخدم في الزراعة.

أما المعابر والمجازات والدروب فتتراجع إلى الداخل خلف المستنقعات والرمال المتحركة، وتقتصر سبل التواصل مع الداخل على المسالك المائية والتي تعد ظاهرة تختص بها هذه الأصقاع، وقد تنقطع هذه الدروب خلال مواسم الفيضانات.

الأنهار:

من الواضح أن بلوتشستان تفتقر للأنهار الغزيرة والدائمة كتلك الأنهار الموجودة في وادي السند والمساهمة في إخصاب الأراضي الزراعية هناك، لذلك سنطلق صفة الأنهار على تلك المسالك المائية التي تمتلئ ماءً في أوقات معينة من السنة، وما تلبث أن تجف أو تفقد غزارتها لتغدو مجرد مجارٍ تسير فيها المياه الضحلة ببطء شديد، وأيضاً سنطلق هذه الصفة على تلك المجاري الطويلة نوعاً ما، والتي قد تصل إلى أطوال تتراوح بين ١٨٠ و ٣٥٠ ميلاً، أو ما نشير إليه بالأنهار، وإلاّ فهي مجرد أودية أو مجاري للمياه أو "مصارف مياه جبلية كبيرة على المدى الواسع"(٢).

(١) ج. لوريمير - دليل الخليج - ص ١١٣٦.

(2) A.W. Hughes, op. cit, p. 9.

وبشكل عام فإن الأنهار في بلوتشستان تتدفق فقط خلال مواسم الأمطار. وبعضها لا يجف فقط بعد مواسم الأمطار، وإنما على مدى أعوام متتالية، وبعضها يحتفظ بالقليل من المياه في مجاريه الصخرية الكتيمة بينما هناك أنهار يستمر جريان الماء في مساراتها المنخفضة، منها نهر "زَهُوب" و"لورالاي" (ناري) و"بيشين لورا" و"هاب" وأحجام مياهها صغيرة جداً فيما عدا مواسم الأمطار. و"بعض الأنهار - على سبيل المثال - نهري "هنغول" و"بولان" يسيران فوق وتحت الأرض ويختفيان عن سطح الأرض في الأراضي الكلسية"(١).

وبعض الأنهار الكبيرة - بعد أن تجف - تخلف وراءها بركاً مائية أو بحيرات تساهم في إحياء الزراعة حتى في سنين الجفاف، ومن الأمثلة على ذلك، نهر "دَشت" وروافده "رَخْشان" و"داشتياري" و"مشكيل" و"بمبور".

وهناك سمة عامة تشترك فيها كل أنهار بلوتشستان تقريباً، وهي تعرضها الدائم للفيضانات القوية والعنيفة، والسبب أنها جميعها تنحدر من ارتفاعات مختلفة تتغير من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ حتى إلى ٥٠٠ قدماً. إن الفروق الكبيرة في الارتفاعات قد ينجم عنها قوة مدمرة وضغطاً هائلاً لمياه النهر(٢).

وما يمكن إضافته هنا هو أن جميع هذه الأنهار عديمة الفائدة، ولا تصلح لمشاريع إنتاج الطاقة الكهرومائية أو لعبور المراكب فسرعان ما تتغير حجوم المياه دون سابق إنذار من مسافة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر.

---

(1) K.U.Kureshy, A Geography of Pakistan , 4th ed (Karachi , 1978) p.28 .

(٢) يعلق ت. اتش. هولديش T.H. Holdich على فيضان حدث في أغسطس من عام ١٨٩٠ قائلاً "لم يغمر هذا الفيضان سكة الحديد فقط، حتى ظننت أنه من المستحيل إعادتها لما كانت عليه، وإنما أزال مزاراً " أو اثنين من الوجود... إن هذه الحقيقة تعكس جهل أهالي المنطقة بالقوة الحقيقية لفيضان بولان " ويضيف قائلاً " يروي سكان المنطقة المحليون الكثير عن الخراب الذي تسببه مثل هذه الفيضانات، فقد صادف أن حملت الفيضانات معها مجموعة من عشرين شخصاً بماشيتهم وممتلكاتهم.... " BDGS VOL.IV.p 6f.

وأغلب الأنهار تجري ضمن مجار ضيقة يتراوح عرضها بين ٤٠ ـ ٨٠ ياردة كما في "زهوب" وبين ٨٠ ـ ١٥٠ ياردة كنهر "تنكى زُرّتي" في منخفض "مشكيل" ونهر هنغول، لذلك يصبح العبور مستحيلاً أثناء الفيضانات الكبرى، وتنقطع الاتصالات فيما بين المناطق، أما في أيام الجفاف فبعض قيعان هذه الأنهار يصبح صالحاً للعبور، مما يربط الممرات الداخلية والخارجية ببعضها كما هو الحال في "بولان" و"مُلاّ". أما ما يبقى من مياه دائمة إن كان في الجداول الضحلة أو البرك فإنها تستخدم لغايات الري عن طريق بناء السدود والحواجز وحفر الأقنية.

ويوجد في بلوتشستان تقريباً ستة وعشرون نهراً تختلف فيما بينها بالغزارة والطول، ويمكن أن نقسم هذه الأنهار حسب اتجاهاتها إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى وتضم الأنهار المتجهة إلى وادي السند والمجموعة الثانية تضم الأنهار المتجهة إلى بحر العرب وخليج عُمان، ومجموعة الأنهار التي تتلاشى في الداخل.

وتضم المجموعة الأولى أنهار "زهوب" و"ناري" و"لاهري" و"بولا" و"مولا" و"نادراً ما تصل هذه الأنهار إلى وادي السند ـ باستثناء مواسم الفيضانات الغزيرة ـ إذ يعتمد ذلك على كمية الأمطار ومقدار التبخر وكمية المياه المستهلكة في عمليات الري. ويذكر أن نهر "زهوب" يبدأ مسيرته من المنطقة الشرقية لمستجمعات أمطار بيشين ـ دائرة العرض ٣٠,٤٥ شمالاً وخط الطول ٦٧,٣٣ شرقاً ـ ويكمل طريقه لمسافة ٢٤٠ ميلاً حتى يتصل مع نهر غومال، ومن روافده الرئيسية: نهر التوي (كانديل) ونهر "سيرتاي" من الشمال الغربي والغرب، ونهر "سِوار" من الشرق، وهناك أيضاً روافد ثانوية تذكر منها نهر "شُوكان" و"رود فقيزلي" و"رود جوغيزاي" أو (خاشيل) "كمتشوغاي". ونهر الزهوب ضحل المياه لا يتعدى عمقه قدمين في أكبر بركة له، ولكن يجب الحيطة أثناء عبوره، إذ أن قاعه ناعم جداً وفي العديد من الأماكن يشبه الرمال المتحركة[1].

---

(1) BDGS. VOL.I. p. 18f.

أما نهر "ناري" فيعرف باسم نهر "لورالاي" في إقليم "لورالاي"، وينحدر من المنطقة القريبة من "سبيراراغا" في جبال "خليفت" على ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم متجهاً جنوب شرق، وجنوباً عبر "لورالاي" و"سيبي"، وبعدها ينفرج إلى سهل كاتشي حيث يتفرع إلى عدد من الأقنية عند دائرة العرض ٢٨,٣٠ شمالاً وخط الطول ٦٧,٥٧ شرقاً ـ وبالكاد يصل بلاد السند، ويبلغ الطول الإجمالي لهذا النهر ٣٠٠ ميل ويحمل أسماءً متعددة ومختلفة تبعاً لكل منطقة يمر بها فتارة اسمه نهر "لورالاي" وتارة نهر "أَنَمبَرْ" ومرة نهر "بيجي" وأخرى نهر "ناري"، ومن روافده نهر "كاهار" (أو بابيا) ونهر "سيابسيلان".

ويستمد نهر بولان مياهه من جبال "زَرْغون" جنوب شرق "قويطة" ويرجع اسمه إلى اسم الممر التاريخي الذي يقطعه في بعض أجزائه ولا يوجد قياس محدد لطوله لكنه بالتأكيد لن يزيد عن طولي نهري "ناري" و"مولا"، وفي أيام الفيضانات يصبح خطيراً لتدفق المياه الغزيرة والسريعة، أما في الأيام العادية فلا يغدو أكثر من جدول ضحل المياه، وقد أشار إليه أي. دبليو. هيوز على أنه "مسيل جبلي" يندر استخدامه في الري.

وأخيراً يأتي نهر "مولا" ضمن هذه المجموعة حيث تبدأ مياهه بالتجمع قريباً من جبال "هَرْبوي"، ومن ثم تتدفق على طول يبلغ ١٨٠ ميلاً. ويتميز نهر "مولا" بتعرج مساره فيتخذ اتجاهاً جنوبياً شرقياً حتى يصل إلى نقطة تقع على ممر "مولا". وهناك يتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً وبعدها اتجاهاً شرقياً، ومن ثم يعود فيتجه جنوباً وهو يروي السهول الواقعة في محيط "غَنْدافا"، ومن روافده: نهر "مَلْغاوي" ونهر "أنجيرا" (أو بيسبيل) ونهر ليدار.

أما المجموعة الثانية فتضم أنهار "هاب" و"بورالي" و"هينغول" و"الداشت" الواقعة في باكستان ثم أنهار "دَشتياري" أو (كالو) و"رابْش" و"ساديتش" و"غَبرِغ" و"جاغين" و"روديان" المتدفق إلى خليج عمان الواقعة في مكران، ويقال

بأن الأنهار الثلاثة الأولى دائمة الجريان، أما البقية فمعظمها موسمية تتأثر بكميات الأمطار(١).

يتميز نهر "هاب" بأنه الحد الفاصل بين إقليمي السند و"لَسبيلا"، وهو يبدأ من شمالي سلسلة الباب، ومن ثم يتخذ اتجاهاً جنوبياً شرقياً ـ حوالي ٢٥ ميلاً ـ ومن ثم جنوباً ـ ٥٠ ميلاً ـ وأخيراً اتجاهاً جنوبياً غربياً عبر سهل بيلا حتى يفرغ مياهه في بحر العرب بالقرب من رأس "مونز" بين دائرة العرض ٢٤,٥٤ شمالاً وخط الطول ٦٦,٤٢ شرقاً، ويقطع في رحلته تلك مسافة ٢٤٠ ميلاً دون أن يستفاد من مياهه في عمليات الري.

وتسير مياه نهر "بورالي" جنوب "جَلوان" بعد أن يتلقاها من روافده الثلاث، وهي "الكوند" و"التيبي" و"لوهندف" وينحدر باتجاه الجنوب نحو بحر العرب بطول ١٧٥ ميلاً مغذياً العديد من البحيرات ـ المعروفة محلياً بـ الهامون ـ ليستنفد مياهه قبل أن يصل البحر.

يعد نهر "هِنْغُول" أطول أنهار هذه المجموعة، إذ يبلغ طوله ٣٥٨ ميلاً. يبدأ مسيرته من المنطقة الواقعة جنوب "كَلاَت" تحت اسم "غيدَر"، ومن ثم يتلقى مياهه من عدة روافد أهمها "مَشْكي" الذي يروي منطقة كبيرة "رغاي" و"غِشك". ويمر نهر "هنغول" في الجنوب عبر سلسلة من الممرات الضيقة حتى يصل إلى بحر العرب.

أما نهر الداشت فهو من أكبر الأنهار الموجودة في مكران، ويتزود بمياهه من فرعين هما: "كيل" أو "كيج"، و"كُور" و"نِهِنْغ" اللذان يتدفقان خارجاً من سلسلة جبال مكران الوسطى على طول يبلغ ٢٥٥ ميلاً حسب طول الفرع الأكبر منهما. وبعد أن يلتقيا في وادي كيج (أوكيش) على مسافة إلى غربي "توربات" يشكلان نهر الداشت الذي يتخذ اتجاهاً جنوبياً وجنوبياً غربياً حتى ينتهي في

(1) K.U.Kureshy. op.cit, p. 28 .

خليج "غُـوَتَر" : ويعد هذا النهر نهراً متقطع الجريان، لكنه يخلف وراءه عدداً من البرك المائية الدائمة هنا وهناك مما يدعم الري والزراعة.

أما نهر "دشتياري" فيعرف باسم "كوركالو" أيضاً، ويجري بمنطقة ليست بعيدة عن غربي داشت لكنها تقع ضمن أراضي مكران الإيرانية وبمقارنته مع الأنهار التي سبقت فيعد أقصرها، لكنه أطول الأنهار الموجودة في مكران إيران بطول يبلغ تقريباً ١٢٠ ميلاً، فبعد أن يتلقى مياهه من "سَرْباز" في الشمال يتجه جنوباً ليروي سهل "دشتياري"، ومن ثم ينتهي في بحر العرب.

ونهر "ميناب" الذي يبلغ طوله ثمانية وثمانين ميلاً فهو ذو أهمية ضئيلة، ويصب في شمالي مضيق هرمز، ويشبهه في ضآلة شأنه أنهار "كور" و"رابتس" و"سدائتش" و"غَبْرغ" وتضم المجموعة الثالثة أنهار "رَخْشان" و"مَشْكيل" و"لورابيشين" وجميعها يصب في بحر العرب. وبعض الأنهر الأخرى ذوات الشأن الأقل جداً وتضم "بَدّو" و"طحلب" و"بمبور" و"رودهليل" وهذا النهران الأخيران يرويان "جاز موريان"، ولا تجري هذه الأنهار على مدار السنة باستثناء نهر "لورا بيشين".

يعد نهر "رَخْشان" من أكبر أنهار شمالي مكران، وينطلق من شمال شرق سلسلة "سياهان" بالقرب من "شيريزا"، ويتخذ اتجاهاً جنوبياً غربياً ليروي وادي "راخشان" ووادي "بنجور"، وبعد مسافة نحو الغرب يلتقي برافده "غوارغو"، وبعدها يتجه شمالاً لينضم إلى نهر "مشكيل" بالقرب من "وَشَب"، ويبلغ طول مجراه ٢٨٥ ميلاً، ومياهه غير دائمة، إلا أنه يخلف بعض المياه في البرك وفي مضائق ممر "غَرَوغْ" أو "تنكي غَرْوغ".

أما نهر "مشكيل" فتقل المعلومات الدقيقة عن طوله وقد يعود السبب لامتلاكه فرعين يجريان في مناطق مختلفة من بلوتشستان إيران و"كلات" من بلوتشستان باكستان أما مجراه فمن المؤكد أنه يبدأ من نجد "صرحد" بوجود ثلاثة روافد متشابهة، هي "باشوت" و"مَغَاس" و"سيميش" وبعض الروافد الثانوية المنحدرة من

"كوهي بَمْبُشت" ، ويجري باتجاه الشرق وشمال شرق حتى يلتقي مع نهر راخشان في "تنكي زُرّتي"(١) بالقرب من "وَشَب" . ومن هناك يتخذ اتجاهاً شمالياً عبر سهل صحراوي رملي إلى أن يفرغ مياهه في "هاموني مشكيل" . وهو نهر متقطع الجريان وعرضة للجفاف في أجزاء من فصول السنة، وعندما قام الرحالة " إتش. بوتينغر" بعبوره التبس عليه اتجاه مساره فأخطأ بين الشمال والجنوب إلى أن جاء سي. إم. "مَكْريغَر" بعد ٦٦ عاماً وصححها عام ١٨٧٦ - ١٨٧٧(٢).

ويشق نهر "لورابيشين" طريقه عبر جبلي "كاند" و"خواجه عمران" الواقعين شمال وجنوب غرب "قويطة" ، وينتهي في المنطقة التي تتشكل فيها بحيرة لورا (هاموني لورا) ويبلغ طوله الإجمالي ٢٥٠ ميلاً(٣). وروافده الرئيسة هي "بْرَشرُلورا" - وهو الجدول الرئيس - و"كَكَلرْلورا" و"صُرْخاب" و"الشورارود" . وبعد أن يلتقي نهر لورا مع رافده "الشورارود" يمر عبر ممر ضيق وعميق حتى يصل إلى سهل "شوارارَك" - عند دائرة العرض ٢٢ ,٣٠ شمالاً وخط الطول ٢٢ ,٦٦ شرقاً - وبعدها تجف مياهه وتتلاشى، ولا نعلم مدى أهميته في عمليات الري، إذ أن المصادر لم تذكر ما يتعلق بذلك.

المناخ

يمكن القول بأن بلوتشستان تمثل نقطة الاتصال ما بين نهاية امتداد المناخ المتوسطي (مناخ البحر الأبيض المتوسط) وبين مناخ الهند الموسمي، ففي الشتاء والربيع تتجه المنخفضات الجوية القادمة من البحر الأبيض المتوسط حاملة معها

---

(١) يستخدم تعبير تانكي أو تنك في BDGS ولدى بعض الرّحالة من الغربيين، أما سي. بي. سكراين (C.B.Skrine) فيستخدم "تنغي" وهي كلمة فارسية تعني الممر. وتكتب هكذا "تنگ" وهذا اللفظ هو الأصح لدى الباحث حسب قواميس اللغتين الفارسية والأردوية". BDGS, VOL.IVA.p.20.

(٢) انظر H.Pottinger , op.cit, 134 وانظر C.M.NcGregor, op.cit, p.157 .

(3) BDGS , VOL.IVA, p.20 .

الغيوم المشبعة لتسكب أمطارها فوق بلاد فارس وبلاد بلوتشستان، سواء على جبال تافتان وصرحد أو على المنطقة الشمالية الغربية لسلسلة جبال براهوي العليا، أما في الصيف فتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الهندية يبدو واضحاً على شواطئ مكران و"لَسْبيله" وعلى مناطق الداخل وإن يكن بتأثير أضعف خاصة في سيبي "لورالاي" حيث يقل هطول الأمطار الموسمية.

ومثل بقية البلاد المجاورة لها، فإن بلوتشستان تقع ضمن منظومة الضغط الجوي الذي يهيمن على آسيا الوسطى، فيرتفع في الشتاء وينخفض في الصيف لذلك تتعرض البلاد شتاءً إلى رياح جنوبية باردة وقارصة تسبب انخفاضاً في درجات الحرارة قد تصل إلى ١٣ درجة مئوية تحت الصفر، وفي الصيف يمتد حزام من الضغط الجوي المنخفض من السند حتى خليج فارس إلى أن يصل شبه الجزيرة العربية فينجم عن ذلك رياحاً مدمرة تهب على بعض المناطق مثل سيستان وخاران وشاغاي ومكران.

وتقع بلوتشستان على دائرة عرض شبه استوائية فلذلك يكون الجو حاراً في الصيف ومعتدلاً في الشتاء، وعلاوة على ذلك تتميز المنطقة بتفاوت درجات الحرارة بشكل حاد وكبير نتيجة لاختلاف التضاريس الموجودة فيها فمن جبال شاهقة وهضاب، مرتفعة إلى وديان وسهول ومنخفضات. فقد تتلقى المرتفعات وخاصة الفروع الشمالية الغربية لجبال براهوي الوسطى وخواجة عمران وكوهي سلطان مع قسم من شاغاي وكوهي تفتان قليلاً من مياه الأمطار القادمة من البحر الأبيض المتوسط خلال فصلي الشتاء والربيع، لكن المناطق والمرتفعات الشرقية والجنوبية التي تنأى بعيداً عن وصول الأمطار تبقى جافة وقاحلة، هذه المرتفعات التي تتراوح بين عشرة آلاف وثلاثة آلاف قدم، تتسبب في ارتفاع الحرارة نهاراً وانخفاضها بشكل حاد ليلاً، وهي السبب أيضاً في هبوب الرياح الباردة جداً في فصل الشتاء.

أما الأمطار فغالباً تكون قليلة وتندر أحياناً، وتتزايد عوامل التبخر نظراً لارتفاع هذه المناطق وتعرضها الدائم لأشعة الشمس، أما الرياح فبتجوالها دون عوائق أو قيود فوق المناطق الأكثر انبساطاً تجلب صيفاً شديد الحرارة وشتاء قارص البرودة.

ويهيمن القحل والجفاف على مجمل المناطق الساحلية وبعض المناطق الداخلية "لكنه ورغم جفاف الجو وخلوه من الرطوبة فوق الأصقاع الداخلية العالية، يزداد رطوبة على الساحل وتترافق مع حرارة لا تطاق"(١).

ولأن المنطقة دائمة التعرض لأشعة الشمس فترتفع الحرارة فيها صيفاً وخاصة فوق السهول والوديان والنجود، فمثلاً، قد تصل إلى ٥٠ درجة مئوية في "بيبي ناري" في أحد المحطات بممر بولان ـ ضمن معدل يتراوح بين ٤٢ ـ ٤٧ درجة مئوية، وفي السهول نجد أنه في كاتشهي مثلاً، يتراوح معدل درجة الحرارة على مدار العام بين ٣٥٫٥ إلى ١٤٫٥ درجة مئوية، أما السواحل فشتاؤها دافئ وصيفها حار ورطب، ففي الشتاء تتراوح درجة الحرارة بين ٣١ ـ ٣٥ درجة مئوية، كما هو الحال في جاشك (أو جاسك) وشاهبار، بينما ترتفع الحرارة في الصيف إلى ذروتها ضمن معدل يتراوح بين ٣٥ ـ ٤٣ درجة مئوية. وكما أشار " لورمير " فإن الجو هنا يصبح سيئاً للغاية فلا يمكن للأوروبيين تحمله(٢)، والأسوأ من ذلك استحالة النوم بوجود العديد من أنواع الحشرات وخاصة البعوض.

أما الصيف المعتدل واللطيف فينحصر وجوده فوق الجبال العالية ـ جبال صرحد وبراهوي الوسطى و"توباكَكَر" وسلسلة جبال سليمان، ففي قويطة مثلا حيث الارتفاع (٥٥٠٢ قدماً)(٣). قد تصل الحرارة إلى ٣٦ درجة مئوية في فصل الصيف. لكن فصل الشتاء في مجمل هذه المناطق بارد جداً وقارص، فقد يستمر تساقط الثلوج على مدى أسابيع حيث يصل إلى أقصى نقطة له في الجنوب عند

(1) GHS : Persia, 156 .

(2) Dalil Al Khalij , pt,li, p. 1133 . GHS = Persia , p. 158 .

(3) IGI, VOL. VL. p. 273 .

"خوزدار" وباغوانا، وأما في المنخفضات والصحاري ـ مشكيل وغودي زِرِّه (أو الصحراء البلوشة) وجاز موريان وصحراء لوط الجنوبية ـ فتعلو الحرارة صيفاً خلال النهار وتعتدل ليلاً، وفي الشتاء يعتدل الجو نهاراً ويشتد برودة ليلاً(١).

ولأن البلاد تتأثر بالضغط الجوي المهيمن على منطقة آسيا الوسطى بشكل عام الذي يكون منخفضاً صيفاً ومرتفعاً شتاءاً، فإننا نلحظ تعرض البلاد لرياح شمالية وشمالية شرقية باستمرار، وتسبب هذه الرياح انخفاض الحرارة فجأة تحت الصفر في فصل الشتاء والجفاف والتبخر الزائد في فصل الصيف(٢).

وهناك رياح أخرى جنوبية غربية تقوى في المناطق الداخلية الشمالية الشرقية المتاخمة لساحل مكران، بينما تضعف على الساحل وتحديداً في "اِغْوَتّرْ". تبدأ هذه الرياح بالهبوب من ١٠ يوليو لتستمر حتى منتصف سبتمبر أحياناً، أما الساحل فتهيمن عليه نسائم البحر طوال العام، وتبقى الرياح الشمالية الغربية الأكثر شيوعاً وأثراً في بلاد بلوتشستان وتعرف في مكران وجلوان وسروان باسم "غُورِيش". وهي دائمة الهبوب، وتتصف ببرودتها شتاءً وبلهيبها صيفاً لذلك عند هبوبها بقوة تدمر المزروعات وتفتك بالحيوانات وقد تقتل البشر(٣). وعلاوة على ذلك، من المحتمل ارتباط هذه الرياح مع رياح أخرى ذات طبيعة واحدة تهب خلال الفترة عينها على سيستان وخاران وشاغاي وتعرف باسم "ساد ـ فا ـ بيست ـ روز" (رياح المئة وعشرين يوماً)، وتهب أيضاً فوق المناطق العليا من بلوتشستان؛ لورالاري وقويطة وبيشين، ومن ثم تتحول إلى رياح جنوبية غربية في الزهوب(٤).

---

(1) IGI, Loc.cite.

(2) C.M.Mc Gregor. op.cit . p.201 ff. A.H. McMahon, art.cit., p.409. CHIr. Vol.I, p.230, وانظر: A. W. Hughes في كتابه: The Contry of Bluchistan الصفحات ١٧ و١٠٢–١٠٤ حيث أعطى وصفاً جيداً للارتفاع المتطرف والهبوط الحاد لدرجات الحرارة وأسبابه.

(3) H.Pottinger. op.cit, p136; CHS : Persia . p. 163 .

(4) BDGS, VOL. I, p. 28; VOL. II p. 30f.

ويذكر أن هذه الرياح تتحول إلى رياح السموم عندما تهب على منطقة كاتشهي في الجنوب خلال فصل الصيف، وهي تهب فجأة وتهاجم وتدمر مظاهر الحياة من حيوانات ومزروعات، وقد يسبقها أحياناً تيار هوائي بارد(١).

إن بلوتشستان كما يؤكد جميع الجغرافيين المعاصرين - تقع خارج المناخ الموسمي الهندي لهذا لا ينتظم هطول الأمطار فيها وقد تندر أحياناً، ويقتصر هطولها على فصل الشتاء بين أكتوبر ومارس أو أبريل في مكران وسيستان، ويبدو أن المرتفعات هي الأوفر حظاً بكميات الهطول. ففي "توبا كَاكَر" ومرتفعات سليمان وبراهوي الوسطى ومكران الوسطى وشاغاي وكوهي سلطان قد يصل معدل الهطول، إلى ١١,٧٥ إنشاً كما هو الحال في شاريغ و ٧,٥ إنش وكما في سَرَوَان(٢). أما المناطق الأكثر انخفاضاً فتقل فيها الأمطار أو تكاد تنعدم، ويتراوح معدلها بين ٤,٨ بوصة في شاه بار و ٣ بوصات في كاشهي و ١,٧ بوصة في سيستان وأغلبها يهطل في الصيف، فيما عدا ذلك فكثير من المناطق تبقى عرضة للجفاف على مدى فترات طويلة قد تمتد إلى سنين متتالية كما هو شائع في مكران والمناطق المجاورة لها(٣). وغالباً ما تترافق الأمطار بالرعود والبروق، ولكن الغيوم قد تسكب من مياهها أقل مما هو متوقع، ولأن البلاد جبلية فلا غرابة في حدوث الفيضانات وجريان السيول المدمرة بسبب شدة الانحدار.

---

(١) ذكرها هيوغز وكذلك بوتنجر الرحالة الأوروبي الأول الذي شهدها وقد ذكرها باسمها الصحيح السموم في كتابه " رحلات في بلوتشستان والسند" ص ١٣٦، ولا بد أن يكون هذا الاسم مأخوذاً من الاسم العربي رياح السموم وهي تحمل ذات الصفات وتهب بذات الوقت.

BDGS, VOL.VIA. p. 12.

(٢) لسوء الحظ لم أستطع العثور على أية معلومات تتعلق بصرحد وخواش وكوهي تافتان وجلوان وكاشهي وخاران وجاز موريان.

(3) BDGS. Loc. cit.

الحياة النباتية:

من وجهة النظر البيوجغرافية - والايكيولوجية فإن بلوتشستان تمتلك حياة نباتية محددة المعالم، ويمكن أن نستخلص ذلك من خلال التغير المناطقي في توزيع وسمات غطائها النباتي الطبيعي، الذي يعزوه بعض الباحثين إلى خمسة عوامل:

العامل الأول هو عامل المناخ فبلوتشستان تعد بلداً صغيراً نسبياً لذلك يمكن أن نضعها ضمن طبيعة واحدة تتميز بالجفاف، فأراضيها في معظمها قاحلة. وكما رأينا سابقاً فإن طقس بلوتشستان يتأثر بمناخين متضادين: مناخ استوائي وشبه استوائي في القسم الجنوبي والصحراوي ومناخ موسمي هندي.

ويتضمن العامل الثاني عدد المناطق الجغرافية النباتية، قد لا نتمكن من حصر العدد في بلوتشستان نظراً لندرة المعلومات حول الأنواع النباتية التي تنمو في البلاد(١)، لكننا نجزم بأنها تنتمي إلى فصائل نباتات المناطق النوبية السندية والسودانية، وهذا ما يميز النموذج الجيوغرافي النباتي على طول شواطئ مكران و"لسبيله" وخليج عمان، أما النباتات التي تنتمي إلى فصيلة النباتات الصحراوية فنجدها في صحراء لوط الجنوبية وحوض جازموريان ومنخفض "مشكيل" ومعظم سهول مكران وكاشهي(٢).

والعامل الثالث يتصل بالسمات الطوبغرافية (التضاريسية) للبلاد، ففي بلوتشستان تتنوع النباتات وتختلف عن بعضها تبعاً لارتفاع مناطق نموها عن مستوى سطح البحر، وقد أوضحنا ذلك عند حديثنا عن المناخ في بلوتشستان، لذلك تختلف نباتات المناطق العليا نسبياً عن نباتات الوديان والسهول، فتوجد في السهول مثلاً أشجار الطرفاء وأشجار النخيل كما هو الحال في مكران والمناطق

(1) BDGS, VOL. VI, p. 403 .

(٢) يذكر إى، إتش، مكماهون، أن فريقه العلمي تمكن من جمع معلومات كثيفة عن النبات في "قويطة" و"بيشين"، و"زهوب" و"تشاغاي" ولكنه لم يرجع إلى أيّ منها (انظر: A.H.McMahon, art.cit, p.415) .

المجاورة بينما تكثر في المرتفعات أشجار العرعر[١] وأشجار الفستق.

والعامل الرابع هو التربة فقد نجد مثلاً أن أشجار الطرفاء لا تنمو في السبخات المالحة فتختلف النباتات باختلاف نسبة ملوحة التربة التي تنمو فيها، فبينما نجد نباتات السويدا والسلسول والأنابيس ونباتات أخرى في السبخات المالحة والحارة نجد نباتات الفراغميت كومين وعشب السرو وأنواعاً أخرى تنمو بالقرب من البحيرات ذات الملوحة المنخفضة كما هو الحال في سيستان وفي مصارف مياه صرحد الداخلية وبعض البحيرات الأخرى الموجودة في سلسلة جبال براهوي الوسطى.

أما العامل الخامس فيتبدى في تأثير الإنسان على الغطاء النباتي، ويبدو هذا جلياً في ظاهرة قطع الأشجار لاستعمالها إما للوقود أو للبناء، فكثير من الأشجار تصبح وقوداً في الشتاء البارد أو تتحول إلى فحم لنفس الغاية أو قد تدخل البيوت لتصبح أثاثاً أو نافذة أو باباً، وبالتأكيد سيؤثر هذا النشاط على الغطاء النباتي سلباً، ويجب ألا ننسى أن جزءاً كبيراً من الغابات قد تلف أو فسد جراء استخدام الوسائل البدائية في الزراعة.

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فإليك بعضاً مما أورد أي. دبليو "هيوز"[٢] عن النباتات في بلوتشستان وعن الغابات؛ إذ يقول: إن بلوتشستان تفتقر إلى الغطاء النباتي ففيها الجبال خالية من الأشجار إلا فيما ندر وإن وجدت بعض الأشجار الحراجية فهي لا تتعدى ٢٠ أو ٢٥ قدماً، ويمكننا اعتبار أشجار الطرفاء الخط الفاصل ما بين الأراضي المنخفضة الحارة وبين العالية الباردة، لكننا في بعض الأحيان نلمس وجودها في مناطق الوديان والمنبسطات من البلاد.

يتألف الغطاء النباتي للمناطق العالية من أشجار الدلب والصفصاف والحور

---

(١) العرعر: شجر من الصنوبريات.

(2) CHI. VOL.I, p.19 .

والسفرجل والفستق والرمان والحماض والزيتون البري والصنوبر الجوي والعرعر واللوز البري، وأغلبها يوجد في زهوب وسلسلة براهوي الوسطى ونجود صرحد، وتنمو في مكران والأراضي العالية أشجار التين والصفصاف واللوز المر والزيتون بكميات كبيرة كما هو الحال في زَموران(١). وأما في السهول والوديان والمنخفضات، فإن بلوتشستان تعد مهداً للنباتات الطبية التي يقدرها السكان المحليون نظراً لخصائصها الطبية ولقيمتها الاقتصادية، ففيها تنمو نباتات الحلتيت والكمون والزوفا والسوس بالإضافة إلى أنواع أخرى من النباتات كالطرفاء والنخيل والأكاسيا إلى جانب النباتات الرعوية في كل مكان(٢).

وتتضمن أنواع الفاكهة المشمش والإجاص والتفاح والتين والسفرجل والخوخ والتمر والرمان والعنب واللوز والمانغو والفستق والتوت والجوز والكرز والليمون والبرتقال والبطيخ بجميع أنواعه.

أما المحاصيل الأخرى فهي القمح (بنوعيه الأحمر والأبيض) والشعير والذرة والأرز والذرة البيضاء والفُوَّة(٣) والتبغ والبرسيم والقطن.

وبالنسبة للخضار فكمياتها معقولة وتكفي حاجة البلاد ومنها اللفت والملفوف والجزر والبصل والخس والفجل والفول والفاصولياء والشمندر والباذنجان والكرفس والفلفل والبقدونس والخيار والسبانخ وأنواع أخرى متعددة(٤).

(1) BDGS, VOL. VII, p. 12.

(٢) انظر BDGS, VOL.VI, p. 20, VOL.VII. p. 12; A.W.Hughes , op.cit, p. 20

(٣) الفوة: نبات صبغي كان يستخدم فيما مضى في الصباغة.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر:

BDGS, VOL.VII, p. 11f., 16, vol. IVB, p.12, vol.VI p. 19ff

وانظر أيضاً: GHS; Persia, p. 103, 113, 206, 209, CHIr, vol.I, p. 89, 290ff.

الفصل الثاني

مرحلة ما قبل التاريخ والمستوطنات الأولى

قليلة هي المعلومات التاريخية التي تمنحنا صورة دقيقة عن بلوتشستان إبان المراحل التاريخية القديمة، فكل المعلومات المتوفرة حالياً إنما هي استدلالات وقراءات قوامها الأبحاث الأركيولوجية التي شهدتها المنطقة في الآونة الأخيرة، وقد اعتمدت هذه المعلومات في مجملها على الحدس والظن إثر مقارنة القطع الأثرية المكتشفة هنا مع ما تم اكتشافه في مناطق مجاورة.

ولا بد لنا التنبيه إلى أن معظم الصعوبات التي تواجه من يتصدى للكتابة عن تاريخ بلوتشستان مردها إلى التداخل والاختلاط بين المراحل الثقافية المختلفة،وهذا بحد ذاته يعد كافياً لتعقيد وتشويش عملية تحديد عصر وتاريخ القطعة الأثرية المكتشفة على وجه التقريب، إذ أن الدقة تبدو مستحيلة هنا. وبالمقارنة ستظل الشروحات والإيضاحات تدور في فلك التخمين والتأويل الذين يفتقدان للدليل المادي الملموس، فعلى سبيل المثال، إن أردنا الحديث عن التبادل والتفاعل الثقافي بين بلوتشستان وبلدان أخرى في مرحلة ما من مراحل ما قبل التاريخ لوجب علينا الاعتماد على معلومات أولية تختلط فيها مراحل متعددة من عصور مختلفة، فيقف المرء حائراً عاجزاً عن تكوين صورة واضحة المعالم حقيقية ودقيقة عن مبتغاه. فلا هو قادر على تحديد العصر ولا هو قادر على معرفة هوية الناس مقصد الدراسة وذلك لصعوبة تحديد نسبة المواد الأثرية المكتشفة في مكان ما إلى زمن معيّن.

علاوة على ذلك، نجد أن علماء الآثار والمؤرخين الذين بحثوا ودرسوا المنطقة كلياً أو جزئياً لم يصلوا إلى نتائج ثابتة ونهائية، وقد يتساءل المرء عن السبب الكامن وراء ذلك، وللإجابة على ذلك لا بد لنا من الاستشهاد بما قاله البروفيسور (أم. توسي) أحد العلماء الإيطاليين المشتغلين بالتنقيبات المشرقية الذي أرجع السبب

ـ في ظنه ـ إلى قلة المعلومات وندرتها وخلال مناقشته لمشكلة حقَب بمبور في الألفية الثالثة قبل الميلاد كتب يقول: "يتجلى ارتباك المتخصصين تحديداً في عدم مقدرتهم على حصر المعثورات الحضارية المركبة في سياق زمني منظم"(١). وهكذا نجد علماء الآثار وقد بذلوا جهودهم لدراسة القطع الأثرية أو الأجزاء المتبقية منها دراسة تفصيلية ومقارنتها بقطع من مناطق أخرى مع عناية قليلة في سبيل تحديد تاريخها بدقة، ونجد المؤرخين أيضاً لم ينجذبوا كثيراً إلى دراسة هذه المنطقة(٢).

وعلى الرغم من المحاولات التي استهدفت تاريخ المعثورات في بعض المواقع كما هي محاولات لامبرغ ـ كارلوفسكي وآخرون، إلا أنها لم ترق إلى المستوى الذي ينشده المؤرخون لذلك أجد من المناسب هنا أن ألفت انتباه المختصين إلى هذه المنطقة المنسية وخاصة في مرحلة ما قبل الإسلام.

ولعل إي. موكلر هو أول خبير لفت الانتباه إلى الآثار البلوشية باكتشاف العديد من المواقع الأثرية في مكران(٣). ومع أن هناك مكتشفين آخرين سبقوا

---

(1) East and West Journal. VOL.Xxno. 1-2 (1970) p. 75 .

من الآن فصاعد نرمز لها بـ. EW

(٢) هناك القلائل من المؤرخين الذين اهتموا جزئياً ببلوتشستان ومكران، وهم في الغالب موظفون استعماريون، ومنهم على سبيل المثال السير إم. ويلَرْ في كتاب حول الهند القديمة (حضارة حوض نهر السند)ـ كامبريدج ـ ١٩٥٣م) وإن. سي. ماجومدار "اكتشافات في حوض السند". ضمن سلسلة بعنوان "ذاكرة المسح الآثاري للهند" من إصدارات الجمعية الجيولوجية الهندية. وفي عام ١٩٧٣م كتب الباحث (جون هنزمان) بحثاً شيقاً موثقاً ومصدرياً باللغة الإنجليزية حول "ماكَان ومِلُخًا" نشره في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن. BSOAS, vol. XXXVI. وهناك متخصص بلوشي أصدر كتاباً باللغة الأوردية وعنوانه ـ بلوتشستان ما قبل التاريخ ـ قويطة ١٩٧١م. لكنه لا يرقى إلى مستوى العمل الأكاديمي التخصصي لأنه يحتوي على مصادر محددة معلوماتها قديمة.

(٣) كان الميجور إي. موكلر. مقيماً بريطانيا عمل في منطقة مكران في غوادر حتى نهاية القرن التاسع عشر. وقد أظهر اهتماماً كبيراً بتاريخ البلاد القديم وآثارها وقد نشرت كتاباته في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في البنغال. ولكن الأعمال العملاقة هي التي قام بها الباحث السير=

موكلر في اكتشاف المنطقة، وقد حددوا بعض المواقع الأثرية إلا أن الدراسات لم تكن عميقة(١).

من الممكن حصر القضية الآثارية ودلالاتها الثقافية ضمن أربع سمات سائدة شدت وأسرت انتباه واهتمام علماء الآثار، وهذا السمات هي ركامات الحجارة المتنوعة في كل مكان وآثار ما يعرف بـ "كَبري باند" أو "غبري باندز" وبقايا المدافن والقطع المشغولة والفخاريات وغيرها التي احتوتها هذه المدافن وأساسات الأبنية القديمة.

لقد سببت الركامات ومواقع الدفن مشكلات جمة لعلماء الآثار في أماكن متعددة من البلاد جعلت من مهمتهم أمراً غاية الصعوبة(٢) ـ فقد قيل إن البلوشيين والبراهويين قد أعادوا بناء تشييد ركامات حجرية جديدة وذلك إما

= "أريال شتاين" في دراساته الاسكتشافية على المواطن القديمة والآثار من خلال أبحاثه وأعماله العلمية في الهضبة الإيرانية وبلوتشستان والتي سنرجع إليها فيما بعد.

(١) ذهب العديد من المستكشفين إلى بلوتشستان ومكران إما رسمياً أو شخصياً وأول مستكشف في العصور الحديثة كان الكابتن البريطاني إن.بي غرانت ١٨٠٩ لكنه لقي مصرعه على أيدي متمردين من أهالي المنطقة، ولم تتعد رحلاته مكران الغربية والمنطقة الساحلية لكرمان. ثم أتى سير هنري بوتنغر والكابتن كريستي عام ١٨١٠ ليتبعهم فيما بعد العديد من المستكشفين بما فيهم إي. فلوير والأمريكي إس. ماسون ومن ثم سي. ماكريغور وجَيْ. بي. تيت وسير برسي سايكس وآخرون وقد قاموا بتدوين مشاهداتهم وتجاربهم في هذه المنطقة.

(٢) بعض البقايا المكتشفة احتوت على طعام وأدوات معدنية وبرونزية يرقى تاريخها إلى عصور مختلفة. فمثلاً قد نجد عملات نقدية تعود إلى فترة يزدجرد الثالث (القرن السابع قبل الميلاد) إلى جانب عملات أخرى وجدت في "دامب كوه" يعود تاريخها إلى أعوام ٧٧ - ٧٠ قبل الميلاد) وأيضاً فإن وعاء الماء الذي وجد في "مُغُل غاندي" ـ اسم الموضع ـ والخواتم المنقوشة من موضع "كوشان" قيل بأنها بمجملها تعود إلى القرنين الأولين ما قبل الميلاد بينما ترقى قطع ملونة، وجدت تحت ركامات مجددة في تلال البلوش، إلى ثقافة الألفية الأولى قبل الميلاد.
See C.C. Lamberg Karlovsky and James Humphries, Cairn Burials of south Eastern Iran, EWJ. VOL.XVIII, No. 3-4 (Sep. - Dec. 1968) p. 273 - 5.

احتفاءً بزواج أو احتفاءً باكتشاف مصدر للمياه جديد، وهكذا زالت عن بعض هذه الركامات أهميتها التاريخية(١).

وتبقى "الغبري باندز"(٢) من الآثار الأكثر شيوعاً في المنطقة والتي يظن أنها كانت تستخدم لأكثر من غرض، وإن الحقيقة في تمييز هذه الركامات لطبيعة وصفة بلوتشستان من إقليم الزهوب في الشمال وعبر الأصقاع الجبلية "لسروان" و"جلوان" و"لسبيله" حتى الحدود الغربية لمكران توحي بالوحدة والترابط الثقافي اللذين ظهرا فيما بين الأجزاء المختلفة من البلاد خلال الأزمنة التاريخية المبكرة، كما توحي أيضاً بأن البلاد كانت تشهد تواجداً سكانياً كثيفاً، لكن آ ر. رايكيس(٣) يعارض هذه الفكرة ويعزو بناءها إلى مهارة خارقة للسكان، وما من أحد يستطيع تحديد زمن تأسيس هذه "الغبري باندز" بدقة لكن بعض المختصين يعتقدون بأن بعضها قد ظهر فعلاً قبل العصور التاريخية، بينما يميل البعض إلى إرجاعها إلى فترة الزرادشتيين الأقدمين أي أوائل نشوء القوى الفارسية أو إلى البوذيين الذين عاشوا قبل الفترات الإسلامية(٤).

وقد استنتج رايكيس أن البدء ببناء هذه الركامات يعود إلى أوائل العصر

(1) Ibid .

(٢) كَبري باند: تعني هذه الكلمة بالفارسية الحديثة "سد أو خزان الزرادشتيين" وهي تشير إلى الشعوب والأقوام التي يعتقد أهل المنطقة أنهم بنوها لكن كلمة غبري باند لم تعد تحمل صفة اسمها الحقيقي بسبب طبيعة بنائها الحديثة المشابهة للخزانات. وتنحصر وظيفتها الآن كخزانات للمياه والرواسب الخصيبة التي تجرفها المياه من الجبال. وبعبارة أخرى قد لا تكون هذه الركامات سدوداً أو خزانات بمعنى الكلمة لذلك من الأفضل تسميتها الأبنية الشبيهة بالسدود". من أجل معلومات تفصيلية أكثر عن " الغبري باندز " وطبيعتها وتاريخها انظر ما كتبه آ ر. رايكس في "الكَبرباند القديم في بلوتشستان " في (EW ,vol. V, No. 1-2 , 1965 p. 26-35) وانظر أيضاً Lambrick, Sind : a General Introduction) Hyderabad , 1964, p.52 -56, BDGS, vol. VI B, 1907, p. 57 .

(3) Art.cit, p. 29 .

(4) Cambridge History of India VOL.VI (Cambrige 1922) p. 6f.

النحاسي إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد حتى وصول شعوب اللوندو[١] حوالي ١٢٠٠ و١٠٠٠ قبل الميلاد، حيث ساهموا فعلياً في تطوير هذه الأبنية وإضفاء اللمسة الفنية عليها، لأنهم كما هو معلوم يجيدون التعامل مع الأحجار كما نشهد ذلك في مستوطناتهم، ويؤكد "رايكيس" أنهم طوروا من عملية بناء هذه الركامات لتصل إلى ما هي عليه الآن من الفنية والمهارة. من جهة أخرى، يعزو تي. إتش. هولدتش هذه الركامات وبناءها إلى الأقوام الحميرية التي استقرت في المنطقة بعد أن هاجرت من اليمن[٢]. وقد استوحى العلماء من هذه الركامات شبيهة السدود ذات الأحجار القديمة والكبيرة المختلفة الأحجام ومن بعض الفخاريات الأثرية الأخرى، أن الأحوال المناخية التي شهدتها بلوتشستان خلال عصور ما قبل التاريخ كانت أغزر وأكثف مطراً بكثير مما هي عليه الآن[٣]. وذهب بعض العلماء إلى أكثر من ذلك حين شبهوا هذه الركامات بالنصب السيكلوبية في أوربا[٤].

تحتوي بقايا المدافن على أوعية فخارية ما زال بعضها يحتفظ بأشكاله الأصلية، وهي مزينة برسوم ونقوش مختلفة، وتشهد المعثورات التي وجدت في دامين وبمبور بجوار مكران الإيرانية على الاختلافات اللافتة للنظر في مسائل الإيمان والمعتقدات التي سادت خلال العصور ما قبل التاريخية[٥]. كما قادتنا أيضاً المعثورات المكتشفة في المدافن والتي تحتوي على قدور فخارية إلى الافتراض بأن هذه الشعوب القديمة مارست طقوس دفن الطعام مع الميت، وهي عادة يقال أنها ترقى

(١) اللوندو هي حضارة متأخرة قبل الميلاد. انظر Iraq Journal , p.63 R.Raikes , art.cit., 34

(2) The Gates of India , p. 292 .

(3) MASI. No 35 1929. p. 30 - 39 .

(4) CIESA, VOI.I 3 rd ed (Graz, 1967) .p. 255 .

السيكلوبي متعلق بطراز من البناء يتميز باستعمال حجارة ضخام غير متناسقة الأحجام من غير ملاط " المورد ".

(5) See Cclopaedia of India and Eastern and Southern Asia (hear after CIESA), VOL.I, 3rd ed. (Graz, 1967) p. 255.

إلى نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد(١) مما قد يوحي بأن هذه الشعوب كانت تؤمن بالبعث بعد الموت.

وفي رحلته للتنقيب عن الآثار في مكران تحدث الميجور موكلر عن هياكل أبنية في مجموعات متناثرة على سفوح المرتفعات في موقع "دَمْبَاكوه". كما قال أنه في "سُتكاغين دور" موقع يبعد ٤٠ ميلاً شمال غرب غُوادَرْ - قد شاهد بقايا وآثار معابد قديمة وبيوت بنيت من الفخار المشوي، كما لاحظ أيضاً في "جيوانري" و"غاتي" - تبعدان ٦ أميال عن "غُوادَرْ" - عدداً من البيوت الصغيرة، وقد بنيت بأحجار جلبت من تلك المرتفعات(٢). وقد تم العثور على أحجار الرحى في أماكن متفرقة ضمن أنقاض وبقايا بعض المنازل السكنية القديمة.

ومن المعلوم أنه في "سُتكاغين دور" وما حولها توجد آثار لقرية قديمة معظم بيوتها مبنية بالآجر المشوي مختلفة القياسات وتتناثر هنا وهناك. ومن بين المعثورات وجدت قطعة نقدية مطموسة الهوية، لكن "موكلر" عزاها إما للإغريق أو "البكتريين"، ويقال أن هنالك مواقع أخرى مثل "دَرْمَاني" و"جوني" و"غاتي" تمتلك نفس النماذج البنائية، لكن لسوء الحظ لم تظهر أية دراسات آثارية "اريكيولوجية" تحدد عصر المواقع. ولعل مزيداً من الدراسات المكثفة القادمة تعالج هذه المسألة.

تتوافق الآراء على أن العديد من الكسرات الأثارية هي دلائل على وجود اتصال محتمل بين شرقي بلوتشستان وبين السند والبنجاب في عصور مبكرة جداً، فقد عثر الباحث آريال شتاين على العديد من القطع الفخارية العادية والملونة في

---

(١) بعد سنوات قليلة وخلال الرحلة الثانية التي قام بها آريال شتاين إلى مكران، استنتج أنه لا بد من وجود رابط ثقافي ما بين مناطق بلوتشستان كاملة " وذلك يمكن التماسه من خلال عادات الدفن والتي هي الدليل القاطع على هذه الفكرة " المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٨.

(2) On Ruins in Makran , JRAS, VOL.IX (1877) p. 131 f.

وانظر أيضاً: BDGS, VOL.VII, p. 57.

شمالي بلوتشستان وعلى طول سفوح جبال "تختِ سليمان" بإقليم "لورالاي" التي نسبها إلى أواخر عصور ما قبل التاريخ أو بدايات العصور التاريخية. وقيل بأنها تتشابه مع مواد سبق لشتاين نفسه أن اكتشفها في إقليم "شاهبور" ضمن الجزءين الأوسط والسفلي من نهر "جيلُم" في باكستان(١). وبمقدور المرء أن يضيف إليها ما اكتشفه "ماجوم دار" في السند حيث أوضح أن فخاريات موقع "آمري" بألوانها وزخرفتها وأسلوب صناعتها "تتطابق وتتشابه مع مجموعة من الفخاريات اكتشفها حديثاً شتاين في بلوتشستان، وبسببها ارتجل السير "جون مارشال" مصطلح الأدوات الهجينة"(٢).

ومن الأبحاث الآثارية المتعلقة بموضوعنا، ما قامت به الباحثة بي. ديكاردي خلال الستينيات من القرن العشرين، إذ أجرت دراساتها وأبحاثها في مستوطنات في العديد من مناطق بلوتشستان في باكستان وإيران وتحديداً في "بَمْبُور"، وبسبب وجود الكثير من المواد الأثرية التي تحمل العديد من الاختلافات الجوهرية ـ بعضها يعود إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد ـ اكتشفت ديكاردي دلائل جلية عن التأثيرات الخارجية التي شهدتها حضارة بمبور في العصور القديمة، فبعض هذه المواد يعود إلى الحضارتين الأفغانية والإيرانية وبعضها الآخر يتطابق ـ حسب رأي ديكاردي ـ مع تلك المواد المكتشفة في موقع "أم النار" في عمان، وقد قيل عن هذه المكتشفات بأنها تندرج ضمن سلسلة مترابطة من ست فترات متشابكة تمتد من الألفية الثالثة إلى الألفية الثانية، وربما إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد، ويقال أيضاً أنه في الفترة الخامسة، أي في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد حملت حضارة "بمبور" صفات جدً متطابقة مع صفات حضارة "أم النار" وحضارة "بربر"

---

(1) A: Stein , ARNWI, p. 64 .

(2) N.C. Majumadar , " Exploration in Sind " p. 27 .

Marshal , Mohenjodora , VOL.I. p. 100, cited in ibid .

في جزيرة البحرين، الأمر الذي يشير إلى إمكانية وجود روابط ما بين جانبي الخليج[1].

وهناك زعم بأن منطقة "بَمْبُور" شهدت خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد حضارة زراعية متطورة، فقد وصلت مساحات بعض القرى الزراعية في وادي "بمبور" إلى أكثر من ٢,٥ هكتار[2]. وقد رافق هذه النهضة الزراعية إزدهارٌ في المواد التجارية التي جرى تبادلها مع الهند وبلاد الرافدين وإيران وسيستان، وربما مع أرخوسيا، عند الحدود الشمالية، فكل الأدوات الفخارية والبقايا الأثرية الأخرى توحي بوضوح إلى وجود تمازج حقيقي بين حضارة بلوتشستان وبين حضارات المناطق المجاورة[3].

وكان ثمة اعتقاد على نطاق كبير في أوساط المؤرخين وعلماء الآثار، بأن نمو حضارات وادي الهندوس والتخوم المجاروة (بلوتشستان) فيما حول ٢٥٠٠ قبل الميلاد يُعزى إلى انتشار وامتداد حضارة وادي الرافدين. ولكن نتائج الأبحاث الأثارية التي أجراها لامبرغ - كارلوفسكي في "تيبي يحيى" - موقع أثري في "كرمان" من أقاليم إيران - أظهرت أن تاريخ مستوطنة "تيبي يحيى" يعود إلى ٣٤٠٠ - ٣٣٠٠ قبل الميلاد، كما ساهمت هذه الحفريات في إلقاء المزيد من الضوء على كيفية نشوء الحضارات في وادي الهندوس والمناطق المجاورة[4]. وبمقارنته

---

(1) JBIPS, VOL.VI 1968, p.135 .

(2) M. Tosi, "Bampur and the Problem of Isolation", EWJ, VOL.XXIV, no. 1-2 (March-June, 1974) p. 30.

(٣) في هذا العمل يقول توسي: "إن التاريخ الذي جمعه السير. أي. شتاين قد أظهر أنه في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد شهدت منطقة وادي بمبور وفروعه القليلة، تجمعات سكانية زراعية ضمن مستوطنات كبيرة مستقرة". وقد عزى البروفسور توسي هذا النجاح الزراعي والاستقرار إلى سبب خارجي وهو الهجرة المفترضة من كرمان أو سيستان. انظر: (idem, " Bampur the Problem of Isolation , " p. 48) .

(4) C.C.Lamberg- Karlovesky,. Loc. cit .

مواقع عديدة من بلوتشستان مع مواقع أخرى في عمان والبحرين وبلاد الرافدين، خلص لامبريغ ـ كارلوفسكي إلى القول بأن كل منطقة قد طورت حضارتها الخاصة بها دون أن تهيمن حضارة على الأخرى، ولم ينكر إمكانية وجود علاقة فيما بين الحضارات الهندية والإيرانية القديمة(١).

وعلى الرغم من معاصرة حضارات بلوتشستان و"هَرَبّا" في السند لكل من حضارة وادي الرافدين وحضارة مصر القديمة حتى أوائل الألفية الثالثة قبل الميلاد، إلا أنها تصنف ضمن قائمة حضارات ما قبل التاريخ وذلك اعتماداً على أدلة ملموسة غير مكتوبة. ومن المعتقد أن أوائل الحضارات المتطورة نشأت ونمت في شبه القارة الهندية وخاصة في بلوتشستان وأسفل السند إبان الربع الأخير من الألفية الرابعة قبل الميلاد(٢). وإن أخذنا بعين الاعتبار النظرية التي تؤكد وجود مناخ أغزر مطراً والتي يؤيدها الباحث الإيطالي "إم. توسي"، فلا بد أن بلوتشستان كانت بها العديد من الأنهار الدائمة الجريان، وهي الأساس المهم لتواجد العديد من القرى الزراعية والمدن المزدهرة(٣).

وما من أحد يعرف على وجه الدقة متى كانت بداية استقرار الإنسان في بلوتشستان، فمن المؤرخين من يميل إلى الاعتقاد بأن البداية كانت إبان تحرك الأعراق "الدرافيدية" خارجاً من بلاد الرافدين في العصور القديمة، فبعد أن هيمن انتشارها على كل بلاد فارس تابعت تحركها حتى وصلت إلى الأجزاء الشمالية الغربية من الهند حيث تشكل بلوتشستان الجزء الرئيس ضمن هذه الأجزاء. ولتأكيد هذا الرأي فإن بعض المؤرخين يصرون على أن بعضاً من هذه الشعوب ما زال يتواجد في المنطقة ممثلاً بأقوام تسكن مرتفعات إقليمي "جلوان" و"سَرَوان" في بلوتشستان، ويميل مؤرخون آخرون إلى الاعتقاد بأن قبائل "الأوريتائيين" "Oritae" هي أول

(1) Ibid .

(2) A.L. Basham, The Wonder that was India , 3rd .ed . (London, 1985,) p.11 .

(3) Ibid, p. 12f. see also M. Tosi ", " Atomb from Damin ' p. 14.

من سكن هذه المنطقة ويعود ذلك - حسب الرواية الإغريقية - إلى زمن مرافقة هذه الأقوام للإسكندر المقدوني خلال انسحابه من الهند - حيث استقروا في بلوتشستان(١).

ووفقاً للمؤرخين وأعمال التنقيب الأثري الحديثة فمن الممكن القول بأن أوائل القرى الزراعية الدائمة في شبه القارة الهندية بدأت في بلوتشستان ومنخفض السند منذ زمن يصل للألفية الرابعة قبل الميلاد(٢). فبقايا الآثار المتمثلة في "غبري باند"، أي الأبنية الشبيهة بالسدود، ورحى الطواحين الضخمة المكتشفة في مكران وآثار أخرى لهياكل أبنية قديمة توحي إلى وجود مجتمعات متطورة زراعياً في تلك الأزمنة القديمة استوطنت بشكل دائم هذه المنطقة(٣). بل تؤكد نتائج التنقيبات الأثرية الحديثة أن تاريخ استقرار أول إنسان في بلوتشستان يعود إلى ٥٠٠٠ قبل الميلاد وتحديداً في "بيرَك" في سهل "كاتشهي" - ٧ أميال جنوب سيبي - حيث يُعتقد أن أول مجتمع زراعي قد ظهر هناك(٤).

المستوطنات المبكرة في بلوتشستان:

يمكن تقسيم أوائل المستوطنات في بلوتشستان إلى أربع مجموعات، تقع المجموعة الأولى في الشمال والشمال الغربي - وتتألف من "مُغَل غَندي" و"بريانو غندي" في إقليم "زهوب" ومرتفعات "تشابرراي" ودَبَر كوت و"تور ظهراي" و"سُرجانغل" الواقعة في أماكن مختلفة. وبعض هذه المواقع يعود استيطانه إلى منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، وبذلك يسبق وجودها وجود حضارة "هَرَبّا" في السند.

(1) Bedrich Hrozny, Ancient History of Western Asia, India and Crete , tr. J. Prochozka, Prague, n.d. p.195f. Arnold T. Wilson, The Persion Gulf, (London, 1959,) p.22-25.

(2) A.L. Basham, Loc. cit .

(3) E.Mockler , " On Ruins in Makran " p. 121 - 134 .

(4) R.Raikes , " New Bichrome were from the Plains , Baluchistan (west Pakistan) , EW. VOL.XIV, 210 1-2 (1969) p. 56-68.

وتقع المجموعة الثانية في وسط بلوتشستان، وتضم مجموعة من القرى التي تكشف عن سمات مختلفة ومتنوعة لحضارات متعددة، فعلى سبيل المثال، يقال بأن "نال" تختلف عن القرى الأخرى بتاريخها بشهودها لبواكير الحضارة الأولى. "أما قريتا ميهـــي - ٣٥ ميلاً جنوب غرب نال - و "كولي" فمتشابهتان في النشأة والزمن، كما تضم هذه المجموعة أيضاً قرى "غَوَرْجَك" و"نُكجو شَهْدينزي" على نهر "نُشْكي" و "أَبْدُلْبَت".

أما المجموعة الثالثة فتقع في الجنوب وتضم "سُتكغين دُور" وغاتي و"دامبا كوه" و"سُكْتَا كوه" وقرى أخر بالقرب من الساحل. واعتماداً على النظرية القائلة بنقص مستوى مياه البحر خمسة أمتار وافتراض ارتفاع الساحل في مكران خلال بداية الألفية الثانية قبل الميلاد(١). تبدو هذه القرى من حيث انتشارها في وسط البلاد وربما شكلت في الحقب المبكرة مرافئ لرسو السفن بها. وهناك بعض المواقع القريبة مما تقدم ذكره في نفس المجموعة والمعاصرة لها وتشمل "شاهي تومب" و"زَنغياني" و"جِيوَنْري" و"تكي دَب" وتقع في أماكن مختلفة عن القرى السابقة، ومن المفترض أنها عاصرت فترات ازدهار "سَتْكَغين دور" و"سُكْتاكوه".

وتتمثل المجموعة الرابعة فيما يمكن تسميته مجموعة "بمبور" التي تحتوي على سلسلة من القرى تتوزع على دول وادٍ مشهور يحمل نفس الاسم وهو وادي "بَمْبور"(٢)، ويستطيع المرء في هذه المنطقة أن يميز بين المراحل التاريخية المختلفة حسب المعلومات المستقاة من أعمال بعض علماء الآثار، على سبيل المثال حاول البروفسور "م. توسي" أن ينظم ويرتب تسلسل المواقع الأثرية ويسقطها على خريطة واضحة فاكتشف خلال بحثه أن المستوطنات السكنية الأولى في "بمبور" تنتمي إلى العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي مثل قلعة "السردغة" شمال بمبور و"شاه

(1) Akkarju Sorma, Decline of Harappon Culture, EW, VOL. XXVII, no 1-4 (1977) p.330 , more details can be procured from , M. Wheeler , op.cit. p. 45-52 .

(2) Sir A. Stien has mentioned in his writings abont sixty places Bampur .

حُسيني" الواقعة في وسط مجرى "بمبور" من جهة الغرب[١]. أما "ده قادي" - شمال غرب بمبور - ودامين - شرقي بمبور - فتنتميان حسب أبحاث "دي كاردي" إلى العصور التاريخية. أما أكثر المواقع أهمية في هذه المجموعة فهي مستوطنة "تومبي قاسم أباد" التي تعد الشاهد الوحيد على تعاقب حضارات ما قبل التاريخ[٢].

ومن الصعب الفصل فيما إذا كانت هذه المستوطنات مارست حكماً ذاتياً مستقلاً فمن خلال إلقاء نظرة على الدراسات الأثرية المتأخرة التي شهدتها مجموعة مواقع "بمبور" نرى مدى حيرة علماء الآثار فيما إذا كانت القطع الأثرية المنمقة والمتطورة التي اكتشفت هناك "في الطبقة السفلى منزلقة إلى قارة الموقع" هي منتجات دخيلة أم محلية صرفة[٣]. ويبدو أن العلماء قد اتفقوا على أن "بمبور" شهدت حضارة متطورة خلال النصف الثاني من الألفية الثالثة والقرنين الأولين من الألفية الثانية قبل الميلاد، وتربط "ديكاردي" هذه الحضارة بحضارة سيستان، بينما يرى شميدت ولامبرغ - كارلوفسكي أن بمبور كانت خاضعة لقوى خارجية، كما هو الحال في الفترة الزمنية الخامسة عندما خضعت لحضارة الهندوس أي الحضارة "الهربّانية" على طول ساحل مكران والفترة الزمنية السادسة عندما خضعت للنفوذ الإيراني[٤]. من جهة أخرى، فإن البرفسور "توسي" لا يؤيد الفرضيات السابقة بسبب أن العديد من عناصر المواد الأثرية ما زالت غامضة والكثير من المواقع ما زالت مجهولة، ويبقى السؤال الذي ينبثق عن هذه الأحجيات: لماذا لا ينظر علماء الآثار إلى "بمبور" على أنها تمتلك حضارة مستقلة نابعة منها؟[٥].

(1) "A Tomb from Damin " p. 17 .

(2) Ibid ., p. 9 - 50 .

(3) Ibid ., p. 145 .

(4) Art. Cit., p.15 Cf .G.F. Dalas "Harappan Outposts on the Makran Coast", Antiquity , Vol.XXXVI , 1962, p.86-92 ; E-schmit Excavation at Tepe Hissar, Damghan (Philadelphia , 1937) p. 187-180 .

(5) Loc. cit .

تشابهت الديانة التي كانت تمارس هناك مع ديانات المجتمعات الزراعية القديمة في حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط، وتمحورت الديانة حول طقوس الخصب وعبادة الإلاهة الأم، فكثيرة هي التماثيل الصغيرة التي تمثل الإلاهة الأم، وقد وجدت في مواقع تعود لحضارة الزهوب شمال قويطة[١] . كما تم اكتشاف العديد من التماثيل الصغيرة على هيئة الثور، ولا ننس أن رسم الثور قد طغى على رسوم الفخاريات التي وجدت في مواقع "كولّي" و"رانا غونداي"، وهي من أهم المواقع في مجموعة زهوب[٢].

ووفقاً للآثاريين فقد كانت طرق دفن الموتى ذات صفة مشتركة بجميع أنحاء بلوتشستان من "زهوب" إلى "مكران"، وقد أعلن أي. شتاين اكتشاف إناءين وجدت فيهما كسرات صغيرة من العظام البشرية مختلطة بالرماد مما قاده للاستنتاج أن السكان القدماء اعتادوا دفن الموتى بعد حرقهم،ويذهب إلى احتمال أن العادة المتبعة كانت بدفن ما يبقى بعد الحرق[٣]. ومن ناحية ثانية وجدت كسرات من العظام البشرية تحتوي على أصابع وقطع صغيرة من الجمجمة في مواقع أثرية أخرى منه "كُغَل غونداي" و"غاتي" و"تاكي داب"، وتعد هذه المعثورات دليلاً واضحاً على التبادل والتمازج الثقافي بين الأجزاء الشرقية والغربية من بلوتشستان ومن المحتمل أن هذه الظاهرة ترجع إلى العصر النحاسي[٤]. ولتفسير عملية دفن العظام مع الرماد يذهب أحد الآثاريين إلى أن عادة دفن الموتى تكاد تكون أكثر شيوعاً من عادة الحرق في المجتمعات البدائية، وتبقى هناك عادة الحرق الجزئي للجثة التي كانت شائعة ومتبعة قديماً لدى الطبقات الدنيا في البنغال،

---

(١) يوضح ال باتشام أن عبادة الإلاهة الأم ارتبطت مع عبادة الثور. في الكثير من الحضارات القديمة.

(2) Ibid , p. 13 f.

(3) S.S. Sorkar , Ancient Races of Baluchistan , Panjab , and Sind (Karachi, 1981) p. 23f.

(4) Ibid, p. 39 .

ويعزو سبب ذلك إلى نقص الوقود أو إلى نقص المشاركين في تشييع الجنائز. ومن المؤكد أن السببين كانا يعتمدان على حالة المتوفي المادية ومقدرته. ويُظن أن هذه الممارسات هي فلول عادات وطقوس قديمة كانت في طريقها للزوال أو أنها ممارسات اختيارية لم تتدخل العادات فيها بشكل صارم(١).

الوضع السياسي في قديم مكران وبلوتشستان:

يبدو أن مكران وبلوتشستان شهدتا انقساماً وتجزئة إبان العصور القديمة ولكن ما من دليل قاطع على ذلك، ومن أجل هذا الافتراض فقد اعتمدنا على البقايا الأثرية، علماً بأنها قابلة للعديد من التأويلات، واعتمدنا أيضاً على السجلات النادرة والقليلة التي تحدثت عن بلوتشستان في البلاد المجاورة مثل إيران وبلاد الرافدين والسند واليمن والمستوطنات القديمة للخليج الفارسي، وقد يسوقنا هذا إلى الظن أن شعوب بلوتشستان كانت أمية في الفترة التي كانت فيها الشعوب الأخرى قد بدأت تتعلم الكتابة خلال القرون الأخيرة من الألفية الثالثة قبل الميلاد(٢).

ونستطيع أن نشعر بهذا الانقسام من خلال عدة سمات، فمثلاً تطلعنا النصوص السومرية والأكادية على اسمي "ماكَان" Magan، ربما هو الاسم القديم لـ "مكران"، و"مِلُخَّا" (Melukhkha)؛ فتحدد مكان الأولى فيما وراء ساحل فارس في القسم السفلي ومكان الثانية أي "مِلُخَّا" وراء "ماكَان"، في مكان غير محدد(٣).

---

(1) Ibid, p. 42f.

(2) J. Hawkes , The Atals of the Early Man (London, 1976) p. 113 .

(٣) لم يزل المعنيون بالدراسات والآثار القديمة على آراء متضاربة حول تحديد موضعيّ "ماكَان" و"مِلُخَّا"، اللذين ذكرا في النقوش المسمارية القديمة للسومريين العائدة إلى المئوية السابعة من الألفية الثالثة قبل الميلاد، وبالذات في عهد "سرجون الأكدي" (٢٣٧٠ - ٢٣١٦) ق.م. وسنحاول في هذه العجالة تلخيص ما تيسر لنا الاطلاع عليه من تلك الآراء وذلك من خلال البحث القيّم المفيد للأستاذ الباحث جون هنزمان John Hansman بعنوان "A Periplus of Magan and Meluhha" أي "مزيد حول ماكَان ومِلُخَّا" الذي نشر في حولية معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية بجامعة لندن ويرمز لها بـ BSOAS الجزء الرابع والثلاثين الصفحات (٥٥٤ - ٥٨٧). =

....

= فيرى "لاندزبرغ Landsberg" أن "ماكّان" تقع في جزيرة العرب قرب الأجزاء السفلى من الخليج الفارسي بينما تقع "مِلُخًا" في موضع غير محدد إلى الشرق من ماكّان "، والظاهر أنه بسبب إشكالية موقع "ملخا" لديه نجده يزعم بأن هذين الموضعين ينطبقان على مصر وأثيوبيا، ويعلل ذلك بدلالة النصوص السومرية المتأخرة على استيراد السومريين لنفس البضائع الواردة في النصوص القديمة خاصة (الذهب والعاج) (انظر:- B.Lands berg. Zeitschrift fur As-syriolgie, Bd. XXXV,3, 1924, p. 217. Cited by J. Hansman , art.cit .

ويرى " دبليو. إف. ليمَنس " في بحثه الموسوم بـ" العلاقات التجارية لبابل "

Trade Relations of Babyionia " JESHO , VOL.III, 1960, p. 30 .

ويتفق معه "هِرزفلد" و"إيلّيَرْ" أن "ماكّان" تشمل المنطقة الواقعة على شاطئ خليج عمان، ثم بقي اسم "ماكّان" في "مكران" ذلك المصطلح الجغرافي للمنطقة الساحلية الممتدة جنوب شرقي إيران وجنوب غربي باكستان حالياً. ولكن "هِرزفِلد" يميل إلى أن "مِلُخًا" تقع على ساحل مصر من جهة البحر الأحمر. انظر (The Persian Impire , Wiesbaden, 1968, p. 63).

أما كَلْب Gelb فيعتبر المنطقة الممتدة على الشاطئ الجنوبي للخليج الفارسي من شرقي بلاد سومر إلى شواطئ بلاد عمان هي " ماكّان " . أما مِلُخًا فهي البلاد الواقعة شمالي الخليج شاملة - في رأيه - إيران القديمة بما فيها عيلام وعدن وأنشان وما يصاقبها شرقاً من بلدان إلى حوض السند. بل نجد " ليمنس " في كتابه " التجارة الخارجية في بابل القديمة " يؤيد القول بأن موضع " مِلُخًا " يشتمل على المنطقة الساحلية الغربية لشبه القارة الهندية. Loc.cit ; Idem. Foreign. Trade in Old Babyionian Period , Leiden, 1960, p. 162 -4; J. Hansman, art.cit .)

بينما نجده أيضاً يتابع " ويندر " في ما ذهب إليه الأخير من أن " ماكّان " هي عمان. انظر:

E.F. Weonder, Archiv Fur Orient forschung, Bd. XVI, 1, 1952 cited in J. Hansman , art.cit , ; W.F. Leemans, art.cit. p. 29f) p. 22 .

ويزعم "كرامر" Kramer أن معظم دارسي النقوش يكادون يتفقون أنه من حوالي ١٥٠٠ ق.م. أن "ماكّان" و"مِلُخًا" تطابق تقريباً مصر القديمة والحبشة في نفس الفترة. ولا يتفق مع نظرية تبدل الأسماء التي يذهب إليها "لاندزبرْغ". ويذهب "كرامر" إلى أن الأخذ بفرضية تبدل أسماء مواضع مهمة مثل "ماكّان" و"مِلُخًا" لا بد أن يستند على أدلة قوية حاسمة يقبلها العقل. ويذهب إلى أن الاسمين المذكورين كانا دائماً مرتبطين بمصر والحبشة وليسا متحولين من أقاليم إلى الشرق من بلاد الرافدين. (قارن ، S.N. Kramer, Antiquity , VOL.XXXVII, 1963, p. 114; J. Hansman, art.cit., p. 554f).

أما "جون هنز مان" فيرى مسألة الربط بين ذينك البلدين الإفريقين التي أثارها "كرامر"، والتي=

= تبدو غير مشكوك فيها حسب النصوص الآشورية المتأخرة، أنها تعتمد على نصوص أخرى منقولة من أقدم النصوص الأكادية الأصلية، ولذا فإن بعض الأخطاء قد دخلتها من خلال تفسير تلك النصوص المصدرية المبكّرة. (قارن، A.T. Wilson , The Persian Gulf : an Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century , 3rd imp; (London, 1959), p.29).

ولإثبات صحة اعتقاده، فقد قدم لنا ثلاثة براهين : أولها، شواهد النصوص المسمارية القديمة لبلاد الرافدين المتضمنة لذكر "ماكَان" و"مِلُخّا" والتي تتضمن أيضاً عدة إشارات إلى نزاع بين ملك السومريين وبين "ماكَان" وملخا تقدم ذكره. والثاني التحقيق حول أول دلالة لغوية ممكنة لمسمّى "ماكَان" في بلاد الشرق الأدنى التي تقترب من هذا الاسم، مما يثبت بأن "ماكَان" لا يمكن أن نجد لها ما يدانيها في السماع أو الاشتقاق اللغوي لا في الجزيرة العربية ولا في مكان آخر. وما هناك فقط معان ومازون ـ عمان. ومن هنا يذهب إلى ما ذهب إليه "هِرْزفلْد " و"إيلَرْز" من حجة الاشتقاق التي تقول بأن "ماكَان" متطابقة مع "ماكا" التي وردت في النصوص الفارسية القديمة وترجع إلى "ميكوى" Mykoi لدى مؤرخي الإغريق القدماء، ثم تتطابق مع "مَكوران" Makuran في النصوص الفارسية الوسطى، والتي أصبحت فيما بعد "مكران" .انظر:

R.G.Kent, E.Hersfeld, op.cit., p.63 .

Old Persian Grammer (New Haven, 1953) p. 136, 141, 151

Herodotus, III,XCIII, C.E.,

وانظر أيضاً . Bosworth, art. Makram EI. 2nd . ede. Vol. VI, p. 192f

والثالث يتعلق بتحقيق موضع "مِلُخّا" جغرافيا وهل تقع في حوض نهر السند، أو في الساحل الغربي للهند كما ذكر ليمنس، أو على الشاطئ الشرقي للخليج الفارسي كما يرى "لاندزبِرْكَ"، او فقط إلى الشرق من "ماكَان" أي في القسم الباكستاني من مكران مع إقليمي سروان و"جَلَوَان" من أقاليم بلوتشستان، فقد قام "هَنزمان" بفحص بعض المنتجات من " خشب اليوزو"، والذهب، والنخيل، والنحاس، وطيور العاج الملونة (انظر art.cit., p.560) والمستوردة كلها من "ملخا" Melukhkha ليتحقق من اتفاقها مع إمكانات الموضع. وذلك بالإضافة إلى دراسة بعض النصوص القديمة السنسكريتية التي ذكرت جماعة من الخارجين على القانون الهمجيين الذين كانوا لا يذعنون للعادات الهندوسية ويقطنون في مناطق ما وراء منخفض حوض السند، فكانت النتائج تدل على أن أولئك الأقوام كانوا من "مِلُخّا". (art.cit. p564).

ثم بفحصه معلومات التنقيبات الآثارية لمكران استخلص "هانزمان" من ذلك شواهد على وجود انفصال بين شطري مكران الشرقي والغربي في القديم أي الفترة التي تحدثت عنها النصوص=

وما زال علماء الآثار على خلاف فيما إذا كانت "ماكَان" هي مكران الحالية و"مِلُخًّا" هي بقية الأقاليم التي ينتشر فيها البلوتش أي ما يعرف ببلوتشستان، أم هما مصر وأثيوبيا.

ويستنتج جَيْ. ها نزمان، بعد سلسلة من البراهين والحجج ضمن بحثه المرجعي الدقيق أن اسم "ما كَان" لا بد أنه يرتبط لغوياً بمكران اليوم ـ بلوشستان الإيرانية الجنوبية ـ وأن اسم "مِلُخاّ" يرتبط بما كان يعرف سابقاً بخانية "كَلاَت" التي تشمل معظم بلوتشستان الباكستانية(١).

وبعد الاطلاع على الآراء ومقارنتها فيما بينها، يخلص الباحث إلى ترجيح أن تاريخ بلوتشستان يعود إلى ٢٣ أو ٢٤ قرناً قبل الميلاد عندما ذكرت النصوص المسمارية الأكاديمية "ماكَان" لأول مرة في أحد النصوص الأكادية التي تعود إلى زمن سرجون الأكادي (٢٣٧٠ ـ ٢٣١٦ ق. م) نجد اسمي "ماكَان" و"مِلُخاّ" ضمن نص يمجد بطولات ملك أكاد حيث يذكر: "وقد جعل سفن ديلمون (البحرين) و"مِلخاّ" و"ماكَان" ترسو على رصيف أكاد"(٢) وفي نص آخر نقرأ أن الملك "ناران سِنْ" (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق. م) غزا "ماكَان" وفرض نفوذه عليها وقتل "مانوي" سيدها واقتلع الحجارة من جبالها، ونقلها إلى أكاد ليصنع منها التماثيل"(٣). ولكن وفقاً لسجل أحد المعابد البابلية وبالذات في فترة "دانكَي"، وهي غير محددة تماماً بالنسبة لعهد "نارام سِن" ـ نجد أن "مانوي" ملك "ماكَان" قد تم تشريفه بتسمية مدينة "مانيوم" باسمه(٤). وفي زمن الأسرة اللجشية أي في

= السومرية. تلك الأدلة المتقدمة ربما تقود القارئ إلى الاعتقاد مع شيء من الثقة إلى أن موضع "مِلُخًّا" Melukhkha يتطابق مع ما يعرف ببلوتشستان الباكستانية.

(1) Art,.cit., p 555, where he quotes from G.A Baston, the Royal Inscriptions of sumer and akkad (New Haven, 1929). p. 108 .

(٢) المرجع السابق.

(3) Ibid .

(4) A.T. Wilson , op.cit . p. 28 .

عصر "جوديا" (٢٢٢٠ق.م)، ثم عهد " إبّي سِنْ" (Ibbi-Sin) من الأسرة الأورية الثالثة (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) نجد ذكر اسمي "ماكَان" و"مِلُخّا"، وقد ارتبطتا بعلاقات تجارية مع تلكم الأسرات(١). ولم تذكر هذه النصوص ما يدل على اتحاد "ماكَان" و"مِلُخّا" أو انفصالهما.

وإذا أمعنا النظر في ما تضمنته النصوص السومرية المتقدمة من غزو "ماكَان" واحتلالها، وتشريف ملكها "مانوي" أو "مانيوم" ثم قتله. والإشارة ضمنياً إلى استقلالية "ماكَان" خلال النص الأول: "... سفن ديلمون وماكَان مِلُخّا..." وبالإضافة إلى النصوص الأخرى التي تتحدث عن التبادل التجاري، فيمكن أن نزعم أن "ماكَان" كانت تشتمل على ما يعرف بمكران في بلوتشستان الفارسية وأنها كانت مستقلة تماماً عن بلاد "مِلُخّا" (حالياً مكران الباكستانية وبلوتشستان الباكستانية أيضاً).

أما إذا نظرنا في دلائل التنقيبات الآثارية فنجد أنه من خلال التدقيق في الفخاريات المكتشفة في المنطقتين الآنفتي الذكر، ومعظم الفخاريات التي تعود إلى الفترة المبكرة فترات "بمبور" الأولى حتى الخامسة المركز الرئيس للاستقرار الحضري في القديم، يتضح أن المستوطنات الرئيسة القديمة في بلوتشستان الفارسية الجنوبية (مكران الغربية) تتشابه كثيراً مع آثار "تيبي يحيى" (الفترة الرابعة والخامسة) في المنطقة الفارسية المجاورة جنوب "كرمان". كما يظهر سياق "بمبور" أيضاً تطابقاً مع فخاريات الفترات الثانية حتى الرابعة المكتشفة في موقع "شهر سُختة" الواقعة في سيستان الجنوبية. وكما نرى فإن الفخار الهارابي المتميز(٢)

(1) J. Hansman , art.cit . p 556 . Cf. E. Herzfeld op.cit. p. 335 for comparsion of the late products of Melukhkha late Gedrosia , with the ancient ones .

(٢) يطلق علماء الآثار على حضارة وادي الهندوس المبكرة اسم " الحضارة الهرابية Harappa Culture وقد اشتقوا هذا الاسم من الاسم الحديث لأحد مواقع مدنها العظيمة على الضفة اليسرى لنهر "رافي" في البنجاب أما "موهين جودارو"، المدينة الثانية فتقع على الضفة اليمنى من نهر=

والذي وجد في ثلاثة مواقع بالقرب من الساحل في بلوتشستان الشرقية، يحدد هوية هذه المستوطنات على أنها مراكز مستولدة من حضارة وادي الهندوس، ولكنه ما من مواد اكتشفت في "بمبور" ترتبط بالحضارة الهَرَابِّيَّة، وأما الفخاريات المكتشفة في فترتي "بمبور" الخامسة والسادسة، فقد دلت على بعض القواسم المشتركة مع حضارة "كوللي" المنفصلة في بلوتشستان الشرقية الوسطى وبدورها دلت على التأثير الهارابي هناك، ومع هذا تعد فخاريات "بمبور" هذه دخيلة ولا تتطابق مع الصفات الرئيسة للمجموعة هناك، وتبقى فخاريات حضارة "كوللي" التي رغم تشابهها مع الفخاريات الهارابية العائدة إلى مراحل متطورة تالية ضمن سياق منفصل، أما دليل الاتصال ما بين مواقع بلوتشستان الشرقية الداخلية والمواقع الهارابية الواقعة قرب الساحل، فيستنتج من فخاريات "كوللي سوتكاغين دور"، التي ربما تكون أكبر هذه المستوطنات، ومن خلال وجود بعض الفخاريات الهارابية في مواقع كوللي الداخلية(١).

= الهندوس على بعد ٢٥٠ ميلاً من مصبه. ومساحة المنطقة التي تغطيها الحضارة الهارابية بمجملها تبلغ ٩٥٠ ميلاً مربعاً من الشمال إلى الجنوب، ومن أجل معلومات تفصيلية أكثر انظر:

A.L. Basham, The Wonder that was India, 3 rd . ed. (London, 1985) , p.14 f. and M.wheeler, the indus civilization (Cambridge, 1968) ,p. 15 S.S., Sarker , Ancient Races of Baluchistan , Penjab , and Sind . (Karachi , 1981) pp. 8-20 46,66 .

(١) يعتقد ج. هانزمان وكثيرون من الباحثين في القديم أن القوات الهارابية احتلت سوتكاغين - دور وتوابعها الواقعة على الساحل - جنوب وادي كيج - وحولتها إلى منافذ المملكة الهارابية. ومن ناحية أخرى لاحظ إن. سي. ماجوم دار أن البقايا الأثرية في نال وكوللي وميهي ومواقع أخرى شمال بلوتشستان، تختلف عن بقايا المدن الهارابية الأثرية، برفعة الأسلوب وبتفوق الطراز البنائي ومن هنا يبرز السؤال فيما إذا كان القسم الشرقي في مكران وإقليم بلوتشستان مستقلان إدارياً عن هارابّا في العصور القديمة راجع:

J. Hansman art.cit BSOAS, VOL.XXXVI (1973) p. 563 . and A Sarma, " Decline of Harappan culture = A Re- look , " EW, VOL.XXXVII, no 1-4 (Dec. 1977) p.321 -331 . and M.C Majumdar , " Exploration in Sind , " MASI, VOL.XL.VIII, p27 . and A. stein, "An Archaeological Tour in to Gedrosia , MASI " VOL.OL.III (1981) p. 52-144 .

كما تشير أيضاً فخاريات المرحلتان المبكرتان المكتشفتان في "شاهي تومي" - موقع أقرب إلى "بمبور" من مواقع "كوللي" الأخرى - في القسم الشرقي من بلوتشستان إلى صلات مع فخاريات حضارة خوراب في شرقي إيران، ولكن مكتشفات المرحلة المتأخرة من "شاهي تومب" تظهر صلات قوية مع سياق "كوللي" . وهناك جدل قائم حتى اللحظة حول تاريخ بعض الفخاريات التي تهمنا وبناءً على بعض القطع الفخارية المشابهة التي أظهرتها الحفريات في "تيبي يحيى" فإن سياق "بمبور" يعود إلى نهاية الألفية الرابعة حتى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد، وبالمقارنة مع مواد مكتشفة في "شهرِ سُختة" فإنه من المرجح أن يعود تاريخ فترات "بمبور" الأولى حتى الرابعة إلى ما بين ٢٤٠٠ و ٢٠٠ قبل الميلاد، ويقترح علماء التنقيب الآثاري تاريخاً نهائياً للمناطق التي تم كشفها حتى الآن يرجع إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد، ومن المتعارف عليه أن المرحلة الهارابية من حضارة وادي الهندوس ترقى إلى الفترة الواقعة بين ٢٣٠٠ و ١٧٠٠ ق . م(١).

وإجمالاً لما تقدم يرى جّيْ. هانزمان أنه رغم الالتباس والغموض الذي يكتنف مسألة تاريخ "بمبور" ، فإن الدلائل المتوفرة توحي بأن المواقع الموجودة غربي بلوتشستان قد ظلت في غابر الأزمان مرتبطة ثقافياً مع المستوطنات الواقعة شرقي وشمالي إيران، أما المواقع الموجودة شرقي بلوتشستان فتتناسق إن لم تتطابق مع مواقع حضارة الهندوس في أقصى الشمال، وبما أن الروابط الثقافية غالباً ما تعكس انسجاماً سياسياً - ليس بالضرورة اندماجاً سياسياً - فإن مكتشفاتنا جاءت لتؤيد نظرية بقاء بلوتشستان الشرقية والغربية وحدتان إداريتان منفصلتان على الأقل،

(1) Art.cit. p. 563f., Cf. C.C. Lamberg - Karlovsky , " Mesopotamia and the India - Iranian Border land " Iran : JBIPS. Vol.X (1972) p. 93 ; M.Tosi, " A Tomb from Damin " EW, p. vol.XX, p. 13; B. De Cardi, APAMNH , vol. Vol. LI, 3 (1970) p. 257, 268; M. wheeler , The Indus Civilization , 3rd . ed. (Cambridge 1968) p. 15- 18; W.A. Fairservis , Gr , The Roots of Ancient India, (London , 1971) p. 227, cited in J. Hansman art.cit . p. 563.

فيما بينهما"(١) وخلال الفترة موضع الدراسة وربما الأقدم من ذلك.

وبعد عام ١٧٦٣ ق.م يأفل نجم مكران ويغيب ذكرها قرابة ألف عام لتظهر من جديد كمركز تجاري هام، وها هي النصوص المكتوبة إبان حكم "سنحريب" (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) تتحدث عن "ماكا" "Maka" ومكانتها وشهرتها بتصدير الأخشاب المستخدمة في بناء قصور سنحريب إلى جانب الزيت والصمغ وعطر "بَلُوخّو" Balukhkhu وبعض الزيوت العطرية التي كانت تستخدم أحياناً كأدوية علاجية في ذلك الزمان(٢). أما مسألة استقلال كل من "ماكا" ماكَان، و"بلوخّو" "ملخا" (مكران وبلوتشستان) أو خضوعهما في تلك الفترة لاحتلال أو نفوذ خارجي فهذا لم يتأكد بعد.

ويظهر أن مكران وبلوتشستان قد ارتبطتا بنشاطات تجارية وزراعية مع بلاد أخرى في الأزمنة القديمة، وقد ذكر الميجور إي. مكلر نوعاً من الأرحية يتسم بالضخامة التي شاهدها في المحيط المجاور لـ "كَوادر"، ومنها افترض وجود روابط محتملة مع اليمن، وقد تقبل هـ.ت. هولديتش هذا الافتراض، إذ أنه سبق ونسب آثاراً مما يعرف محلياً بـ "كَبْرباند" - الأبنية الشبيهة بالسدود - للقبائل الحميرية التي يزعم أنها هاجرت إلى تلك المنطقة على دفعات(٣).

إن النصوص الرافدية الآنف ذكرها واللقيات الأثرية التي وجدت بين الآثار لهي

(1) art.cit . p. 564 .

(2) Ibid where the author refers to D.D. Luckenbill, The Annals Sennacherib (Chicago, 1924) p.106 , 110; Hersfeld, The Persion Empire , p. 70; R.C. Thomson, A Dictionary of Assyrian Botany (London, 1949) p. 238f . 342f .

(٣) بالطبع لا يمكن تأكيد هذا الاعتقاد فقد تعلمنا من التاريخ أن معظم الهجرات كانت تتم من مناطق متخلفة إلى مناطق متطورة أي من القرى إلى المدن مثلاً من البلاد الفقيرة إلى البلاد الغنية وبالمقارنة فإن اليمن كانت أفضل حالاً حينذاك.

Cf. E. Mockler " On Ruins in Makran, JRAS, VOL, IX, pr.11 (April 1877) p.131.; On Identification of Places, etc., JRAS, vol.XI (1879) p.135ff.; T.H. Holdich, " A Retreat from India " JUSI, vol.XXIII (1874) p. 118; idem the Gates of India, p. 292 .

شاهد ودليل بين على وجود تفاعل سياسي وثقافي بين مكران وبلوتشستان وبلاد الرافدين خلال عهود قديمة مختلفة، وقد اقتصرت العلاقات مع بلاد الرافدين خلال العهود المتأخرة على التجارة، فمن مكران وبلوتشستان (ماكَان وملخا = ماكان وبلوخّو فيما بعد)، تم استيراد الفضة التي قيل عنها أنه في أوائل المرحلة الإسلامية كانت تنتج الفضة في جبل الفضة شمال شرقي "جيرُفت"(١)، كما تم أيضاً استيراد حجار الديوريت لصنع التماثيل والعقيق الأحمر والنحاس والذهب والعاج والطيور العاجية الملونة وبصل خشب "ماكَان" والتمور والكراسي والصمغ "البلوخّي" وأنصال الخناجر وخشب الميسو، إلى آخره)(٢).

ويقال أن شعب بلوتشستان كان لهم نشاط بحري، وكما هو مدون في النصوص القديمة فإن سرجون ملك أكاد (٢٣٧٠ - ٢٣١٦ ق.م) سمح للسفن القادمة من ماكَان و"ملخا" بالرسو على أرصفة ميناء أكاد مع سفن دول أخرى.

وإذا نظرنا في الاتصال الحضاري بين مكران وجيرانها قديماً فترينا آثار مكران القديمة أن "فخاريات الفترة الرابعة" لشَهر سُخْته "تتطابق من حيث الشكل واللون مع نماذج فخاريات فترتي بَمْبور ٥ - ٦"(٣)، وقد ظهرت في فخاريات عمان "بعيداً عن سيستان وعلى الجانب المقابل للخليج وضمن بقايا المستوطنات والمقابر والآثار لحضارة "أم النار" رسومات تزيينية من النوع السابق، وتعد هذه المعلومات هامة من أجل دراسات مستقبلية حول الاتصال ما بين ضفتي خليج عمان والخليج الفارسي إبان الألفية الثالثة قبل الميلاد كما لمحت ديكاردي إلى ذلك في بعض الأحيان"(٤). وفي الفترة الرابعة التي تلي تم اكتشاف دولاب السرعة إلى جانب

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية (لايدن، ١٩٦٧)، ص٤٧٠ وانظر أيضاً R.J.Forbes, Studies in Ancient Techinology, vol.VIII (Leiden,1964) p.212.

(2) J. Hansman, BSOAS, VOL.XXXVI (1934), p. 555-8.565 .

(3) M.Tosi, " A Tomb from Damin", p.13 .

(4) Ibid .

العديد من القطع الأثرية الأخرى في بقايا بناء مهيب تتعدى مساحته ٥٠٠ متر مربع، وبدت أشكال الفخاريات أكثر نضجاً... لكن ما أن تصل عملية التحضر إلى أوج تطورها وإمكانياتها حتى تنتهي مع دمار القصر أو دمار المستوطنة بأكملها. "وبالتأكيد، فلحضارة "حوض نهر هلمند" بديناميكيتها الفاعلة وبنائها الحضاري المتين في القديم تأثير مباشر على حضارة وادي "بمبور" في مكران، ويتضح ذلك من ملاحظة آثار بواكير الفترة الثانية لموقع "شهر سختة"(١). وأكثر من ذلك لا يمكن ملاحظة التشابه فيما بين الأدوات الجديدة ذات الأرضية السوداء والحمراء بطرازها التخطيطي المتواصل وشرائطها الطولية التي رست عليها غزلان تركض أو مناظر لعناصر طبيعية، وبين أنماط فخارية مستخرجة من مواقع القلعة، شوكًا من فارس و "أم النار" في عمان. ويعني هذا أن روابط الشمال والجنوب قد هيمنت على روابط الغرب والشرق، وهذه حالة تتشابه إلى حد بعيد مع حالة الألفية الرابعة قبل الميلاد(٢)، وها نحن نعلم الآن وبفضل الجهود التي بذلتها البعثة الدنماركية على مدى سنوات، أنه ابتداءً من الألفية الثالثة قبل الميلاد وربما أبكر من ذلك، قد استقرت مجموعات سكانية كبيرة على طول الساحل العماني لخليج فارس وحول الواحات المتناثرة في الداخل العماني حيث شدتها الينابيع المتوفرة على سفوح الجبال والسمك الوفير في البحر المجاور وفرص التنقيب عن النحاس"(٣).

(1) Idem, " Bampur : a Problem of Isolation " EW, vol. XXXV, no. 1-2 (March - June, 1974) p.32 .

ويعتقد الكاتب أيضاً أن سيستان ووادي هيلمند وماندلغاك تمتلك حضارة واحدة لا يمكن فصلها.

(2) Ibid , p. 33, 8fig. 3.

(3) Ibid .

كما استخلص ذلك الباحث من مقالة لـ K. Frifelt كي. فريفلت، بعنوان "Jamdat Nas Fund fra Oman" في دوريته KUML، عام ١٩٧٠م، الصفحات من ٣٥٥ إلى ٣٨٣. وكذلك

E.C.L. During Caspers, " Trucial in Oman in Third Millenium B.C, " Origini, IV (1970) pp. 205 - 276 .

ويلاحظ آر . إل . رايكس أن " الشكل العام يمكن مطابقته مع الكثير من المواقع الأثرية في بلوتشستان بما فيها "بريانوكَندي" في إقليم "زهوب" ومجموعة الآثار الشمالية و "بمبور" في إيران، لكن المواد الوحيدة التي شاهدتها والمتطابقة فعلياً من ناحية الشكل والأطراف المسننة ببراعة (حيث تتساوى الفراغات ما بين الأسنان) هي المواد التي تعود إلى مواقع "أور" و"العُبيد"(١) الموجودة في المتحف البريطاني(٢).

ومن هنا، نجد أن المقاطع التي سقناها من مصادر أصلية تؤكد وجود تبادل بين حضارة بمبور وبين الحضارات المتزامنة معها مثل حضارة بلاد الرافدين وعمان وسيستان وذلك برغم أن التاريخ الدقيق لتلك الحضارة ما يزال يكتنفه الغموض، أما التراث الديني لكل من مكران وبلوتشستان "ماكَان" "ماكا" و"مِلُخّا" أو "بَلُوخو" فغامض نوعاً ما، وكل ما نعلمه هو وجود بعض القدماء اللذين مارسوا طقوس حرق الموتى جزئياً أو كلياً وآخرون مارسوا الدفن دون مقدمات، واعتادت تلك الشعوب على دفن قدور الطعام مع الميت مما يوحي بأنها ربما كانت تؤمن بالبعث بعد الموت، وما من شك أن الديانة الزرداشتية(٣) والبوذية قد شاعت في فترة من الفترات على مجمل المنطقة لكن ذلك وقع في أزمنة متأخرة.

وقد أصبحت كل من مكران وبلوتشستان في الأزمنة المتأخرة محط أنظار الأمبراطورية الفارسية الأولى إذ أننا نعلم أن "سايرُس" قد حاول الزحف نحو مكران ليضمها تحت سيطرته، وتذكر المصادر أنه بعد موته ذهب خليفته الملك "كاوس"

---

(١) أور " و " العُبيدْ " موقعان أثريان من بلاد الرافدين في العراق . .

(2) "New Prehistoric Bichrome Were from the Plains of Baluchistan , Wes Pakistan " , EW, VOL,XIV, no1-2 (1989) pp. 61-65 .

(٣) من المرجح أن يعود تاريخ الديانة الزرداشتية إلى القسم الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، وقد لاحظ السير ب . سايكس أن عادات دفن الموتى، في هذه الديانة، تختلف عن العادات الموجودة لدى قدامى سكان مكران وبلوتشستان ويقال أن معتقد البعث بعد الموت هو معتقد آري قديم جداً. انظر:

History Of Persia, VOL.I (London, 1915) p. 109, 116 .

برحلة طويلة زار خلالها جميع أنحاء مملكته التي كانت تضم حينذاك مكران كجزء منها، وترافق تواجد الفرس حسب ما جاء في "الشاهنامه"(١) مع النمو التدريجي لسيادة الترك القادمين من "طوران" على مكران وبلوتشستان.

ويعود تاريخ السيطرة الفارسية على بلوتشستان إلى ٥٥٠ (ق.م.)، لكن بعد استلام "كيخسرو" السلطة الذي قيل أنه شن حملة عسكرية هزم خلالها "أفراسياب"، وأعاد السيطرة على "مكران"، وأنه مكث قرابة سنة في مكران، ليقوم على تحسين الأحوال الزراعية في المنطقة، وأحضر الخبراء الزراعيين من جميع أنحاء المعمورة وكانت توجيهاته لهم أن ينشئوا الحدائق والبساتين وأن يزرعوا الفواكه وأن يوجدوا المراعي لترتع فيها خيوله، وحين مغادرته عين "أشكان" حاكماً عاماً على البلاد(٢).

يعتقد هيوز ـ بوللر أن "أشكاش" أو "أشكان" هو الذي أطلق اسمي "كاوسي" و"خسروي" على قناتي الري في "توربات" جنوبي مكران واللتين ما تزالان تحملان نفس الاسم حتى يومنا هذا(٣).

---

(١) الشاهنامه. ملحمة شعرية عظيمة جمعها ونظمها الشاعر الإيراني الكبير أبو القاسم حسن بن إسحاق الفردوسي نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس (العاشر والحادي عشر الميلادي). ويقال بأنها جُمعت من القصص والأساطير التقليدية التي سادت إيران عبر القرون، انظر شاهنامة الفردوسي، ترجمة جيمس اتكنسون، لندن، ١٨٨٦م، ص،X، وكذا إي، جي، براون، تاريخ الأدب في إيران، جـ٢، لندن، ١٩٠٦م، ص ١٤١ وما بعدها، وقد لحظ براون أنها تنطوي على بعض الأخطاء وجوانب الضعف التوثيقي، مما يدعو إلى الحذر من الاعتماد عليها مصدراً تاريخياً.

(٢) من الإفادة أن نشير إلى أن النسخة العربية من الشاهنامة تختلف عن النسخة الإنكليزية، فالأولى تذكر موقع مكران قريباً من إقليم الترك والصين، ولعل هذا ما حمل بعض الباحثين من مستشرقين وغيرهم إلى التحذير من الوثوق في معلومات الشاهنامة التاريخية، انظر BDGS سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان، ج، ٧، ص٣٤، والشاهنامة، (ترجمة عربية) للفتح بن علي البنداري، تحقيق ونشر، عبدالوهاب عزام، القاهرة، ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م الصفحات ١١٩ و٢٨٩.

(3) P.M. Sykes , History of Persia, Vol.2, (London 1915), pp.173-8 .

معظم المعلومات الأكيدة حول مكران (ماكا) وبلوتشستان طوران وقيقان تأتينا إبان فترة حكم الملك "داريوس" من العائلة الأخمينية الثانية التي تعود إلى الهِسْتَسبيين " (٥١٢ - ٤٨٥ق.م). وتؤكد النصوص المنقوشة على "بَهِستون" "ماكا" (مكران) وطوران وقيقان البلوتشستانية كانت ولايات ضمن الأمبراطورية الأخمينية(١)، وكانت مكران تعرف في هذه النصوص باسم "ماكا" وشعوبها باسم "الماكيين" وذكرت هذه النصوص أيضاً فقرات تشكر فيها الإله (آهورا مازدا) على مساعدة داريوس بإخضاع مكران (ماكا) لحكمه، وفرض أتاوة سنوية تدفعانها مكران وسيستان كونهما لا تنتميان أصلاً إلى فارس(٢)، وتم تأكيد هذه السيطرة من قبل خليفته كسرى الأول (٤٨٢ - ٤٦٥ ق.م)(٣).

وفي نهاية حكم داريوس الثالث (٣٣٦ - ٣٣٠ ق.م) قام القائد الأسطوري الإسكندر المقدوني الملقب بالعظيم بالقضاء على داريوس الثالث، فاحتل جميع أراضي إيران وأخضعها لنفوذه. وقبل أن ينطلق إلى مرتفعات هندوكوش - المعروفة أيضاً بالقوقاز الهندية - كان قد أخضع بلاد الكَدْروشيين أي "مكران" و"بلوتشستان" خلال حملته على - سيستان التي كانت تعرف حسب النصوص اليونانية بـ "درانغي"(٤).

---

(1) R.G. KENT, Old. Persian Grammar (New Haven, 1050, p. 117,119,136f, 141, 145, 151) .

(2) Ibid, p. 117, 136, 151 .

(3) Ibid, p. 151, 156 .

(4) Arian, The Campaign of Alexander , translated into English by, Aubreg de Selincourt, repr. (London, 1986) p.334f . also, J. Mc Crindle, Invasion of India , (London, 1969) pp. 171, 173 .

ولمزيد من التفاصيل حول حملة الإسكندر خلال مكران انظر ما كتبه مرافق الحملة " آريان " المذكور في الصفحات من ٣٢٧ إلى ٣٤٠، وما كتبه ماك كرندل في الكتاب المذكور الصفحات ١٦٦ - ١٧٧ و ٢٦١ - ٢٦٤ وص٢٩٧. أما التفصيلات الجغرافية للمواضع التي مر عليها=

اجتاز الإسكندر المقدوني بلوتشستان ("كَدْروشيا" في المصادر الإغريقية) خلال تراجعه من الهند، وكانت دوافعه لاجتياز بلوتشستان تكمن في نقطتين: النقطة الأولى هي رغبته في اكتشاف الموانئ الساحلية للبلاد الصالحة لرسو قطع أسطوله البحري القادم من الهند، والنقطة الثانية هي تحقيق ما لم يحقق أحد من قبل، إذ أنه كان يعلم أن هذا الطريق قد سبق له، وهزم كل من حاول الخوض فيه ما عدا القائدين العظيمين اللذين تمكنا من عبور تلك المنطقة المنعزلة وهما الملكة "سميراميس" والملك "سايرس". ويذكر في سياق التاريخ أن "سميراميس" فقدت معظم جيشها حينها، وتمكن "سايرُس" خلال غزوه للهند من النجاة هو وأربعة من رجاله فقط(١). وهكذا، انبرى الإسكندر المقدوني لتحقيق ما عزم عليه بينما تحف به المخاطر والمشقات من كل جهة. ويروي "آريان" أحد المؤرخين الأغريق الموثوقين الذين رافقوا تلك الحملة أنه في أواخر صيف ٣٢٥ قبل الميلاد انطلق الإسكندر المقدوني من "باتّالا" في القسم السفلي من حوض السند (قد تكون "تاتا"(٢)

= الإسكندر وجيشه وتحديدها فانظر مثلاً " سلسلة موسوعة اقاليم بلوتشستان BDGS الجزء السابع ص٤٠ وما بعدها. ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية الجزء الحادي عشر الصفحات من ١٢٩ ـ ١٥٤ وانظر أيضاً:

T.H. Holdich " A Retreat from India " JUSI, VOL. XXIII (1894) pp.112 -128 ; Idem, The Gates of India , pp. 149 -151, 162, 165. cf. A.T.Wilsob, The Persian Gulf, p.37. ; P.Sykes, Ten Thousand Miles in Persia (London 1902) , pp. 165-175.; A.Stein " On Alexander's Route into Gedrosia " GJ, VOL. CII (1943) pp. 213 - 227 .

(1) Arrian , op. cit., p. 335 .

(2) CIESA, Vol. I, p. 255. cf. Stein, art.cit. p. 213 .

إذ اقترح أن تكون باتالا " هي موقع مدينة حيدر آباد " حالياً، وانظر:

T.H. Holdich, " A Retreat from India " , p.115; H.T. Lambrick, Sind : a General Introducation (Hyderabad, Pakistan, 19640 p.188f.; J.W. McCrindle , Ancient India as in Classical Literature (London, 1971) p.40f.; Idem The Invasion of India p. 356f.; A Cunningham, The Ancient Geography of India, repr. (Vesanasi, 1963) p. 235ff .

المعاصرة) عبر وادي "أرابيوس" (على طول نهر الهاب، الفاصل الحدودي بين السند وبلوتشستان) ومن ثم اتجه إلى الساحل الغربي لعدة أسباب منها تأمين مناطق لرسو أسطوله[١] والحصول على الإمدادات الغذائية والمائية لمداهمة الأوريتائيين[٢] الذين يقيمون فيما يعرف اليوم باسم "لسبيله" أو "لاس بيلا" ليتمكن من إخضاعهم واحتلال بلادهم بسرعة، ثم توقف بعد ذلك لأخذ قسط من الراحة في "رامباشيا" التي قيل بأنها أكبر المستوطنات الأوريتائينية - وأمر قائده هيفاستيون ببناء مدينة على ذلك الموقع الذي حدده[٣]، مكث الإسكندر هناك ينتظر أسطوله وبنفس الوقت يتلقى فروض الاستسلام والطاعة من قبل قادة الأوريتائيين وأتباعهم[٤]، وبعد أن انتهى من شأن الأوريتائيين نصب "ليوناتوس" حاكماً عليهم ثم اتجه الإسكندر مع من رافقه عبر "كَدْروشيا" (Gedrosia) البلاد المقفرة المعزولة[٥] حيث تنتظره أخطر المآزق وأعقد العقبات[٦] هناك.

يمكن اختصار أول ثلاث مشاكل وعقبات واجهت الإسكندر حسب آريان

---

(١) الجدير ذكره هنا أن الإسكندر أثناء انسحابه من الهند أرسل فرقة من قواته عن طريق البحر، بإمرة القائد " نيرخوس "، وذلك من أجل تأمين الطريق من السند إلى كارمانيا (كرمان الحالية) ومن ثم سوسيا (السوس) أو الأهواز (آريان، نفس المصدر، ص ٣٤٣).

(٢) كانت الشعوب الأوروريتائينية (Ortiae) - حسب ما أورده آريان - قبائل هندية تقيم شمال غرب مجرى نهر الهاب (أرابيوس في المصادر الإغريقية) انظر (آريان ص ٣٣١ - ٣٣٣). لا يوجد في يومنا هذا شعوب تحمل هذا الاسم في لاس بيلا، والجدير بالذكر أن الجغرافي الإغريقي بليني كان يدعوهم الأورتيس. قارن، مثلاً J.W.McCrindle, Ancient India, p.109; A.Cunningham , op. cit, p. 259, f.

(٣) آريان، ص ٣٣١.

(٤) المصدر السابق ص، ٣٣٢.

(٥) يشير آريان - إلى بعض نباتات أوريتاي وكَيدروشيا، ضمن مقطع من معلومات موضحة، فيذكر وفرة شجر المر والناردين (سنبل الطبيب) برائحته الزكية وقد كان الفينيقيون على دراية بهذه النباتات وكانوا يجمعونها إلى جانب النباتات الأخرى (انظر ص ٣٣٢ وما بعدها).

(٦) المصدر السابق نفس الموضع وأيضاً سلسلة موسوعة إقليم بلوتشستان، المجلد السابع ص ٣٥.

على الشكل التالي: وعورة الطريق ومشقته، ونقص المؤن، وشح المياه لدى الجيش. الأمر الذي اضطرهم إلى قطع مسافات طويلة في الليل: " ووصل" الإسكندر " إلى منطقة في "كَدْروشيا" (من المحتمل أن تكون في وسط مجرى نهر هِنْكَول Hingol) وافرة المؤن. ومع ذلك أمر الإسكندر جيشه بعدم استخدام هذه المؤن مهما كانت ضرورتها. ولقي القرار الكثير من التذمر إلى درجة بدت فيها عناصر القوات على وشك عصيان هذا الأمر[١].

شق الغزاة الإغريق طريقهم خلال مكران كونها الطريق الأقصر، يكابدون الصعوبات والمشقات، و "سببت الحرارة اللاهبة وقلة المياه المزيد من الإصابات"[٢]. ثم صادف هطول الأمطار مع اختراق الجيش لتلال مكران، وكان انهمار المطر شديداً لدرجة أن الجيش الذي قضى الليل في مجرى النهر قاصداً المياه فوجئ بالسيل العنيف الذي جرف الأطفال والنساء والمتاع فلقي الكثيرون حتفهم[٣]. وإضافة إلى ذلك وخلال توغلهم في المنطقة بدأ الأدلاء يفقدون معالم الطريق بسبب العواصف الرملية العاتية، التي ثارت دون سابق إنذار، ومما زاد في تفاقم الأمر هو تخبط الأدلاء ليلاً دون نجوم ترشدهم إلى المسار الصحيح.

انقسم رأي الإسكندر واتباعه رغم حرصهم على الاستدلال عن الطريق بوساطة النجوم، فانطلق الفينقيون معتمدين على الدب الأصغر، فيما اعتمد باقي الجيش على الدب الأكبر كما يذكر ذلك "أريان"، وبما أن القرار يعود للإسكندر أولاً وأخيراً، فقد شعر أن الطريق لا بد أن تكون إلى اليسار أكثر، فطرق جهة الشمال حتى وصلوا إلى الساحل، وهناك كانت المؤن والماء العذب، وبعد ذلك تابع الملك الإغريقي طريقه باتجاه الشمال إلى بورا[٤]، والتي كانت آنذاك عاصمة "كدروشيا

(١) آريان، ص٣٣٤، وسلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان؛ المجلد ٧ ص ٣٦.

(2) Arrian, p. 336 .

(3) Ibid, p. 338 .

(٤) كانت بورا عاصمة كدروشيا أثناء حملة الإسكندر المقدوني وكانت هي نقطة الوقوف الأخيرة=

" حيث جمع المؤن التي يحتاجها، ومن ثم تابع زحفه إلى كارمانيا[١] (كرمان المعاصرة).

يبدو أن الإسكندر المقدوني لم يحكم سيطرته على كل "كَدروشيا" ونعلم أنه وجيشه مروا بأماكن توفرت فيها المؤن، ومن الغريب أن لا يذكر "آريان" أو أي مؤرخ إغريقي آخر أسماء الأماكن التي مر أو توقف بها الإسكندر خلال اجتياحه لكدروشيا، ولم يأتوا أيضاً على ذكر ما فعله الإسكندر بأهل تلك البلاد.

وبعد موت الإسكندر (٣٢٣ق.م) اختلف قادته فيما بينهم، ونتج عن ذلك صراع بين القائدين القويين انتيغونوس "وسِلِوكس نِيكَاتُور". وقد استطاع سلوكس أن يستولي على السلطة في بابل وسرعان ما امتدت سيطرته حتى وصلت إيران وآسيا الوسطى ليحكمها هو وسلالته "السلوقيون" عقوداً، وبطبيعة الحال لا بد لمكران وبلوتشستان من الخضوع لهيمنته أثناء مده نفوذه وسلطته إلى حدود الهند، وفي عام (٣٠٥ ق.م) شن "سلوكس" حملة إلى أقصى الشرق هدفه منها احتلال وادي الهندوس، لكنه واجه تحد كبير من القوة الجديدة الناشئة آنذاك "التشاندرا كَبتا" بقيادة "راجا مَكَادا" الذي هزمه، مما اضطر "سلوكس" إلى إبرام معاهدة صلح مذلة بحقه أجبر خلالها على تسليم مكران وبعض الأقاليم الأخرى إلى الراجا في ٣٠٣ م[٢]. ومرة ثانية تصبح مكران وبلوتشستان محط أنظار القوتين المتنازعتين، قوى النجد الإيراني وقوى شبه القارة الهندية.

= لجيش الإسكندر وكانت نقطة اللقاء بينه وبين قائده كارتيوس الذي أرسله من السند عن طريق سيستان. وقد أرجعها الآخرون لتكون فاهرج أو باهورا كما يسميها البوتشيك. انظر ما كتبه آ. شتاين " حول طريق الإسكندر إلى كَدروشيا " ص ٢٢٣ وما كتبه ب. سايكس " عشرة آلاف ميل في فارس ص ١٢٧ وأيضاً " الانسحاب من الهند " وبوابات الهند.

(١) آريان، ص ٣٣٩.

(2) BDGS, VOL, VII, p.41; VOL. VIIA, p.23 , see also V.A. Smith, The Early History of India (Oxford, 1924) p.125; Idem, The Oxford History of India (Oxford, 1928) p.74

وتختفي مكران وبلوتشستان مرة أخرى من سجلات التاريخ لمدة ٧٠٠ عام خلال حكم الأسرات الفارسية المتعاقبة قبل الإسلام. وبالتأكيد لا يستطيع المرء أن يتكلم عن الأحوال السياسية التي سادت مكران وبلوتشستان في تلك الحقبة. وقد يظن أنها كانت تخضع للقوى الهندية، إذ تخبرنا المصادر التاريخية أن الملك "شيرماه" منح بلاد السند، ومن المحتمل مكران أيضاً، مهراً لابنته عند زواجها من "بهرام كَور"، وبناء عليه فمن الممكن أن تكون مكران وبلوتشستان تحولتا إلى إقطاعيتين فارسيتين، ويفترض "هيوز بوللر" أن مكران كانت مقاطعة فارسية وينقل لنا أن "كسرى برويز" (٥٩١ - ٦٢٨ ميلادية) قد أعاد السيطرة على الأقاليم الشرقية لمملكة والده التي حاولت التمرد[١].

وتخبرنا المصادر أن "تشتش راي" (ملك السند) قام بحملة عسكرية إلى كِرمان فيما بعد، وذلك من أجل البت في أمر الحدود ما بين الهند والولايات المتحدة الفارسية. وخلال اجتيازه مكران قوبل الملك "تشتش راي" بمراسيم الولاء من قبل حكام الإقليم، ويقال أنه دخل مدينة قديمة تدعى "كَنَرْبور" أو "كينَرْبور" (من المحتمل بنجكَور أو قَنْزبور حسب المصادر الجغرافية العربية)، وبعد أن أحكم سيطرته عليها أمر بإعادة تجديد بناء القلعة، وأمر بقرع طبول الانتصار حسب التقليد الهندي كل صباح وكل مساء، بعد ذلك تحرك إلى "كرمان" حيث توقف عند نهر صغير يجري بين مكران و"كرمان"، وأسس الحدود بزرع أشجار النخيل ليعود أدراجه بعد إنهاء مهمته[٢].

(1) BDGS, Vol, VII, p. 41f. -2 Vol. VIII, p.28 .

(2) The Chuchnamah, tr. Mirza Kalichbeg Fredunbeg, repr . (Lahore, 1985) p. 37f. ; BDGS, VOL. VII, p. 42 ; VOL. VIII, p. 23; Elliot and Dowson , History of India as written by its own Historians , VOL. I (Allahabad , n.d .) p.151 ; Ali ibn Hamid al-Kufi , Fathnamahi Sind : a Persian trans . from the Lost Arabic original , ed . Nabi Khan Baluch (Islamabad; 1403/1983) p. 34f.

الفصل الثالث

"البلوتشيون"

كما علمنا في الفصل السابق فإن بلوتشستان شأنها شأن المناطق الأخرى في الشرق الأوسط، سكنها الإنسان القديم، وقد طوّر حضارته وثقافته خلال قرون موغلة في القدم، لكننا لا نمتلك الشواهد الجلية عن حقيقة الشعوب التي استقرت هناك.

إن أقدم القبائل التي سكنت بلوتشستان في عصور ما قبل التاريخ كانت قبائل الدرافيديين(١)، وذلك حسب ما تنبئنا به المصادر حتى الآن. ويؤكد علماء الانثروبولوجيا(٢) على أن قبائل "البراهوي" بما فيها من عناصر تركية - إيرانية؛ مثل الأفغان والأكراد وغيرهم تمثل بقايا القبائل الدرافيدية. وبسبب الهجرات المتعاقبة عبر التاريخ فإن المزايا الجسدية المحددة للدرافيديين طمست آثارها. وينقسم العلماء بآرائهم حول أصل الدرافيديين، هل هم قبائل هندية صرفة أم أنهم غزاة جاءوا من خارج المنطقة؟ يقول البروفسور رابسون أن الرأي الأخير يلقي المزيد من التأييد، إذ يؤكد أن هذه الأقوام جاءت إلى الهند وبلوتشستان من آسيا الغربية، والدليل على ذلك التشابه الذي لا يرقى إليه الشك بينهم وبين السومريين من ناحية الأنماط العرقية(٣)، ولكن يبقى سؤال يتطلب الإجابه عليه، وهو كيف استطاعت هذه الأقوام الحفاظ على لسانها الدرافيدي في حين أنها لا تمتلك أي إرث ثقافي أو أدبي يربطها بماضيها ؟

---

(١) ما زال البحث عن أصل الدرافيديين قائماً حتى الآن وللمزيد من التفاصيل عن سماتهم وصفاتهم الجسدية وعن أصولهم يمكن الاطلاع على CHIn. VOL.I,ed , IGI, VOL, p. 292
و W. Crook , Natives, of Northern India, (London, 1907) p.25 -30 R.C. Majumder
The History and Culture of the Indian people, VOL . IV (Bombay, 1955) p. 219 - 227 .

(٢) الأنثروبولوجيا: علم الإنسان: علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته "المورد".

(3) CHIn. VOL.I, p.42. IGI, VOL.I, p. 310 .

تشير نصوص بلاد الرافدين القديمة إلى "ماكَان" و"مِلُخّا" أو "بلوخُّو"، لكن دون الإشارة إلى شعوب هذه البلاد بأية صفة عرقية، وبعد ذلك ـ حوالي ٦٠٠ قبل الميلاد ـ ونجد إشارة في نصوص الفيدا (الكتاب المقدس للهندوس) القديمة إلى سكان "ملخاً" دون أن يذكر أصلهم(١)، وأيضاً جاء ذكر المكايين في النصوص الفارسية القديمة بصفتهم يقطنون "ماكا" أي (مكران)(٢) أو "ما يْكُوي" كما جاء في كتاب المؤرخ الإغريقي "هيرودت"(٣). لكن هناك اعتقاداً باعتبار المصادر التاريخية والجغرافية الإغريقية أفضل ما لدينا لنطلع منها على أوصاف شعب البلوتشستان، إذ تتحدث هذه المصادر عن الشعب الأوريتائي Oritae أو الأورياني Orians والكَدِروشيين أو الكَدروسيين والأَشْتِيُوفَاغُوْيْ وعلى أنهم أناس تضرب ألوانهم إلى السواد وأخلاقهم إلى الغرابة يعتمدون على صيد السمك لأنه طعامهم الرئيس(٤). ومما نقتطفه من تلك المصادر الوصف التالي: "إنهم أقوام يرتدون جلود الأسماك، ذوو شعور كثيفة يطولون أظافرهم ليقطعون بها السمك، ويتسلحون بعصى محدبة و مقساة بالنار"(٥).

وما أن يأتي العصر الإسلامي، القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي) حتى يجيء ذكر سكان "مكران" جنوبي "كرمان" في النصوص، وقد أطلق عليهم اسم قبائل "القفص" و"البلوص" أو "الكوج والبلوج" ومع مرور الوقت تطورت

(1) J.Hansman, BSOAS, VOL.XXXVI (1073). p. 555-7, 564 .

(2) R.G.Kent, Old Persian Grammar, p. 138 .

(3) R.N Frye, the Heritage of Persia (London, 1951) p. 51 .

(٤) يذكر إي موكلر أنه حال وصول نيرخوس، القائد الإغريقي، مع اسطوله إلى تاوي ـ بين نهري جاغين وغابريغ الحاليين، قام بذبح سبعة جمال لأكلها هو ورجاله مما يدل على وجود بديل غذائي عن الأسماك لدى أكلة الأسماك".

Ancient Geographers and the Makran Coast, JRAS, VOL.XI (1879), p145 .

(5) T.H. Hddich, Notes on Ancient and Mediaenal Makran . GJ, Vol.VII (Jan- June 1896)p. 390 .

التسمية، فأصبحت الأخيرة تعرف باسم قبيلة البلوتش أو البلوتشيين، وأصبحت الأراضي التي يقيمون عليها تنسب إليهم ومنها جاءت تسمية بلوتشستان.

ومن هنا نستطيع القول بأن أصل وتطور اسم البلوتش أصبح موضوعاً شائكاً تطرق إليه العديد من العلماء المتخصصين. وسنقتفي أثر أصل التسمية في سياقنا القادم معتمدين بذلك على المصادر المتاحة.

يستخدم تعبير "بلوتش" حالياً في بلوتشستان للدلالة على عدة أشياء، فأحياناً يستخدم للدلالة على الشخص الذي ينتمي لهذا العرق، وأحياناً يقصد به البدوي(١). وأخرى يقصد به البرية أو الصحراء، وقد ذكر الحاج عبدالغفور(٢). أنهم لا يزالون يستخدمون هذا التعبير للدلالة على البدوي الذي يعيش في الصحراء، وأيضاً للدلالة أيضاً على البرية(٣).

ويذكر ديوك في سياق عمله حول تاريخ سيويستان أنه في زمن الإسكندر كان تعبير "البلوتشيين" أو "البلوتش (بكسر الباء) كان يطلق على بعض شعوب الراجبوت والجات وجات العظيمة أو الزُّط(٤). وحسب رأي رافيرتي Raverty فإن

---

(١) يذكر الباحث آي. جيرشيفتش I. Gezshervitch، بأن البشكرديين من سكان كرمان يطلقون عبارة "بلوتش" على الرعاة وعلى البدو كذلك. انظر Travels in Bashkordia JRCAS, VOL.XLVI 1959, p.220 ولكن "هانز مان" J. Hansman، يرى أن استخدام المصطلح القبلي العرقي في غير موضعه انظر:

Aperiplus of Magan and Meluhha, BSOAS, VOL.XXXVI, 1973, p. 586.

(٢) يعرف الحاج عبدالغفور البلوتشي من قبل مؤلف هذا العمل بأنه رجل بلوشي واسع الثقافة وناشط في نشر التعاليم الإسلامية والدعاية لها بين السكان المحليين. وبعبارة أخرى، قد سافر وزار أصقاعاً كثيرة من بلوتشستان.

(٣) مما ذكره الحاج عبدالغفور البلوتشي لمؤلف هذا العمل، أنه حين يقصد أحد سكان القرى أو الريف البرية لبعض العمل يقولون أنه ذاهب إلى البلوتش أو قادم من البلوتش. لا شك أن هذا التعبير ينطبق بشكل جيد أيضاً على البدوي.

(4) H.G.Raverty . Notes On Afghanistan and Baluchistan, rep (Lahore 1976)p. 554 .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الرأي قد أخذ به الباحث دكتور "بيلو" Bellow من قبل انظر: =

هذه الإفادة تختلف كلياً عن تلك الروايات التي جاءت على لسان المقيمين معهم، ويمضي رافيرتي فيقول إن البلوتش الذين ينسبون إلى السلالة المنحدرة من الأمير حمزة، والذين عاشوا في زمن الإمام حسين ليسوا هم أولئك الذين عاصروا الغزو الإغريقي بأي حال من الأحوال، بل يؤكد أيضاً أن إفادة ديوك لا تعتمد على أي دليل قاطع للعمل بها، إذ أنه لا يوجد أي تلميح في المصادر التاريخية لارتباط هذه الشعوب براجوبت أو جات.

ويفيد إم. لونكَوورث ـ دَيْمزْ ـ الضليع في هذا الموضوع ـ أن كلمة "بلوتش" إنما هي فارسية الأصل وتعني "عرف الديك" أو "الخوذة المريشة" ويفند ذلك معتمداً على وصف الفردوسي في الشاهنامة لتلك الشعوب وقد ارتدت خوذاً مريشة(١). أما في أوائل العصور الإسلامية فذكرتهم النصوص بالبلُوص، (بفتح البـاء) وبضمها أيضاً بُلُوص(٢). أو غير ذلك بـ "البَلُوج"، بفتح الباء وجيم في الآخر، وبضم الباء أيضاً بُلُوج(٣).

ويأتي ذكر كلمة بلوج = Baluch في القاموس الفارسي الشهير برهان قاطع بمعنى: "عرف الديك". وأيضاً: "اسم يخص بعض الأقوام الهمجية التي قطنت الجبال عند حدود كرمان"(٤)، ويفترض من هذا أن البلوش رضوا بهذا الاسم واتخذوه لهم، وبناءً على هذا فلا بد البحث عن أصولهم ضمن قبيلة مجهولة،

= وصف قبائل أفغانستان . Ethnography of Afganistan , 1891, p. 171, 175- 187 المثبت في كتاب . Langworth Dames , The Baludh Race, (London,1904), p. 14

(1) EI, VOL.I, p. 629. idem, the Baluch Race (London, 1904) p. 21 .

(2) C.E. Bosworth, " The Kufichis in Persian History" , Iran JBIPS, VOL.XIV (1976) p.9.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٩٠. J. Marquart , A catalogue of the Provincial الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١٦٣ . Capitals of Eranshahr (Rome ,1931) p.80 ff. المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٧ .

(٤) ص ٨٠ فما بعد . M. Long worth - Dames , The Baluch Race, p. 22 .

وعلاوة على ذلك فإن الإشارة إلى عرف الديك التي بدأها الفردوسي في الشاهنامه قد دحضت عدة مرات كما سنرى لاحقاً.

وفي فرهنكَ سَرْوَرِي - قاموس فارسي آخر - نجد أن البلوتش مسمًى لأناس سكنوا الصحراء، وكانوا يغيرون على القوافل ويسلبوها، ويصفهم طوال الوقت بالمحاربين والنبالين الحاذقين(١). وعلى النقيض من جميع المؤرخين يعتقد المؤرخ البلوشي خودابخش مرّي أن مسمّى "البلوتش" ليس مشتقاً من جذر هندي أو إيراني، بل يميل إلى رأي الباحث محمد سردار خان البلوتشي الذي سبقه، ويربط كلمة "بلوتش" مع الإله الشعبي البابلي(٢). يفند حجته بالإشارة إلى أن القسم الأول من كلمة "بالوش" - بال - هو الكلمة السامية القديمة "بعل" التي تعني "السيد" أو "المالك" وقد استخدمت محلياً هناك وعلى نطاق واسع للدلالة على الإله المحلي "مخصب التربة" أو للدلالة على "الزوج" - في المجتمعات الأمومية - وفيما بعد تحول الاسم إلى "بيل" في بابل(٣).

ومن ناحية أخرى، يعتقد الميجور مُكلر أن كلمتي "بلوتش" و"كَدروس" - الاسم الإغريقي لسكان بلوتشستان القدماء - كَدروشيا - هما في الحقيقة كلمة واحدة، فالمقطع "كَدَهْ" يعني "الشّيْن" بينما تتطابق كلمة "روز" مع كلمة "روز" الفارسية التي تعني "اليوم" وهكذا تصير كَدروز بمعنى "اليوم الشين" وهي صفة أطلقت على شعب كَدروشيا(٤)، ويفيد ذلك أنه على مر العصور تم تعديل هذا الاسم إلى حالته الراهنة حسب المراحل التالية كَدروس ـ> كَدروش ـ> كَدروتش ـ> بدروتش ـ> برُوتش ـ> بلوتش، وقد طرأ التحول من "غاد" إلى "باد" حسب رأي مُكلر بكون كلمة "بَدْ" بالفارسية تتطابق تماماً مع كلمة "كَدْ" باللغة البهلوية

(١) موجودة في خودابخش مرّي بلوتش، أضواء على البلوتش وبلوتشستان، كراتشي ١٩٧٤، ص٥.

(٢) المرجع السابق. ص١٣.

(٣) المرجع السابق. قارن - M. Sorder Khan Baluch , History of Baluch Race and Baluchi-stan , 3rd . ed , (Quetta, 1984) p. 15ff .

(4) Eited in M.Longworth -Dames, The Baluch Race , p. 21f .

القديمة والتي تعني "الشرير أو السيء" . لكن هذا الترتيب الاشتقاقي المتطور يختلف تماماً مع معنى كلمة "كَدروشيا" التي تعني البلاد ذات المياه المتدفقة تحت الأرض(١) . كما يعوز هذا الافتراض البراهين المقنعة القوية(٢) .

ومن المثير للانتباه أن سكان الهند الأصليين ما زالوا يصرون على أن كلمة بلوتش تعني "بادُلكَ" أو "الشعوب السيئة" ، بينما يقول البلوتشيون أنفسهم أن الكلمة ليست إلا نطق مشوه للمركب الأصلي "بار ـ لوه" ، حيث تعني بار "البرية" وتعني "لوه" العراء ، أو المكشوف ، وذلك بالإشارة إلى جدهم الأكبر سليل "المير حمزة" بعد ارتباطه مع البيري "الجنيه" التي يوجد منها الكثير في البرية(٣) .

أما تفسير "فيرّيير" بأن مصطلح "بلوتش" هو كلمة مركبة من با (بدون) وليوكت (مجرد)(٤) فهذا غير مقبول لكونه بعيد الاحتمال جداً ولا يعتمد على أدلة تؤيد ذلك . ومن ناحية أخرى ، وكما ذكر "لونكَوورث ـ ديمز" سابقاً ، أي أنه بسبب النظرة إلى البلوتش بشكل عام على أنهم لصوص وقطاع طرق وخاصة من قبل جيرانهم قديماً ، فليس من الغريب نعتهم بصفات تنقص من قدرهم وتزدريهم ، وقد ينطبق هذا أيضاً على بعض أسمائهم القبلية(٥) .

وللإشارة إلى فرضية هيرزفيلد أن كلمة "بلوتش" مشتقة من اللغة الفارسية الوسيطة "باراز ـ فاتشيا" ومعناها "الصوت المرتفع" ، فإننا نقول أن هذه الفرضية ليست سوى افتراض لا يرقى إلى مستوى عالٍ من الإقناع ، شأنها شأن فرضيات

---

(١) انظر : J. Hansman , " Periplus of Magan and Meluha, ". 586 .

(٢) من الجدير ملاحظته أن اللغة البلوشية الحديثة تبدل في بعض الأحيان حرف ب إلى كَـ كما هو الحال في (نه) إلى كَه وبانجبور إلى ينجكَور ولكن ليس العكس انظر الفصل الرابع الآتي حول بنجكَور وكذلك ،

M.R. Haig, " Ancient and Mediaeval Makran " , GJ, VOL.VII, (1896) p. 670 .

(٣) انظر : Longworth -Dames the Baluch Race, p. 21f .

(٤) المرجع السابق ، نفس الموضع .

(5) Ibid, p. 23 .

موكلر وفيريير وغيرهما مما سبق ذكرهم(١).

ومن خلال دراسات هانسمان لنصوص بلاد الرافدين (القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد) يخبرنا أنه من المسلم به أن تكون كلمة "بلوخّو" هي بديلاً عن "مِلُخّا" في النصوص الأقدم، ومن هنا قد يكون الاشتقاق قد تم على النحو التالي ملخا ــ> بلوخّو ــ> بلوتش، وقد بدل حرف م بحرف ب، وتم إضافة النهاية الإيرانية "تش"، وقد تدعم هذه التأويلات نظرية الأصل الكلداني التي سنناقشها فيما بعد(٢).

ومع ذلك، وعلى ضوء الاقتراحات والفرضيات التي سبقت وبغياب البراهين الصريحة فلا تزال المسألة معقدة في تحديد أصل كلمة "بلوتش"، ومن هنا، يميل مؤلف هذا العمل إلى اعتبار تطور الكلمة من مِلُخّا إلى "بلوخو"، كما ثبت ذلك في النصوص المسمارية البابلية، التي تشير مباشرة إلى شعوب بلوتشستان في ذلك الوقت أي شعوب "ماكَان" و"مِلُخّا". وهذا يميل إليه الأستاذ الباحث ج. هانسمان لكونه أنسب رأي حتى وقتنا الحاضر. وبالطبع قد يكون هناك نوع من الارتباط ما بين كلمة "بلوتش" ومعناها "عرف الديك" أو "الخوذة المريشة" وكلمة "بلوتش" المقصود بها جماعة من النـــاس، لكنه لا ينجم عن هذا أن يكون الآخر هو الأول وبالعكس وخاصة حينما ننظر إلى التنوع الكبير في مدلولهما.

التأصيل النظري الإثني للعرق البلوتشي:

ولأن اهتمامنا ينصب في الدرجة الأولى على تقصي حقيقة الأصل العرقي للبلوش من حيث الموطن والصفات والجذور، ولأن الكثير من الجدل والنقاش والتباين برز بين العلماء فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقد آثرنا أن ينضوي تحليلنا للجدل القائم في ظل ثلاثة احتمالات، وهي نظرية الأصل الكلداني ونظرية الأصل الفارسي ونظرية الأصل العربي.

(1) R.N. Frye, " Remarks on Baluchi History " , CAJ, VOL.VI, 1967, p.47. cf. G.W. Gelbereston , The Baluchi Languge, (Hertford, 1923), p.VII cited in ibid .

(٢) انظر: J.Hansman, art.cit. p. 565, cf.C.E. Bosworth, " The Kufichis, " p.10 .

البلوتش والأصل الكلداني:

يمكننا الإشارة فيما يخص الاحتمال الأول إلى أن العالم البلوشي محمد سردار خان هو أول من أثار هذه القضية معتمداً على شواهد من مصادر مختلفة، ويعتقد سردار خان أن كلمة "بلوتش" تنبثق من اسم الإله "بعل" الذي انتشرت عبادته بين الشعوب المختلفة التي أقامت في الشرق الأدنى مثل الكلدانيين والآشوريين والبابليين والفينقيين وغيرهم(١)، وحسب رأيه "كان المعبد الكبير في بابل يدعى معبد بيلوس حيث عين فيه بيروس الكاهن الكلداني المعاصر للإسكندر المقدوني، كاهناً له"(٢).

وقد وصف موسى الكورنثي هذا الكاهن بأنه "أعلم الكلدانيين"، كان بيروس يشرف على تنفيذ مشيئة وحقوق الإله بيلوس، وتزعم الأسطورة، أنه كان هناك كائنات شريرة لها أشكال البشر وأجنحة الطيور وقرون الثيران وأرجل الماعز وذيول السمك، وقد اعتادت هذه المخلوقات ـ والحديث لسردار خان ـ على الإقامة في الأعماق المائية المظلمة، ولكن بيلوس قضى عليها، وعرف الإله بيلوس أيضاً بـ "السيد" أو "الملك" أو "الإله" أو "الشمس"، وفي الحقيقة تظهر المصادر الأصلية أن الكلدانيين والآشوريين كانوا يطلقون على الشمس اسم "بيلوس"(٣).

ويقرأ في التوراة أن ملك اسرائيل الملك "أهاب" الذي كان يعيش في السامرة تزوج إيزابيلا " أو "إيزابل" ابنة اثيابيل ـ كاهن وملك الصوريين والصيدونين، وكانت "إيزابيل" جميلة ذات جسد رشيق متناسق وكانت مفعمه بالنشاط

(١) انظر: History of Baluch Race and Baluchistan 3rd. , ed., (Quetta 1984) ,p6 . and Khuda Bakhsh, Search Lights on Baluches and Baluchistan, p. 8 ff. and, G. Rawlinson, Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World , VOL.II (London ,1864) p. 242f, 301f .

(٢) انظر: M. Sardar Khan, op.cit., p.7 .

(3) Ibid., where the author refers to Vossius's Idolatria, lib. 11 , cap. 6. cf. Khuda Bakhsh , op.cit., p.pff .

والحيوية ميالة للهو والاستهتار، وقد دفعها فجورها إلى أن تبني معبداً لإله الصوريين الذي يدعى بعل أو بيلوس[١].

ويلاحظ سردار خان أن هناك "سبعة أنهار في فينيقيا تحمل أسماء آلهة كانت تعبد في الجوار مثل أدونيس وبيلوس واسكليبوس ودامراس، ويذكر في كتاب "محيط البحر الارتيري" أنه كان يتم استيراد الزجاج المصنوع برمال نهر بيلوس من فينيقيا"[٢]، ويضيف أيضاً "وقد دخل اسم بيلوس أرض مصر القديمة فحملت اسمه مدينة ما تزال موجودة حتى الآن وهي بيلوس"[٣]، وبعد هذه الاستشهادات يتابع سردار ذكره للمصادر الكثيرة التي تدل على شيوع اسم بيلوس في العالم القديم[٤]. ونستخلص مما تقدم من الشواهد والأمثلة أن لقب بعل أو بيلوس استخدم بادئ الأمر في بابل للدلالة على إله "الشمس" القادر على تدمير قوى الشر والشياطين، وأنه كان معروفاً من قبل الآشوريين والكلدانيين والبابليين والفينيقيين، كما استخدم لتسمية الأنهار والأماكن والمدن وأنه كان اسماً متداولاً وشائعاً في بلاد ما بين النهرين وبلاد الهلال الخصيب ومصر.

وبعد أن أصبحنا على دراية تامة بإله "الشمس" أو "بيلوس" أو "بعل"، أما حان وقت السؤال عن علاقة كل هذا بالبلوشيين باعتبارهم متحدرين من أصول وأجداد كلدانية؟ يقول سردارخان: إن اسم نمرود قد ذكر في التوراة وأنه ابن كوش وذكر في مكان آخر تحت لقب "نمرود بيلوس" مبجلاً كإله[٥]، ويتابع سردار "أصبح

(1) Op.cit, Loc.cit., Where he cites Josephus .

(2) Ibid .

(3) Ibid., p.7f .

(٤) المرجع السابق - يحاول المؤلف هنا ربط المصطلح "بعل" العبارات بما فيها الإغريقية والأثيوبية وحتى الجزر البريطانية ولسوء الحظ ينقصه في هذا السياق الكثير من الأدلة والتفاصيل التي تخص مراجعه.

(٥) انظر: M.Sarder Khan, History of Baluch Race and Baluchistan, 3rd, p.15 حيث يستشهد المؤلف برأي ويلهاوسن.

نمرود أول ملك كلداني ذو شأن يلقب (ببيلوس) إذ يذكر السيد "رولينسون" ـ اعتماداً على رواية التوراة ـ أن نمرود الحقيقي هو مؤسس الامبرطورية الكلدانية.... ويمضي "رولينسون" قدماً ليؤكد أن اسم "بلوتش" مشتق من الملك (بيلوس) ملك بابل، وما هو سوى نمرود ابن كوش في الكتاب المقدس"[١]، وبرأيه اعتاد نمرود ارتداء جلد النمر وركوب عربة تجرها النمور، وفي اللغات الكلدانية والعبرية والعربية يطلق اسم النمور على هذه الحيوانات[٢]. وقد يكون لافتاً للنظر علمنا أن الشاهنامة تذكر إنه في زمن الملك اشكاش كان من جملة ما ضمه الجيش آنذاك فرقة قوامها رجال بلوشيون اعتادوا حمل رمز النمر شعاراً لهم[٣].

بعد ذلك يذكر سردار خان ما استنتجه جي. أي. سميث من أن نمرود هو أحد أحفاد نوح عبر حام وكوش، وقد نصب ملكاً على الأجزاء السفلية للبلاد الكلدانية تحت اسم ازدوبار، ويذكر أن المعنى الحقيقي لإزدوبار أو نمرود هو "حامل النار" ـ وبعد أن يقتل ازدوبار ملك "عيلام همبابا"، يؤسس وينشئ السلالة الكلدانية، ويستشهد سردار بما أكده جورج رولنسون من أن حكم نمرود كان حوالي ٢٤٠٠ قبل الميلاد[٤]، وأنه أي نمرود هو باني مدينة بابل، حيث يزعم الآشوريون أن نمرود هو حاميهم وراعيهم الأعظم وملك كل الكلدانيين، وأن سوريا والبلاد التي يرويها نهر الفرات لم تكن سوى إمارات متقطعة تتوزع في أرجاء المعمورة، ولأن لكل أمة وقبيلة ومدينة إله أو سيد خاص بها تعبده، فقد اضطرهم الأمر لاختيار اسم خاص له لتمييزه عن الديانه البعلية المجاورة. وبما أن إله الكلدانيين العظيم كان بيلوس فلا بد للملوك أن تتبارك بهذا الاسم وتطلقه على نفسها، فبهذا يصير اسم الملك إما نمرود أو بعل بيلوس ومع مرور الوقت يصبح هذا

(1) Ibid, p.16 .

(2) Ibid .

(3) Ibid, p. 29 .

(4) Ibid,p. 16 . cf. Khuda Bakhih, op.cit., p.11 .

اللقب وكأنه حقيقة يطلقه الاتباع على الأنهار والمدن والمواقع بل ويلقبون هم بذات الصفة فيصبحون البيلوسيين أو "البعليين"(١).

وبعد تصدع مملكة الكلدانيين هذه يمكننا اقتفاء أثر البيلوسيين الكلدانيين في مواضع آخرى إذ يتابع سردار خان قوله "في أقصى شمال مقاطعة فارس وعلى البحر "الأسود" [هكذا جاء في الأصل ويجب أن يقال قزوين] يذكر "زينوفون" .... "وسترابو" أنه بالقرب من البحر "الأسود" يوجد أناس يدعون الكلدان، ويذكر الفردوسي البلوشيين بأنهم كانو يمثلون العمود الفقري للسلالات القديمة للأكاسرة الأخمينيين والكيانيين والساسانيين"(٢). ولكي يدعم رأيه يذكر أن "اسم "قندهار" المعاصرة كان في حقيقة الأمر "باليوس" أو "بالوس" في العصور الوسطى إذ استخدم إبان تجوال البلوش هجرتهم في كرمان وسيستان ومكران.. الخ"(٣).

ومن جهة أخرى، يتفق تي. إتش. هولديتش مع رأي رولنسون بخصوص هذا التفنيد ولا يشك مطلقاً أن البيلوسيين ـ عبدة بعل ـ سبق لهم واستقروا قديماً في مكران أثناء هجرة "الدرافيديين" من العراق بعد الضغط الذي مارسه عليهم الأقوام السامية مما اضطرهم للاتجاه شرقاً عبر بلوتشستان حيث تركوا عناصر ماثلة منهم في مرتفعات مكران بينما تابع الآخرون سيرهم تجاه الهند(٤).

ومن خلال التعليقات السابقة نجد أن كلمة "بَلوُص" قد تطور مدلولها عبر

---

(1) Sardar Khan, Loc.cit.; Khuda Bakhsh, op.cit, p. 9 .

(2) Op.cit, p. 17 .

(٣) المرجع السابق. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث لا يبدو دقيقاً جداً في نقل مسمى باليوس أو بالوس " قارن مثلاً، الاصطخري، مسالك الممالك، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤١٨، وياقوت، معجم البلدان، الجزء الأول، ص٤٩، وما يليها. وانظر:

Le Strange , The Lands of Eastern Caliphate , (Cambridge 1930) p. 332. ; W. Bartold, Historical Geography of Iran . p. 75 ; C.E.Bosworth's map in W.B Brice, Atlas of Islam, p.16.; Idem , Sistan . (Rome 1968) map . annexed at end .

(4) T.H. Holdich, " Notes on Ancient and Mediaeval Makran , " GJ, VOL. VI (1865) p.389 .

فترات متتالية؛ ففي البدء انفرد " نمرود" دون غيره بحمل لقب "بلوص" تيمناً بإله الشمس "بعل" أو "بلوص"، ثم استعمل هذا اللقب للذين آمنوا بهذا الإله وعبدوه فأصبحو يعرفون بالبلوصيين، وأيضاً نجد أن سردار خان يساوي بين الأصل السوري والكلداني للبلوشيين، فأولاً: يخضع شعوب سوريا وجوارها للنفوذ الكلداني، ومن ثم يشملهم مع عبدة "بعل" وهم "البلوص" أو البلوصيين أثناء هجرتهم تجاه الحدود الشمالية لفارس حيث استقروا على ضفاف بحر قزوين والمناطق المحيطة، أما افتراض ج. آ. سميث أن "نمرود" إنما هو حفيد من أحفاد حام فهذا يعني أن البلوتشيين ينتمون إلى سلالة حام فهم إذن ليسوا عرباً ولا آريين، وهذا احتمال بعيد.

بيد أن ما ارتآه هانسمان، عززه ببعض الشواهد في تحول اسم "بلوخّو" الدال على سكان "مكران" في النصوص الآشورية المتأخرة العائدة للقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد تدريجياً إلى بلوتش[١]. يبدو مخالفاً لنظرية الأصل الكلداني، فلو وجدت صلة قربى بين البلوخيين وعبدة بَلوص أي "بعل" أو البلوسيين لكان أولئك البلوخّيون مألوفين لدى الآشوريين، وما كان عليهم أي الآشوريين أن يدعوهم بالبلوخّيين ومما تقدم يظهر لنا محاولة "سردارخان" ربط بلوتش اليوم بالبلوصيين الكلدانيين القدامى الذين سيطروا على سوريا وحلب زهاء عشرين قرناً (ق. م.) تفتقر إلى أدلة أقوى.

البلوتش والأصل الفارسي:

أما فيما يتعلق بنظرية الأصل الفارسي للبلوتشيين فتعتمد على ثلاث سمات تاريخية، ولغوية، وأنثروبولوجية، ولعل "الشاهنامه" هي المصدر التاريخي الرئيسي الوحيد الذي نعوِّل عليه لغياب الكتابات والأعمال الهامة التي تناولت تاريخ فارس. جاء ذكر البلوتشيين في الشاهنامه على أنهم محاربون أشاوس في جيش الملك الأخميني "كيكاوس" أو "كاوس" قد يكون "سايرُس" العظيم (٥٤٩ ـ

(1) J. Hansman, " A periplus of Magan and Meluhha, " p. 565 ff .

٥٣٠ ق . م) ـ عندما تصدى هذا الجيش ـ الذي كان ابنه "قمبيز" Cambysea قائداً له، والذي عرف في الشاهنامه باسم "سياهوَش" ـ لملك الميديين استياغيس أو "أفراسياب" . ثم يرد ذكرهم أيضاً عندما يصف الفردوسي في الشاهنامه استعراض الجيش أمام الملك "كيكاوس" وقد تألف حينها من أعراق مختلفة من فُرس وكوتش وبلوتش وجيلان ومن سهل ساروتش"(١)، ومرة أخرى يجئ ذكرهم ضمن أشعار "الشاهنامه" خلال وصف أكثر تفصيلاً فيذكر الفردوسي "أشكاش" مجنداً الكوتشيين من سكان القفار ـ ربما يقصد بهم قبائل القفص (بضم القاف وسكون الفاء) والبلوتش كما سيأتي فيما بعد ـ الذين يظهرون في الحرب بخوذاتهم ذوات الأعراف الطويلة لا يعرفون الإدبار أبداً في المعركة، لا تخلو حتى إصبع من أصابعهم من آلة الحرب ورايتهم تحمل صورة النمر"(٢) يصف هذا المقطع البلوتش وهم يضعون على رؤوسهم خوذاً مريشة وكأنها أعرفة الديوك وهي ما تميزهم عن باقي الجيش، ولعل هذا يوضح فكرة لونغوورث ـ دَيْمز(٣). وأهم ما نلاحظه هو حملهم للراية المطرزه بشعار النمر والتي كان يحملها أيضاً الملك الأكادي "بَلوص" .

يذكر خودابخش مستشهداً من الشهنامه أن "كيكاوس" عندما أراد اختيار محاربين أشاوس لضمهم لقوات ابنه "سياهَوش" أي "قمبيز" اختار رجال البلوتش من بين رجال فارس والكوتش، عندئذ تحرك "سياهوش" نحو "زابلستان" حيث

---

(1) M. Longworth - Dames, the Baloch Race (London 1904) p, 26 , Khuda Bakhsh m op.cit, p. 39 .

(٢) تثبت هذه الإحالة كما هي بلغة الأصل . تقول القصيدة :

همي بهلى بارس وكوج وبلوج زكَيلان جنكَى ودشت سروج

(٣) المصدر السابق ص٢٧ وكذلك هذه أيضاً :

Cf. Shahnameh , ed . O. Smirnva VOL. III, Moskow, 1965, p.42 and also, Shahnameh , A rivision of Vuller's edition , newly collated with mss, with the persian trans . of the Latin notes Vol. III, Theran , 1934 , p. 558 .

وقد وردت عبارة بهلى في النسخ المذكورة بصور مختلفة ولكنها متقاربة جداً.

انضم له هناك رستم ابن زال الشهير. "ويعلق "خدابخش" دون أن يذكر أي إيضاح، "أن"زال"بقيت لعدة قرون عاصمة سيستان، أحد أقدم أماكن استيطان البلوتش ,ويزعم أن رستم بن زال كان بلوتشيا قتل فيما بعد عن طريق الخطأ على يدي ابنه "سُحْرَاب" Suhrab . وبعد كل هذا فإن اعتبرنا أن كلمة "بلوتش" في حقيقتها تعني عرف الديك أو الخوذة التي تعلوها الريشة الطويلة كما عنته قبائل إيران المحلية، وأن أصل رستم بن زال من سيستان (سجستان خلال عصور فارس الوسيطة) - يعود إلى القبيلة الإيرانية ساكاس آنذاك(١) - فمن المحتمل إذن أن البلوتشيين هم سلالة إيرانية خالصة. ولو صح ذلك فلا بد أن هؤلاء الإيرانيين مختلفون عن "البلوص" الكلدانيين عبدة الإله "بعل" أو "بلوص" . ولكن تبقى مسألة استخدام هؤلاء لصورة النمر على أعلامهم تماماً كما كان يفعل ملك الكلدانيين "نمرود" .

ولعل فيما ترمز إليه قصة الملك أنوشروان شيء مهم من وجهة النظر التاريخية، فحسب اعتقاد "لونغوورث ت ديمز" فإن هذا الملك ليس شخصية أسطورية، بل هو الذي ذكره الكتاب الكلاسيكيون باسم "خسرو" وقد تصدى لجوستينيان، وما من أحد استطاع كبح جماح هذا الملك إلا "بلزاريوس" بعبقريته. يصف الفردوسي مآثر أنوشروان بطريقة تقترب للواقع ما أمكن، وعندما يقدمه لأول مرة نجد أنوشروان وقد أقام الحرب على شعب "اللان"(٢) الذين كانوا يقطنون غربي بحر قزوين، ومن ثم ينقلنا فجأة إلى غزوه حوض نهر هندوستان (لا شك أنه نهر السند) عائداً بعد أن أخضع سكان حوض السند(٣). وخلال عودته علم أن البلاد قد تحولت خراباً على أيدي قبائل البلوتشيين والجيلانيين (الجيل) فيتخذ

(1) Khuda Bakhsh , op.cit., p. 40.

(٢) سكان منطقة القوقاز، وهم أسلاف الأوشيين الحاليين. انظر:

V. Minorsky,art. EI2,VOL.I p. 354.

(3) J.Hansman, art.cit . BSOAS, VOL.XXXVI (1973) p. 568 .

قراراً بإخضاعهم(١). وخلال توجهه أولاً نحو البلوتشيين يعلم من رسوله الرسمي أن محاولات سلفه "أردشير" (قد يكون أردشير بابكان) باءت كلها بالفشل فما تمكن قط من إخضاعهم، لكن جيوش أنوشروان أحاطت بجبالهم وطوقتها ممتثلة لأوامره بقتل وتشريد البلوتشيين صغاراً أم كباراً، ونفذت الأوامر بحذافيرها فانصب الموت والدمار على البلوتشيين من كل جانب فما من بلوتشي ترك حياً في تلك الجبال، وبذلك ينتهي زمن نهبهم واغتصابهم للسكان(٢)، ومن الجميل أن نورد بعضاً من أشعار الفردوسي بهذا الشأن:

حال وصوله تلك الجبال العالية،
أحاطها ومعه كل الحاشية.
وطوّقها الجيش من كل الجهات
مغلقاً، حتى بوجه النمل والريح الممرات
كالنمل والجراد غطى الرجال الأشداء
الجبال وشعابها حتى رمال الصحراء(٣).

تتكلم هذه الأبيات بوضوح عن جبال صعبة المرتقى تتخللها ممرات جبلية تحيط بها رمال الصحراء، وهذا الوصف يشكل دليلاً على المكان الذي استوطنه البلوتشيون أثناء حكم الساسانيين. ومن المنطق ـ واعتماداً على هذا الوصف ـ أن نستنتج أنهم ـ أي البلوتشيون ـ أقاموا في منغلق جبلي صحراوي مقفر ولم يقيموا في المنطقة الأكثر خصوبة والتي تقع في الشمال الغربي كما كان يُظَن، وبالعودة لأشعار الفردوسي نجده يقول:

---

(1) Longworth -Dames , the Baluch Race : a historical and Ethnological Sketch (London 1904) .

(2) Ibid .

(٣) سردار خان، ص٣٠.

M.Sardar Khan, History of Baluch Race and Baluchistan 3rd ed. p.15 .

جـال المنادي بين الجـيـوش يصـيـح
من الكهـوف من الجـبـال من السـهـول :
أيما وقت نظرت عـيـونكم البلوتشـيـين،
حتى لو كـانوا للقـوت ملتمسـين.
أو كـانوا مـحـاربين بالسـلاح مدجـجـين،
ولو كـانوا كـثـرة أو كـانوا قليلـين،
أطبـقـوا عليـهـم، ولا تكونوا لـهـم راحـمـين.
فكـانت القـوات على مـثل غـضـب الشـاه،
بأفـراسـهـا وأقـدامـهـا تسـحق المتـدفـقـين.
قلة، بل مـا من بلـوتشي عـد من النـاجـين،
لا امـرأة ولا طفـلاً ولا مـحـاربـا،
فـالكل بـالسـيف المعـقـوف ذاق الـردى،
وشـرورهم دفـنت تحت الثـرى
وسكـن العـالم هادئاً مطمـئن البـال
بعـد أن ذاق من هولهم اللظـى.
لم يبق بلوتشـيـاً مرئيـاً أو غـير مرئـي
وصـارت جبـالهـم سـهلة العـبـور(١)

ويعد وصف الفردوسي لعملية القضاء على تمرد البلوتشيين من قبل الملك أنو شروان مهماً ومثيراً للانتباه، إذ أننا نجد فيما بعد وتحديداً في زمن الملك البويهي عضد الدولة تسجيلاً دقيقاً لوقائع حملة مميتة شنت للقضاء على البلوتشيين في كرمان خلال العقد السادس من القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر الميلادي) أورده المؤرخ البويهي الموثوق أبو علي مسكويه، في ذلك الوقت كان الفردوسي على قيد

(١) المصدر السابق.

الحياة، ومن المحتمل أن يكون على دراية بهذه الأحداث مما يقودنا للظن بأن الفردوسي نسخ بشكل مطابق ما جاء في تاريخ مسكويه، وأسقطه على التاريخ القديم للبلوتش، أي في فترة ما قبل الإسلام.

ويتضح أن صلحاً قد انعقد بين أنو شروان كسرى الأول (٥٣١ - ٥٧٩م) واتباعه البلوتشيين، فها هم إبان خدمتهم في جيش كسرى يسيرون جنباً إلى جنب مع رجال من (الجيل) بدروعهم الذهبية في استعراض أمام سفير خاقان الصين(١)، وأيضاً نجد البلوتشيين إبان الحملة التي شنها ملك الفرس ضد "آذربيجان"، وقد شكلوا مع الكوج أفضل فرق الملك العسكرية إلى جانب الجيليين واللانيين وآخرين...(٢).

وللاختصار نقول أن الشاهنامه بما فيها من إشارات متكررة للكوج والبلوتشيين، لم تأت على ذكر أسلاف البلوتشيين فيما إذا كانوا من سلالة إيرانية أو من سلالات أخرى، وبدلاً من ذكر البلوتشيين على أنهم أقوام جيران للفرس، أطالت الشاهنامه بإيراد أخبار الحروب التي شنها ضدهم ملك الساسانيين(٣)، ويبدو حسب رأي الفردوسي أن البلوتشيين حملوا هذا الاسم صفة لازمتهم جراء اعتمارهم الأعرفة الحمراء من الريش الشبيهة بأعرفة الديوك، وربما كان هذا الاسم صفة ازدرائية لهذه المجموعة العرقية، بعبارة أخرى، إن ما فصلته الشاهنامه وأسهبت به لا يفيدنا بتوضيح أصول البلوتشيين، وربما أفاد من جوانب أخرى.

وقد توحي لنا الإشارة المحدودة لسكن البلوتشيين في "الجبال وشعابها حتى رمال الصحراء.." بوجوب البحث عن مكان أقرب إلى الصحراء والجبال. وبالتأكيد نقول إنه لا يوجد مكان في المناطق المحيطة ببحر قزوين يتطابق مع هذه الأوصاف، ومن الملفت للنظر أن العالم الألماني "مركوَرت" يذكر خلال تعيينه لموقع "رَسوخان"(٤)

(1) M. Longworth-Dames, the Baluch Race (London , 1904) p. 27 .

(٢) المصدر السابق.

(3) Cf.R. Frye, " Remarks on Baluchi History ", CAJ, VOL.VI. (1961) p.47 .

(٤) لا يمكن تحديد موقع رسوخان، لكن وحسب رأي محمد بن إبراهيم في (تاريخ سلاجقة=

أن الفردوسي في الشاهنامه ذكر مرتين أن رسوخان تقع في جوار الكوج والبلوتش[١]. ومن المفترض أن تكون هذه الإشارة مهمة في تعيين مكان إقامة البلوتشيين والكوج أي القفص في زمن الفردوسي وزمن خسرو الأول خلال القرن السادس الميلادي[٢]، أو ربما قبل ذلك. وقد يُعد هذا دليلاً لبعض العلماء الذين يحددون موقع بلاد البلوتش على أنها في جبال كرمان ومكران[٣].

ويمكن القول أنه في حال ثبت تاريخياً أن معلومات الشاهنامه دقيقة وموثوقة، فإنها تصبح دليلاً واضحاً لا يعتريه الشك على أن وجود العرق البلوتشي في إيران يعود لأكثر من ثلاثة آلاف سنة، كان البلوتشيون أيضاً حسب المصدر ذاته، ذوي شأن في جيوش الملوك الإيرانيين وأدوا أدوارهم ببراعة خلال العمليات الحربية والأحداث الأخرى. من جهة أخرى، أشار نولدكه عام ١٨٧٩ إلى أن سرد الفردوسي للحرب التي شنها أنو شروان ضد شعوب اللان والأذربيجانيين لا تتطابق مع ما ذكره المؤرخ العربي الطبري والذي يعتقد أنه نهل من ذات المصادر التي نهل منها الفردوسي الذي جاء بعده؛ فبينما يدرج الاثنان نفس الأسماء في قائمة شعوب "اللان" وقبائل أخرى من القوقاز، نجد أن المؤرخ العربي الطبري يطلق على بلوتشيي الفردوسي اسم البالانغار[٤]، "ويميل نولدكه و"ورنر" إلى اعتماد رواية الطبري لأنها كما يريان، تبقى موثوقة أكثر من رواية الفردوسي الشعرية"[٥].

وبالنظر في مسألة اللغة فهناك رأيان هامان مختلفان لدى الجغرافيين والمؤرخين

= كرمان، ص ١٤٥)، يوجد مكان فيه قلعة تحمل نفس الاسم، ومن المحتمل أن يكون هذا المكان واقعاً في ما بين جيروفت ومنوجان .. J.Marquart , op.cit., p.77

(١) المصدر السابق ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(3) Cf.R. Frye, " Remarks on Baluchi History ", CAJ, VOL.VI. (1961) p. 46 .

(4) T.Noldeke, Geschichte der Perser and Arabes Zuz Zeit der Sasaniden, (Leyden , 1879) p.157. eited in J. Hansman "A periplus of Magan and Meluhha art.cit, p.569.

(٥) المصدر السابق.

القدامى والمحدثين، فيؤكد المؤرخون والجغرافيون الأوائل أمثال الاصطخري وابن حوقل والمقدسي على أن القفص ـ بضم القاف ـ والبلوتشيين لديهم لغاتهم الخاصة بكل جماعة منهم(١)، يذكر الاصطخري أن اللغة البلوتشية تختلف فعلياً عن اللغة القفصية(٢)، وبناء على رأي المقدسي(٣) فإن اللغة البلوتشية هي لغة غامضة، وبجميع الأحوال فهي شبيهة باللغة السندية، وقد تحمس كل من "مركوارت" ومينورسكي لهذا الرأي، إذ كانا يؤمنان بأن اللغة البلوتشية كانت تحتوي بعضاً من عناصر اللغة الدرافيدية، وهذا ما يمكن ملاحظته بسهولة في اللغة البراهوية الحديثة المستخدمة في بلوتشستان الوسطى (كلات وما يجاورها)، أما البرفسور "بوزورث" فيعتقد أنه من السابق لأوانه الاعتماد على معلومة المقدسي هذه، لأن المقدسي كما يقول: "لا يعرف مطلقاً لغة السند"(٤).

لكن وبافتراض أن الاصطخري أو ابن حوقل كانا ضليعين باللغة الفارسية وربما بالبهلوية أو الفارسية الوسيطة، فمن المؤكد أنه خلال زمن المقدسي ـ على الرغم من الرأي الحديث القائل بأن اللغة البلوتشية تتضمن بين مفرداتها عناصر من اللهجة الفارسية الوسيطة ـ كانت لغة البلوتشيين تختلف عن اللغة الفارسية، وإلا كان الاصطخري وابن حوقل أول من ذكر ذلك. ويزعم السير توماس هولديتش بدون إيراد أي حجة أن اللغة البلوتشية: "هي لغة إيرانية مشتقة من اللغة التي تعود إلى عهد داريوس"(٥)، ويقودنا هذا إلى الظنّ بأن البلوتش هم من أصل فارسي؟ ويعتقد كل من بوتنغر وشتاين وبروس غريسون وغيرهم أن البلوتش المتحدثين

---

(١) انظر الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١٦٧ وابن حوقل، صورة الأرض ص ٣١٣ والمقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٧١ وكتاب حدود العالم ترجمة مينورسكي (لندن ١٩٣٧) ص ٣٧ و٦٥ وانظر أيضاً: C.E. Bosworth , "the Kufichs or Oufs In Persian History", p.12 .

(٢) انظر: J.Marquart , Op.cit, p. 80, C.E. Bosworth, art.cit , Loc. cit .

(٣) انظر " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ص ٤٧١ .

(4) Art.cit, Loc.cit .

(٥) المصدر السابق، ص ٣٨٨ .

باللغة البلوتشية : في بلوتشستان الغربية (بلوتشستان إيـران) ينحدرون من أصول فارسية أتت من الشـمال، وقد صرح بوتنغر أيضـاً أن اللغة البلوتـشية تتـشابه بشكل كبير مع اللغة الفارسية[١]، بينما يؤكد لونغوورث - ديمـز علـى أن اللغـة البلوتشيــة قـد استعارت من مفردات لغة الفرس المجاورين وأيضاً لغة الشعوب التي تتكلم الهندية الزُّطيــة[٢]. أما د. فراي الذي حلل لغات بلوتشستان اعتماداً على دراسات العديد من المستشرقين فيقول " ظلت اللغة البلوتشية بالمقارنة مع لغات الباشتو ولغات إيران محافظة على تنوعها اللفظي، وبشكل عام فإنها احتفظت بالنظام الصوتي الإيراني الغربي الأوسط، لذلك فالعديد من الكلمات البلوتشية تتطابق تماماً مع كلمات ومفردات من اللغة الفارسية الوسيطة مثل كلمة روتش وتعني "يوم" وبرات وتعني "أخ"[٣]، وإن قمنا بتطبيق ملاحظات فينيستي بأن اللغة الإيرانية الغربية تضم "مفردات بداياتها ساكنة خفيفة"، بينما تضم اللغة الإيرانية الشرقية "مفردات بداياتها ساكنة ثقيلة" لوجدنا أن اللغة البلوتشية تتبع اللغة الأولى[٤]، ويتابع فراي ضرب الأمثلة ليثبت أن اللغة البلوتشية ترتبط لغوياً مع اللغة الفارسية الشمالية الغربية أكثر مما ترتبط مع الفارسية الجنوبية الغربية[٥]. ولذلك وحسب آراء المستشرقين، يمكن القول بأن اللغة البلوتشية تحتفظ ببعض العناصر اللغوية الفارسية القديمة والوسيطة، ويعتقد أن هذا الاحتفاظ إنما هو نتيجة بقاء البلوتشيين على اتصال دائم مع كل الممالك الفارسية القديمة، ويضاف إلى ذلك أن البلوتشيين وقد آثروا البقاء بعيداً عن المجتمعات المحيطة في ديارهم الجبلية

---

(١) انظر: R.Frye, art.cit., p49 -60. A stein, " On Alexander's Route in to Gedrosia, " GJ, VOL,CII (1943). P.197, Sardar Khan, history of Baluch Race , p.3 H. pottinger . travels in Beloochistan (London 1972) p.19. IGI, VOL.I,p. 352 .

(2) The Baloch Race, p. 24 .

(3) art.cit., p. 48 .

(٤) المصدر السابق . نفس الموضع.

(٥) المصدر السابق ص ٤٩ .

المنيعة فكان ذلك سبباً في الاحتفاظ بلغتهم الخاصة سليمة.

والآن، وبعد كل ما سبق، كيف نظر العلماء البلوتشيون إلى لغتهم؟ يبدو أن سردار خان يحتفظ برأي مركب يعتمد فيه على الآراء السابقة إذ يقول: تبدو اللغة البلوتشية على ما هي عليه اليوم مزيجاً غامضاً من اللغة العربية غير السامية والفارسية والهندية، وهي بلا ريب تتشابه أكثر مع الفارسية الحديثة". ويوضح ذلك قائلاً "تتشكل اللهجة المحكية في البلاد من نوعين: أحدهما مستخدم في مكران أساسه اللغة الفارسية لكنه يتخفى تحت نظام لفظي محرف غير قابل للتعليل ومن المفترض أن تكون نموذجاً طبق الأصل عن اللغة الفارسية القديمة.... معاصرة للهجة الإخمينية التي درجت أيام الساسانيين"(١)، ومن ثم يستشهد بتعليق ماكدونيل الذي يقول: "لعل الشق الطبي من لغة كتاب الأفستا (كتاب الزرداشتيين المقدس) هو أصل اللغة البلوتشية"(٢)، كما يعتقد سردار خان أن اللهجة المحكية البلوتشية هي الأثر الباقي للغة السلالات الفارسية القديمة التي امتدت سلطتها فوق رقعة واسعة من بلاد بلوتشستان قبل وبعد بداية الحقبة المسيحية، ويؤكد أن اللهجة المحكية المكرانية مليئة بالكلمات السندية التي جاءت بها قبائل الجات عندما سكنت كرمان الفارسية لعصور خلت(٣)، وتختلف اللغة البلوتشية المحكية في بلوتشستان الشمالية كثيراً عن اللغة المحكية في مكران، فهي تحتوي على الكثير من عناصر اللغة الباشتونية، وبرأيه؛ أي سردار خان يعود سبب التأثير غير العادي للغة الفارسية على اللغة البلوتشية أساساً إلى استيطان البلوتشيين لفترات طويلة ومستمرة ضمن حدود الامبراطورية الفارسية(٤).

---

(1) Op.cit., p.3 .

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) المصدر السابق. ص٤، ويعطي المؤلف مثالاً لذلك الحرف (خ) الذي ينطق في الفارسية بوضوح أي كالعربي (خ) بينما السنسكرتية ينطق " ها ".

(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.

ويضيف سردار خان: "كلما اتجهنا نحو الحدود الهندية نشعر بالمفردات الهندية وقد شغلت حيزاً كبيراً من اللغة البلوتشية، بينما إن اتجهنا نحو الحدود الفارسية نشعر باللغة البلوتشية وقد استعارت مقداراً كبيراً من المفردات الفارسية"(١) ويؤكد بعدها سردارخان أن اللغة البلوتشية هي لغة مستقلة فلو جردناها من استعاراتها الفارسية والهندية والباشتونية لوجدناها فرداً من أفراد عائلة اللغات السامية القديمة(٢). ومهما بدت هذه الفرضية مناسبة - في رأيه - وبشكلها النظري، فإنها تحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق إذ أن ما أورده "سردارخان" من مفردات كلدانية وأخرى سامية يبدو غير كاف للأخذ بهذه الفرضية.

وباختصار نقول بأن المعلومات المتوفرة لدينا هنا حول اللغة البلوتشية لا يمكن أن تكون - بأي حال - دليلاً موثوقاً يمكن الاعتماد عليه في تحديد الأصول العرقية للشعب البلوتشي، ومن الواضح أن البلوتشيين عاشوا وما زالوا يعيشون في إيران لأكثر من ٢٣ قرناً، وبالنسبة للدارسين والمستشرقين فإنهم يميلون للتأكيد على أن اللغة البلوتشية من وجهة النظر اللغوية تحتفظ بكلمات من اللهجات الفارسية القديمة والفارسية الوسيطة، وأن البلوتشيين قد جاءوا من إيران الشمالية إلا أنهم ينقسمون عند هذه النقطة ويختلفون فيما إذا كان البلوتشيون جاؤوا من إيران الشمالية الغربية أم من إيران الشمالية، أما من وجهة نظر مؤلف هذا العمل، فمن السابق لأوانه الاعتماد كلياً على اللغة لأن الاصطخري الفارسي الأصل والمنشأ والذي عاش لأكثر من ألف سنة خلت، لا بد أنه كان ضليعاً باللغة الفارسية القديمة والوسيطة، وكذلك كان معاصره الفردوسي إذ أجمعت المصادر على أنه استعار العديد من الكلمات والمفردات الفارسية القديمة في عمله الشاهنامه. وقد لاحظ الاصطخري أن البلوتشية المحكية في مكران تختلف تماماً عن الفارسية، لذلك

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(2) Literary History of the Baluchis, VOL.I (Quetta, 1977) p. 5.

يعلق ويقول: "لديهم لغتهم الخاصة بهم"(١)، وقد لاحظ ذلك المقدسي أيضاً مما دعاه للتعليق على أن اللغة البلوتشية تتشابه بصوتها مع اللغة السندية(٢).

واعتماداً على الدراسات الانثروبولوجية يعتقد بعض المتخصصين أن البلوتشيين هم عرق من الطاجيك(٣) الشرقيين على أساس أن هؤلاء يتميزون برؤوسهم القصيرة.

وهكذا، على عكس استطالة الرؤوس التي تميز الأفغان والهنود والعرب وقد تبنى "لونغوورث ـ ديمز" هذه الفكرة وقال إن معدل الدليل الرأسي(٤) الوسطي للعرب يتراوح بين ٧٤ و٧٦ وينطبق هذا على الأفغان، أما سكان الهند فلديهم معدل رأسي أقل، وقد أعطى رايسلي معدلاً وسطياً يتراوح بين ٧٢ ـ ٧٨ لثلاث وعشرين طائفة من الأقاليم الغربية الشمالية ومعدلاً يبلغ ٧٣,١ لسبع طوائف من البنجاب، بينما أعطى للبلوتشيين معدلاً وسطياً يبلغ ٨٠، ويبدو هذا المعدل من وجهة نظر "لونغوورث ديمز" مضللاً لأن أرقام رايسلي تتضمن العديد من البلوتشيين من لاهور وجوارها الذين أضاعوا سماتهم العرقية نظراً لتواجدهم الطويل في هذه المنطقة واشتراكهم مع صفات جيرانهم الهنود، وبعد أن أخذ "لونغوورث. ديمز" معدلات رأسية للبلوتشيين من وراء الأقاليم الهندية باعتبارهم ممثلي العرق البلوتشي الصافي إلى حد ما، كتب يقول "إن المعدل الرأسي الوسطي للبلوتشيين هو ٨١,٥ ويعد هذا المعدل ذو شأن إذ أنه ما من معدل يقترب إلى ٨٠ وجد بين شعوب الهند الشمالية حتى عمق ٢٠٠٠ ميلاً وصولاً إلى شعوب التبت الذين يقطنون مرتفعات دار جيلينغ أو قبائل السكان الأصليين خلف شيتاغونغ"(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧١.

(3) M.Lonworth-Dames , Op.cit, p.10 .

(٤) الدليل الرأسي: نسبة أقصى عرض الرأس إلى أقصى طوله مضروبة بمائة (المورد).

(٥) المصدر السابق، ص ١١.

ويتابع لونغوورث: "لدى الطاجيك الموجودين في أقسام مختلفة من الأصقاع الإيرانية دليل رأسي يتراوح بين ٨١ و٨٤ ولدى الدروازيين ٨١٫٤ ولدى الغلتشاز ٨٥. والأرقام التي أعطاها م. دي "يوجفا لفي" للبختياريين والأكراد والجيلانيين هي على التوالي ٨٨ و ٨٦ و٨٤، لكن يجب أن ننتبه إلى أن هذه المعدلات إنما أخذت قياساً لعدد صغير من الحالات مما يجعل مصداقيتها أمراً غير دقيق، أما الدليل الرأسي لفارسيي بومباي الذين بقوا متميزين وسط جيرانهم الهنود فمعدله ٨٢٫٣، وقد تبين منحنى بياني لـ ٦٠ فرداً من الطاجيك مقارنة مع ٤٥ بلوتشياً من أقاليم ديرة غازي خان وديرة إسماعيل خان حقيقة مذهلة وهي أن المعدل الأعظمي لكل حالة كان ٩٥ أو ٩٦. وبلغ معدل الدليل الأنفي لنفس المجموعة البلوتشية السابقة ٦٨٫٨، وبناء على ذلك، وطالما أن شكل الرأس يهمنا في هذه الحالة، فإننا نستطيع أن نصنف البلوتشيين مع الإيرانيين وليس مع العرب والهنود، وينطبق هذا على بلوتشيي غرب نهر السند، بينما يظهر الذين سكنوا شرقي السند توافقاً مع النماذج الهندية(١).

يبدو هذا التطبيق العلمي منطقياً ومقنعاً، ولكن يجب أن نعلم أن فحصاً للعينات بهذه الطريقة يؤدي إلى نتائج محدودة بل مضللة، لذلك لا بد من القيام بالمزيد من التقصي والتحري، كما ينبغي أن تطبق هذه الدراسة العلمية على بلوتشي مكران وكرمان وسيستان لاعتقادنا بأنهم يشكلون قسماً كبيراً بل ربما الجزء الأكبر من أصول الشعب البلوتشي.

البلوتش ومسألة الأصل العربي:

بقي لدينا مسألة الأصل العربي، وذلك أن معظم البلوتشيين المعاصرين يدعون بأنهم من أصول عربية، لكن ما يروونه من حكايات شعبية لتأييد هذا الادعاء يبدو وكأنه يندرج ضمن حكايات الأساطير الشعبية التاريخية. إذ أنه لا يوجد أي

---

(١) المصدر السابق، ص ١١.

مصدر تاريخي عربي يذكر معلومات تفيد أو تؤيد هذا الادعاء. لكن ما من أحد يستطيع أن يقف ضد هذا الزعم أو يقبله في غياب المعلومات التي يمكن أن تثبته أو تنفيه. ومهما يكن فإن البلوتشيين مثلهم مثل الكثيرين غيرهم، هم أنسال أعراق معروفة، فإما أن يكونوا من أصول سامية أو من أصول آرية، لكن معلومتنا بهذا الخصوص ما زالت محدودة بغياب الأدلة والثبوتات المرجعية الأصلية.

وبالنظر إلى القصص الشعبية المحلية فهناك أسطورتان اثنتان تتمحوران حول مدينة حلب السورية ؛ تذكر الأولى أنه خلال زمن الصراع ما بين الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبين يزيد بن معاوية ثاني خليفة أموي، أيّد البلوتشيون الحسين ولكن حين انهزم الحسين وتم قتله فيما بعد، خاف البلوتشيون من انتقام يزيد فآثروا الهرب إلى إيران وبالذات جنوب كرمان ومكران. ويقول المعتقد الثاني أن البلوتشيين هم نسل حمزة بن عبدالمطلب ﷺ، عم رسول الله ﷺ، ويتضح هنا النسيج الواهي لهذه الحكاية واعتمادها على الخيال، إذ من المعلوم أن حمزة بن عبدالمطلب لم يكن لديه إلا ابنة واحدة، لكن مؤلف الحكاية هذه يؤكد أن حمزة قد تزوج من نساء الجان أي "جنية" من العالم غير المرئي. ويقال بأنه رزق بولد منها أصبح فيما بعد الأب الأول للبلوتشيين وهو الذي هاجر من الحجاز إلى حلب(١).

وتتعلق القصة الثانية بقبيلة الـ "رند"، إذ يعتبرها البلوتشيون أساساً رئيساً لهم يفتخرون به، تؤكد هذه القصة أنه بعد سقوط أمبراطورية الخلفاء استلم الرنديون الحكم في مكران خلفاً للعراقيين(٢)، ويزعم أفراد عشيرة بار - إحدى العشائر البلوتشية المقيمة في "بنجكَور" أنهم من أصل بدوي عربي، وهم أبناء عم لبدو شبه الجزيرة العربية، وصادف أن عبروا خليج عمان ليستقروا في "بيشين" غربي

(1) BDGS, VOL.VII, p. 100f: E.mockler , " On Ruins in Makran , " JRAS, VOL.IX (1977) p. 121,M. Longworth -Dames, The Baluoch Race , p.34 ; idem, art. " Balochistan " , EI, VOL.I p.629 : Khuda Bakhsh, searchlights, p.53 .

(٢) انظر: . BDGS, VOL.VII,Loc.cit

"ماند"، حيث يقال بأنهم تواجدوا بكثرة هناك في بداية القرن العشرين[١]. وعلى أي حال، فهذه الادعاءات لا يمكن تأكيدها تاريخياً حالياً نظراً لغياب الدليل الواضح.

ومما لا شك فيه فقد حظيت نظرية الأصل العربي باهتمام بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالين. فعلى سبيل المثال، نجد في "تحفة الكرام" اقتفاء لآثار امتداد وتوسع قبيلة "الرِّند" من جلال خان "أحد المتحدرين من هارون مكران" والحاكم أثناء ولاية الحجاج في عام ٨٧ للهجرة، إلا أن هذا الاقتفاء ظل دون برهان أو دليل[٢].

ويعترف "لونغوورث ـ ديمز" بأن الرأي العام للرحالين في مكران ـ مع أنه من المعارضين لنظرية الأصل العربي ـ يتفق على أن أفراد وأعضاء عائلات الوجهاء تمتلك سمات مشابهة للسمات العربية أكثر مما تمتلكه باقي أعضاء القبيلة، ويبدو أنه غير مدرك للسمة السامية المحتملة لسكان مكران والمناطق الحدودية مع السند، والتعبير الذي أقره تي. إتش. هولديتش ليشير إلى بلوتشيي مكران ـ عندما كتب قائلاً: "إن العرب المقيمين على الحدود الهندية... فأنا مقتنع تماماً أنه لا يوجد فروقاً بينهم وبين العرب"[٣]. وارتأى تي. إتش. هولديتش، بعد أن أجرى العديد من الدراسات والأبحاث في أنحاء مكران، أن الرند هم بلا ريب من أصل عربي للسمات الواضحة التي يحملونها، وحقيقة أن كل رجل من هذه القبيلة "يحمل في سماته دليلاً غير قابل للدحض يربطه بالأصول السامية، ولو وضعنا رندياً في مكران الغربية بالقرب من بدوي من شرقي شبه الجزيرة لبديا وكأنهما أخوان لمدى تقارب صفاتهما الخارجية"[٤]، ويصرح أنه في بدء الفتوحات الإسلامية تم تجنيد

(1) Ibid., p. 103 .

(2) Ibid., p. 100 .

(3) The Baloch Race , p.14 .

ومن الجدير بالذكر أن هولديتش قد زار جزيرة العرب وقضى زمناً بين سكانها. فلعله قد لاحظ التقارب الشديد في السمات الذي حمله على الجزم بأن البلوتش من أرومة عربية.

(٤) انظر: . Notes On Ancient and Mediaeval Makran , " . p. 392 .

عناصر من سوريا لإرسالها إلى المنطقة "أتوا من دون نسائهم و.... من المحتمل أنه تعذر عودتهم ثانية لبلادهم"(١). فاضطروا حسب رأيه للزواج من فارسيات أو بلوتشيات من مكران وبلوتشستان، ولأن الأطفال كانوا يتكلمون بلغة الأمهات، فلا بد من نسيان لغة الآباء على مدى عدة أجيال لاحقة(٢).

ويستنتج الميجور إي. موكلر، الخبير - وهو الضليع في شؤون مكران في عصره - أن الجزء الرئيس من البلوتشيين هم من سكان مكران وهم يتطابقون مع صفات غيدروسيي المؤرخين الأغريق، ورغم أن الرنديين لا يمتون بصلة للبلوتشيين مطلقاً، بل هم عرب من قبيلة العلافي المتحدرين من صلب أولاد الحارث العلافي الذين أقاموا في مكران حوالي سنة ٦٥ للهجرة واستلموا الحكم بعد قتل حاكمها سعيد ابن أسلم مفوض الحجاج(٣)، بعدما هزموا وفروا إلى السند حوالي سنة ٨٦ للهجرة، وبقيت أجيالهم معروفة هناك على مدى قرنين متتاليين. يفترض موكلر أن الأصل الحلبي المفترض إنما يرتبط باسم العلافي، وفي الحقيقة لمن المحتمل أن تنحدر بعض العائلات من قبيلة رند والقبائل الأخرى من حلب أو من مقيمين عرب آخرين(٤). ومن الواضح أن موكلر قد تأثر كثيراً في التطابق الكبير لسمات الرنديين وسمات عرب عمان إبان الأيام التي كانت فيها كَوادر تابعة لسلطان مسقط.

وباختصار نقول يبدو أن أصل البلوتشيين - على ضوء ما ناقشناه سابقاً - موضوع مثير للجدل الطويل، وقد يكون من المجدي أن نستخلص بثقة أن بلوتشيي هذه الأيام، هم عرق خليط، يحملون صفات سامية وإيرانية وترك - إيرانية وهندية، وأنه من الصعب تمييز أجدادهم إبان العصور الوسطى وبداية العصر الإسلامي في هذه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر ما سيأتي تحت عنوان بلوتشستان في فترة الأمويين في الفصل الخامس الصفحات ٢٢٠ وما بعدها.

(٤) انظر: G.P. Tate , Sistan , 2nd ed . (Quetta, 1979) p. 336 .

الأيام. قد يكون سبب ذلك معيشتهم ذات النمط البدوي خلال عصور طويلة حيث لم تكن عادة الاحتفاظ بالسجلات مسألة لها قيمة، ولم تكن القراءة والكتابة منتشرة بما فيه الكفاية.

ومهما يكن فالباحث يميل إلى تأييد الفكرة القائلة أن كلمة البلوتش كاسم والبلوتشيين كشعب تبدو وقد تطورت من كلمة "بلوخو" التي وجدت ضمن النصوص الآشورية المتأخرة التي ترقى إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وتعد هذه الشعوب القديمة امتداد لشعب "ماكَان" و"مِلُخًا"، وقد شرح هانسمان تطور هذه الكلمة "انظر ما سبق" ويمكن للمرء القول بأن هؤلاء "البلوخيين" هم الشعوب الأصلية أو المحلية "لماكَان" و"مِلُخًا" وأنهم استقبلوا عبدة الإله الرافدي "بعل" أي "بلوص"، ومن المعتقد أن هذه الشعوب ما قبل الإيرانية الأصلية(١)، قد استقبلت أمواجاً من الهجرات الإيرانية بعد أن هزمتها الأمبراطورية الفارسية عدة مرات قبل وبعد مجيء الإسكندر المقدوني(٢)، وعلى مر العصور استطاعت هذه الشعوب الإيرانية الاندماج ضمن السكان الأصليين تاركة آثاراً من لغاتها وسماتها. وعلى قدم المساواة مع ما سبق، تأثرت هذه الشعوب بموجات الهجرات الهندية والعربية في العصور القديمة وبداية العصور الوسطى، وهكذا نجد أن الأعراق المهاجرة اندمجت مع "البلوخيين" الأصليين لتشكل على مر الأيام ما يعرف اليوم بشعوب البلوتشيين(٣).

---

(١) انظر: Cf. E. Herzfeld , Zoroaster (Princeton , 1947) , 736, cited in R.N. Frye, " Remarks on Baluchi History " p.46 .

(٢) انظر: Kissling " Gedrosia , " PW (1910) p. 845, cited in Frye , loc.cit .

(٣) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة ما كتب حول القبائل الأصلية وأفخاذها كل على حدة، وانظر:
M. longworth -Dames, art. " Balocistan " , EI; idem, the Baloch Race, p. 36- 60 Hughes-Buller in BDGS, VOL.VII, p.59-123; Rai . B. Hitturam , Tarikhi Baluchistan , (Lahore, 1985) p.21-254 . Saiyed M. Shah Bahari, Tarikhi Baluchistan , (Karachi , 1981) p. 144 -231 .

هيئات البلوتش وسماتهم

نأتي الآن على ذكر السمات الظاهرية للبلوتشيين وطريقة حياتهم. يقول "لونغوورث ـ ديمز" فيما يخص السمة الأولى: إن البلوتشيين بصفة عامة طوال القامة ويتراوح معدل الطول عند القبائل البلوتشية المختلفة بين ٥,٣ و ٥,٧ قدم (١٦٠ - ١٧٠سم). وتسيطر عليهم الجباه العريضة، ومقياس الرأس إما ٨٠ أو ٨١ وأنوفهم طويلة وبارزة ولحاهم وشعورهم كثيفة، بشكل عام يتميزون بلون عيونهم الضاربة إلى السواد في الأغلب مع وجود بعض الزرقة والرمادية بشكل ضئيل. وشعرهم الأسود والقليل منهم تضرب شعورهم إلى اللون البني. ولو ن بشرتهم سمراء فاتحة تميل إلى القتامة على الساحل[١]، ولسوء الحظ فالمعلومات عن السمات الظاهرية للبلوتشيين خلال الأزمنة الأقدم تكاد تكون نادرة وغير كافية "فعلى سبيل المثال يذكر الاصطخري في وصفه العام لهم أن سكان مكران ذوو أجساد نحيلة وألوان داكنة نظراً لتأثير الشمس عليهم[٢]، ويصف شعوب القفص التي ارتبط اسمها وتاريخها بالبلوتشيين، على أنهم مكتملو البنية والهيئة[٣]، يبدو هذا الوصف مثيراً إذ أننا نعلم من خلال سجلات الرحالة الحديثين أن بلوتشيي مكران وغرب بلوتشستان ـ لم يكن "لونغوورث ـ ديمز" قد رآهم ـ يميلون إلى النحافة والمرونة وذوي عضلات قوية ولديهم قسمات طبيعية وأنوف قصيرة مستقيمة وعيون سوداء أو عسلية اللون وبشرة برونزية وأطوالهم أيضاً معتدلة[٤].

ومن الصفات المشتركة التي تجمع بين بلوتشيي الأزمنة الحديثة وبلوتشيي أزمنة العصور الوسطى وما قبلها حسب رأي بعض المؤرخين هي نزعتهم إلى ممارسة العدوانية، كقطع الطريق، وقد سجل "هنري بوتنغر" طريقة تحضيرهم لعمليات

(١) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٦٥ وابن حوقل، نفس المصدر، ص ٣١١.

(٢) انظر المصدرين السابقين ص ١٦٤ و٣١٠ على التوالي، وأيضاً المقدسي، نفس المصدر ص ٤٧١.

(٣) انظر: BDGS, VOL.VII. p. 110.

(4) Ibid. cf.H. Pottinger , op.cit. p. 58f .

الإغارة التي يدعونها (تشوباو) وكيف يجتمعون مع رؤسائهم الذين يصدرون تعليماتهم قبيل الهجوم(١)، ويبدو هذا مشابهاً لما يرويه المقدسي خلال تجواله في الصحراء الكبيرة (دَشْت كَفِير) وقد هددته قبائل القفص (أو الكوفيتيشيين) والبلوتشيين الذين اعتادوا الإغارة من جبال كرمان(٢).

يمكن القول بأنه لا بد لمن يعيش في مناطق وأجواء كهذه أن يتصف بالسلوكيات التي ذكرناها.

ومن جهة أخرى، ذُكر أن البلوتشيين بشكل عام طوال القامة، ويتمتعون بوساطة ونشاط فهم لا يمتلكون قوة جسدية كبيرة لكنهم متأقلمون ومتمرسون على تقلبات الطقس والفصول، ومعتادون على مجابهة جميع أنواع المحن، وهم شجعان لا يخشون الموت ويقال أنهم يحاربون في المعركة ببسالة، فمثلاً نجد أن النوشيراويين شجعان لكنهم متكبرون بما يمس قضية الشرف البلوتشي، ويقول عنهم تي. إتش. هولديتش إنهم في الحروب والغارات والتحركات السريعة يفوقون أقرانهم في الحدود المجاورة. وهم مضيافون حماة للغريب، يعاملون الضيف بكل الود والاحترام إلى درجة الإسراف في الكرم(٣).

وكان ظهور البلوتشيين لأول مرة في ضوء التاريخ الحقيقي خلال المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية، وتحديداً في بدايات القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) عندما ذكرتهم السجلات التاريخية الإسلامية الأولى وهم يجابهون القوى الإسلامية. وفيما بعد، في القرنين الثالث والرابع الهجريين، حدد الجغرافيون المسلمون بلاد البلوتشيين في المنحدرات الغربية لما هو معروف بجبال باشكُرد وفي

(1) Ibid. VOL.VII. p.103 ,H. Pottinger ,loc.cit.

(٢) من أجل تفاصيل أكثر مقارنة راجع:

H. Pottinger, op. cit., p. 58f., al-magdist, p. 488; ibn Hauqal, p. 309f.

(٣) انظر: Cf. BDGS, VOL.VII, p. 110f IGI, VOL.I p.352, H. Pottinger , loc.cit. M. Longworth -Dames , the Ba;och Race, p. 6.Cf. MR. Haig, correspndence on ancient and medieval Makran , GI, VOL.VII (1896) p. 669 .

وديان وسهول روديان أو (روذبار) وفي المنطقة الواقعة شرقي موقع هرمز، ولعل الاصطخري أول من ذكر هذه الرقعة من البلاد، وبعد ذلك بعقد أو أكثر أكد المقدسي أنه قابل البلوتشيين في "قنزبور"، -وذكر وصفاً لذلك، تقع الآن سهول رودبار وبنجكّور الموجودة في الوادي الكبير "رخشان" ضمن دائرة عرض متطابقة وتمتلك نفس المواصفات التضاريسية والبيئية ويصادف أن تكون هذه الظروف البيئية هي ذاتها التي عاشها البويهيون والغزنويون في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ويسمح هذا الاستنتاج بالقول إن بعض البلوتشيين كانوا فعلاً في مكران قبل انضمامهم للقوة البويهية، ونتيجة لذلك تكون هجرة البلوتشيين باتجاه الشرق قد حدثت بعد فترة حكم عضد الدولة وليس خلالها أو خلال حكم سلالته، ومن المرجح أن تكون هجرة البلوتشيين الجماعية من كِرمان ومكران جاءت نتيجة للهجمات الخارجية المتعاقبة التي تعرضوا لها على مر التاريخ، والتي وصفها جي.بي تيت بأنها جاءت من الترك (قد يكونوا السلاجقة) والغُز، جيوش خوارزم شاه، وخلفاء تيمور المنغولي، وأخيراً تركمان قرقوش الذين احتلوا مكران من بداية القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) إلى السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي (القرن العاشر الهجري)(١).

وأما النظريات التي تتكلم عن مجيء البلوتشيين من شمال وشمال غرب إيران فتعتمد على اللغة وعلى ترجمات الشاهنامه لاسمهم، ولكن وبما أننا نمتلك معلومات قليلة وغامضة عن هجرة القبائل الفارسية أو أي قبائل إيرانية أخرى في عصور ما قبل الإسلام، فالاعتماد على اللغة لبناء هذه النظرية تكتنفه مخاطر جمة ونضرب مثلاً على ذلك الناطقين باللغة الإنكليزية الذي يعيشون في أمريكا الشمالية حيث ينتمون في مجملهم إلى أعراق مختلفة من العالم من الصعب أن نقول بأنهم يتحدرون من أصول إنكليزية أو إيرلندية لمجرد تكلمهم اللغة الإنكليزية.

وتشير الشاهنامه إلى البلوتشيين على أنهم قبيلة مثل الكثير من القبائل الإيرانية ولكن دون ربطهم بأي مكان بل على العكس، تعطينا وصفاً غامضاً عن سكناهم

---

(١) انظر: Sistan, p. 367

عندما شن أنو شروان حملته عليهم، حيث يقول الفردوسي :

كالنمل والجراد غطى الرجال الأشداء

الجبال وشعابها حتى رمال الصحراء(١).

ترينا هذه الأشعار أن البلوتشيين يقيمون في مناطق جبلية قريبة إلى الصحراء الرملية، وما من صحراء في إيران إلا الصحراء الكبيرة أو (دشتي كفير) وامتدادها نحو الجنوب يعرف بصحراء لوط(٢)، ويربط الفردوسي بشكل عرضي البلوتشيين بشركائهم الكوج أو القفص الذين عاشوا في الأجزاء الجنوبية من كرمان، ويبدو أنه حتى هذه اللحظة لا يمكن لأحد أن يجزم بمكان سكن البلوتشيين الأول، ولكنه بالاعتماد على المعلومات الموثوقة المستقاة من الجغرافيين والرحالين المسلمين قد يستطيع المرء أن يخمن المكان، ولعل المقدسي هو من قدم وصفاً دقيقاً للصحراء: "غادرنا طبس إلى فارس (بارس)، وقد قضينا سبعة أيام نتجول فيها . . . . شاهدت عدداً لا يحصى من الدروب الملتوية، أما الصحراء فهي مجرد تلال يتخللها القليل من الرمال، " الطرقات السهلة والمنحدرة والمستنقعات الملحية العصية . . . . وأقصر الممرات في الصحراء هو ممر كرمان . وكلها معرضة للتهديد من شعوب القفص، وهم عصابة تنحدر من جبال كرمان . . . وأما البلوتشيون فيفوقون القفص شراً"(٣).

كما ذكر هؤلاء الناس من قبل الرحالين والمؤرخين الحديثين على أنهم عصابات تقوم بغارات سريعة في الصحراء(٤).

---

(١) انظر:. Sardar Khan, History of Baluch Race and Baluchistan , p. 30

(٢) انظر: . C.E Bosworth , Sistan under the Arabs (Rome, 1968) p.13

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٤٨٦ .

(٤) يقول ناصر خسرو أنه كان يوجد بعض الأماكن في الصحراء تحت سيطرة الكوج أو الكوفيشين، إحداها كانت قرية تدعى "غارماه" وكان يحكمها في تلك الأيام مفوض من إميركيليكي، الذي كان زعيماً لكل إقليم بياباں، انظر حكيم ناصر خسرو قبايباني "سفرنامه"، تحقيق محمد دابر سياقي (طهران ١٩٧٥) وانظر أيضاً خواجة نظام الملك، سياسة نامه " تحقيق هـ. داركي (طهران ١٩٦٢) ص ٨٠ - ٨٩. (نسخة إنكليزية) وانظر النسخة العربية ترجمة أستاذنا يحيى الخشاب =

تقودنا هذه الحقائق إلى طرح السؤال: ما هي الدوافع التي كانت وراء قيام هؤلاء الناس بالنهب إن كانوا في الحقيقة يعيشون في منطقة ذات غنى مثل شمال أو شمال غرب إيران، ولماذا كان عليهم الهجرة بعيداً عن هذه الأماكن الخيرة؟ ومن هنا يستطيع المرء أن يجازف بثقة عالية ويضع الموطن الأصلي للبلوتشيين في منطقة أحوالها المعيشية صعبة وهذا ما يتناسب ويتطابق مع مكران وجنوبي كرمان وشرقيها. قد يلقى هذا الاحتمال تأييداً أيضاً من هانزمان ومن قبله موكلر اللذين أكدا أن اسم البلوتشيين إنما هو منحوت من "بلوخّو"، وأنهم قد يكونوا أحفاد عبدة بلوص أو "بعل" الكلدانيين الرافديين.

القفص (أو الكوج أو الكوفيتشيون)

تدل كلمة القفص (أو الكوج أو الكوفيتشين) على أبناء هذه القبيلة، لها بالفارسية عدة مدلولات منها: "سكان الجبال"، ويرى البروفسور بوزورث: أن هذه الكلمة ربما هي اشتقاق من الكلمة الفارسية القديمة "أكوفاتشيا" والتي تطورت في شمال بلاد فارس إلى كوفيج أو كوفيتش[1]، أما مصطلح "القفص" - بضم

= - يرحمه الله - (بيروت - ١٩٧٠) ص١٥٥. ويؤكد نظام الملك أنه في زمن السلطان محمود تم الهجوم على غوجين (منطقة في الصحراء بين أصفهان والرّيّ) من قبل عصابة من الكوج والبلوتش.

(1) The Kufichis or Quafs in Persian History,"Iran, JBIP5.VOL.XIV (1976) p.9-17 .
يمكن اعتبار الأستاذ الدكتور سي.إي. بوزورث واحداً من الرواد المعدودين لدراسة القفص لبحثه الموثّق المذكور أعلاه، الذي يناقش فيه مسمّى القفص، إذ يقول: "كوفيج" من المسلّم به أنها شكل للكلمة الفارسية القديمة جداً كوفاسيا، أوكوفاشيا Kaufaciya بمعنى قاطني الجبل، إذ نجد في الفارسية القديمة "كوفا" Kaufa بمعنى الجبل، وهي جزء من كلمة "أكوفاشيا" اسم القوم ورد ضمن النقوش الفارسية القديمة التي وجدت في نقش دَيوا. وقد وردت هذه الكلمة "أكوفاشيا" مع كلمة "ماتشيا" سكان "ماكا" (مكران الغربية) انظر:
R. G.Kent ,Old Persian grammar , texts, Lexicon . (New Haven , 1935) pp. 151-163..)
وفي الفارسية الجديدة ورد "كوفيج / كوفيتش" منحوت من "كوفاج، كوفاتش" بإبدال الألف الرقيقة إلى ياء قبل الجيم أو تْش؛ ثم عُرِّب إلى "قُفص" سيناً "س" بالعربية. ثم رُفعت الألف الداخلة في "كوفاج" فتحولت الكلمة بالتالي إلى "قفص" [ويمكن أن نلحظ صعوبة متابعة=

القاف ـ فيستخدم للدلالة على مكان الاستيطان والشعب بوقت واحد(١).

وأول ذكر للقفص جاء مقروناً مع البلوتشيين في المصادر الجغرافية العربية والفارسية، وقد حددت هذه المصادر أماكن تواجدهم في المنطقة الجبلية الواسعة الممتدة بين جبل البارز وخليج عمان. وهكذا يصف كل من الاصطخري وابن حوقل بلاد القفص على أنها المنطقة التي يحدها البحر من الجنوب ومناطق هرمز ومنوجان البلوتشية (أي حوض "رودخاناي ميناب" أو ميناو الذي يمتد حتى الخليج) من الغرب وأقاليم "جيرُفت" و"رودبار" ومنطقة تلال "كوهستان أبو غانم" من الشمال(٢). ويقترح البرفيسور بوزورث موقعها في الأطراف العليا لحوض رودخاناي ميناب وحالياً هي كوهي داشتاغيرد. ويقال أن هذه المناطق

= التحول ـ إن صحت الدعوى ـ فيما يزعمه الأستاذ بوزورث بل هو اجتهاد يحتاج إلى مزيد من النظر]، ثم يتابع بوزورث قوله: "ويمكن أن نضيف هنا ما أورده فلاديمير منورسكي: "كوفيج، ساكن الجبل، (كوهيلئن) بمعنى الحياة في الجبل (حدود العالم [لندن، ١٩٣٧م] ص ١٢٤) وترد كلمة "كوفيتشان" في تاريخ سيستان كدلالة على قبيلة بدوية (ترجمة ملتون غولد [روما، ١٩٧٦م] ص ٦٠)، بينما يذكر إتش. جي. رافرتي أن "كوتش" تعني البدوي وفي اللغة الأفغانية "كوتشائي" للدلالة على الراعي أو البدوي. انظر طبقات ناصري ترجمة إتش. جي. رافرتي، جـ١، (نيودلهي، ١٩٧٠م) ص٦٠، وقد حاول تي. إتش.. هولدتش الربط بين اسم القفص وبعض المسميات التي وردت لمواطن من مكران، انظر:

Notes on Ancient and Mediaeval Makran

و"كوج" أيضاً تعني الهجرة لأن "كوجيدَن" = أن يهاجر، انظر أحمد علي وزيري، تاريخ كرمان" ص ٣٩. وعبدالنعيم حسنين، قاموس الفارسية (القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ٢٩٩. وقارن الأزهري، تهذيب اللغة، جـ٨، (القاهرة، د. ت) ص ٤١٢؛ ابن منظور، لسان العرب، جـ٧ (بيروت، د. ت) ص ٧٩.

(١) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٦٣؛ ابن حوقل، "صورة الأرض"، ص ٣٠٩، المقدسي، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ص ٤٨٨؛ ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ١٧٤ و١٥٠؛ الإدريسي في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" يقول أن جبال كوتش يقطنها أناس متوحشين مثل الأكراد.

(٢) ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٠٩ و. C.E. Bosworth, " The Kufichis of Qufs, " p.11

الغربية والشمالية هي أماكن سكن واستيطان البلوتشيين وتوصف بأنها أراضي رعوية مزدهرة(١) بموازاة الأحواش (حالياً مكان استيطان الخاش) في هضبة سرحد جنوبي جبل "كوهي تفتان" البركاني - أعلى قمة في بلوتشستان(٢) - والصحراء الشرقية، أما تَوْمَاسْتْشِك فيحدد بلاد القفص ضمن المنطقة المعروفة حالياً بـ "بَشْكُرْد" مع جبال القفص وبرأيه أنها تقسم إلى ستة أقاليم، يخضع حكامها للسلطان الذي يعيش في "انفوران" متجاهلين عملياً سلطة الحكومة الفارسية(٣).

ونجد في كتاب "حدود العالم" في القسم الاستهلالي الخاص بالجبال والمناجم وصفاً مفصلاً ودقيقاً لجبال إقليم "كرمان"، حيث يصف الكتاب كوهي كوفيج (أي جبال القفص) على أنها تتألف من سلسلة تحتوي سبعة جبال تمتد من خليج عمان إلى أكناف جيرُفت ولكل منها قمة خاصة بها شبه منيعة وتتميز عن المرتفعات الموجودة في كوهستان أبو غانم وكوهي بارِجان وكوهي سيم (جبل الفضة)(٤). ويظهر من كل هذا أن منطقة القفص تشابه "غروسومودو" بسلاسلها التي تفصل الحوض الداخلي لنهر هليل أو هليل رود ومستنقع "جاز موريان" ونهر بمبور عن البحر، وبجبالها التي يصل ارتفاعها إلى ٧٠٠٠ قدم وتتضمن الإقليم الحالي لبشكرد (أو بشكرديا). وبناءً على ما ذكره "حدود العالم" من أن "خواش" تمثل الحد الشمالي الشرقي لقبائل القفص فيمكن الزعم بأنهم كانوا يسيطرون على منحدرات منخفض جاز موريان والجبال الواقعة شمالها مثل كوهي بازْمَان(٥).

---

(١) انظر: M. Longworth -Dames, art. " Balochistan ", EI. 1 VOL.I. p. 635.

(٢) راجع ما سبق وذكرناه عن نجد صرحد في كتابنا هذا، الفصل الأول.

(٣) انظر: W.Barthold, A Historical Geography of Iran, p. 142. Cf. C.E. Bosworth, Loc.cit.

(4) C.E. Bosworth, Loc.cit. a non., Hudud Al Alam, tr. V. Minorsky (London, 1970) p. 65, 124, 201, 374f.

(٥) "حدود العالم" ص ٣٧٤.

ولكننا نعلم من خلال مصادر عديدة أن نفوذ القفص والبلوتشيين امتد لما بعد ذلك من أجل إحكام السيطرة على بعض المناطق ومن أجل استثمار الطرقات في الصحراء الكبيرة في إيران خلال القرن الرابع والخامس الهجري (العاشر والحادي عشر الميلادي). ونستخلص عرضياً بعض المعلومات من أعمال الإدريسي[١] وياقوت الحموي[٢] وأبو الفدا[٣]، ويذكر أنه عندما اجتاز ناصر خسرو الصحراء من أصفهان إلى خراسان عبر إقليم بيابان وطبس في عام ٤٤٤هـ (١٠٥٢م)، ارتاح في قرية "كَرَمه" حيث لقي الترحيب من قبل حاكمها الملقب أمير كيلِكي بن محمد الذي من المفترض أنه انتزع هذه القرية من القفص قبل الزيارة بفترة قصيرة[٤]، ربما يدل هذا على أن هؤلاء الأقوام كان لها نفوذها وسلطتها على بعض المواقع في الصحراء على الرغم من القوة السلجوقية في كرمان وإيران، فلذلك لم ينحصر تواجدهم خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري فقط في جبال القفص في كرمان الجنوبية وإنما امتد حتى خواش كما هو مذكور في "حدود العالم"[٥]، وافترض بوزورث امتداد سيطرة القفص فوق منطقة أوسع من الأصقاع الباردة وذلك باتجاه شمال وغرب جبال القفص؛ وتحديداً كوهي هزار وكوهي لألزَار إبان أول زحف عربي إسلامي على كرمان[٦]، ومن جهة أخرى فإن المعلومات الضئيلة التي بحوزتنا فيما يخص القفص خلال القرن الأول من التواجد الإسلامي تشير إلى موقعهم الذي عرف فيما بعد بمكان إقامتهم المتعارف عليه[٧].

(١) الإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" (نابولي وروما ١٩٧٠) ص ٤٤٠.

(٢) ياقوت الحموي "معجم البلدان" مجلد ١ (طهران ١٩٦٥) ص ٧٣١ والمجلد الرابع ص ١٤٧.

(٣) أبو الفداء، "تقويم البلدان" (باريس ١٨٤٠) ص ٣٣٤.

(٤) ناصر خسرو، "سفرنامة" نسخة مترجمة للعربية ص ١٥٥. ونظام الملك "سياست نامة" ص ٨٠-٨٩.

(٥) "حدود العالم" ص ١٢٥ و ٣٧٥ و

G. le strange , the Lands of the E.C., p. 324 , C. E Bosworth, art.cit . p.16 .

(6) Art.cit , p. 12 .

(٧) المرجع السابق.

إذا ما انتقلنا إلى الحديث عن أصول القفص العرقية فنجد أن المعلومات المتوفرة بخصوص هذا الموضوع قليلة ولا يمكن لها تحديد الأصل الحقيقي للقفص، فعلى عكس البلوتشيين المعاصرين، نجد أن القفص لا يمتلكون أغان شعبية أو قصائد ملحمية أو تقاليد تربطهم بجذورهم، حتى ليبدو أن الكتاب المعاصرين عن القفص لم يحاولوا الخوض في مواضيع كهذه ولا يوجد ما يخص الأصل القفصي سوى إشارات قليلة تنطوي ضمن أوصاف الرحالة والآخرين، وهناك القليل من المعلومات لدى الجغرافيين العرب حول أصول القفص، فنجد مثلاً أن الاصطخري يعلق على هيئاتهم الظاهرية ببساطة شديدة: "داكني البشرة ونحيلين ومظهرهم متكامل ويزعمون أنهم من أصول عربية"(١)، أما ابن حوقل فيضيف قائلاً: إنهم نمط من الأكراد وعشيرة من عشائرهم. ومن هنا فإن تعليق ابن حوقل والتعليق الآخر بخصوص اللغة (لغة مميزة غير مفهومة) كان سبباً في ربط بعض المؤرخين القفص بالبراهويين(٢)، وهناك معلومات مهمة تستخلص من وصف "الرُّهني" لهم على أنهم شعب من أصل عربي لكنهم لا يكنون أي ود للعرب، ويشير إليهم بالقفس (بالسين بدل الصاد) الذين يسكنون في أحد جبال كرمان القريبة من البحر. ويستمر في قوله: "إن أفرادها (القفصيين) هم من جذور يمنية يعودون للأزد بن الغوث وهم أبناء سُليمة بن مالك بن فهم، وعندما كانوا في شبه الجزيرة العربية لم يدينوا لأي من معتقدات العرب سواء كانت صحيحة أم خاطئة.... قتل سُليمة بن مالك والده وهرب مع المقربين من عائلته من الشق العربي (ربما ساحل عُمان) إلى الشق الأعجمي (المنطقة الفارسية) حيث استقر في منطقة قريبة من مكران... وعندما فتحت بلادهم خلال ولاية عثمان عام ٢٣هـ (٦٤٣ - ٦٤٤) كانت خالية من أي بيوت للنار أو صوامع يهودية أو كنائس مسيحية،

---

(١) الاصطخري، مسالك الممالك ص ١٦٤ وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٣.

وكانوا بعيدين جداً عما حملته لهم الديانة الإسلامية في موقع إقامتهم"[١].
ويذكر "الرُّهَني" إنهم على الرغم من عدم انتمائهم لأية ديانة فإنهم يمجدون علي رضي الله عنه، وليس بدافع الحماس الديني بل من خلال الغريزة الطبيعية[٢].

يروي تي. إتش. هولديتش أن هيرودت قد وجد في مكران شعوباً لم يتمكن من تحديدها لكنه دعاهم الأثيوبيين الآسيويين[٣]، ومن الجدير ذكره هنا هو أن الدكتور "كَيرتشِفيتش" لاحظ خلال زيارته لبشكُرد في فترة الخمسينيات من القرن العشرين وجود مجموعة مشابهة لتلك المجموعات الذي ذكرها هيرودتس وعزاهم إلى جذور استرالية وسامية وأيضاً إلى أنماط شبه زنجية[٤]، وإن كان في الحقيقة أن هذه الأقوام لها آثار قفصية فهذا يثبت رأي "الرهني" حول أصلهم ويثبت أيضاً الإرث العربي لدى القفص لكن هذا بحاجة إلى مزيد من التقصي. وفيما إذا كان "البشكرديون" على صلة بقفص الأيام الماضية فهذا ما يثير سحاب الشك والأمر يبدو غاية في الصعوبة حينما نحاول إثباته أو عدم إثباته[٥]، ومن المثير أن نلاحظ في حال نظرنا للناحية اللغوية أن الاصطخري[٦] وابن حوقل[٧] والمقدسي[٨] وكتاب حدود العالم[٩]، يجمعون على أن للقفص لغة مميزة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، ص ١٤٧، ١٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(3) "Notes On Ancient and Mediaeval Makran , " GJ, VOL. VII (1896) p. 390 .

(٤) انظر: I. Gershevith, " Travels in Bashkardia , " JRCAS, VOL.XL. VI (1959) p.220 .

C.E. Bosworth , " Bashkard " , EI, VOL.V, p.352 .

ويصف بارتولد سكان باشكورد على أنهم " محليون من العرق الدرافيدي، ويرى توماستشك نسل القفص منهم ".

(٥) انظر: C.E. Bosworth, - art. " Bashkard " , EI. Loc.cit .

(٦) "مسالك الممالك " ص ١٦٧.

(٧) " صورة الأرض " ص ٣٢٣.

(٨) " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ص ٤٧١.

(٩) حدود العالم، ص ٦٥ و ٣٧٤.

تخصهم وحدهم، فيقول المقدسي: إن اللغتين القفصية والبلوتشية تشابهان الفارسية والسندية وقد حث هذا التعليق كلاً من "مركوَرت" وتوماستشك ومينورسكي على ربط القفص بالبراهويين الموجودين في بلوتشستان الوسطى الذين يتحدثون لغة يدعونها الدرافيدية[١]، ويعتقد البرفيسور بوزورث من جهة أخرى أن الأمر مجرد تخمين لا يرتكز على دليل قاطع أولي فالشك كبير ألا يكون المقدسي على دراية باللغة السندية[٢]. وفي جميع الأحوال، فنعلم أن المقدسي كان على دراية باللغة الفارسية وأنه كان على علم، كبر أم صغر، بتلك الشعوب التي تتكلم السندية وهكذا كان قادراً على تمييز الأصوات التي تجعل اللغة القفصية بعيدة كل البعد عن الفارسية لتتوازى مع السندية.

أما فيما يتعلق بصفات وسلوكيات القفص فقد وصفها الجغرافيون العرب بأنها من أسوأ السلوكيات لشعوب تلك الأيام الموجودة في المنطقة، وقد اتفق المؤرخون والجغرافيون على أنهم كانوا لصوصاً يهددون دروب القوافل عبر "الصحراء الكبيرة" يصفهم المقدسي: "شعوب بلا أخلاقيات ووجوه متوحشة وقلوب متحجرة مليئة بالوحشية والقسوة، لا يوفرون أحداً ولا يكتفون باغتنام ممتلكات الرجل بل يسحقون رأسه بالحجارة حتى الموت كما يفتك المرء برأس الأفعى. يضعون رأس الرجل على صخرة كبيرة وينهالون عليه ضرباً حتى يهشمونه شذرات" وعندما سأل المقدسي عن سبب همجية القفص، كان جوابه: "كي لا تصدأ سيوفنا" وقد اعتبرهم المقدسي أقسى البشر من ناحية التجويع والتعطيش: "يدينون بالإسلام لكنهم أكثر وحشية على المسلمين من البيزنطيين والترك ويقودون أسراهم مسافة ٢٠ فرسخاً حفاة دون طعام أو شراب[٣]. ويخبرنا "الرُّهني" عن تجربته مع القفص

---

(١) انظر: J. Marqurat, Op.cit, p. 75. V Minorsky's commentaries on Hudud Al Alam, p. 374.

(٢) المرجع السابق. C.E. Bosworth " The Kufichies, " p.12.

(٣) "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص ٤٨٩.

فيعتبرهم قساة ومتحجري القلب كالأسود أو القطط البرية المتوحشة، لا مكان للرحمة في تفكيرهم بعيدون عن أي وازع خلقي(١)، ولعل هذه الصفات المتميزة للقفص قد التصقت فيهم نتيجة سوء سمعتهم ولعدم الرغبة بهم ولعدم تقبلهم في المجتمع الإسلامي في فترات تاريخية تعود إلى الألف العام تقريباً.

وكما نعلم يقال إن القفص هم بالاسم فقط مسلمون إذ أن ممارسة طقوسهم الدينية شبيهة بالطقوس الهمجية الوثنية، يقول ابن حوقل إنهم موالون لحركة الدعوة أو يناصرون ملك المغرب الفاطمي آنذاك الذي كان يعلم بأنهم يجمعون ثروة ضخمة وكنوزاً لا تقدر بثمن في بلادهم، كانوا يعتقدون ويتطلعون إلى الخلاص ينتظرون مجيء الإمام أو الزعيم الديني المناسب(٢).

وبما أن ابن حوقل كان متعاطفاً مع الفاطميين، فلذلك كل معلوماته عن المجتمعات التي تتواجد فيها جماعة التبشير أو الدعوة على جانب من الأهمية، وهكذا يعتقد البرفسور بوزورث: "تنطبق هذه العواطف الدينية وتتلاءم أكثر مع القفص". تمتد منطقة القفص ظاهرياً إلى الشريط الساحلي لخليج عمان ويتوقع المرء أن القرامطة أو التعاليم الإسماعيلية قد انتشرت إلى ما وراء مكران التي تقع على الطريق البحري المباشر بين مركز القرامطة في الإحساء شرقي شبه الجزيرة العربية والمجتمعات الإسماعيلية الموجودة في السند(٣).

وقد يتساءل المرء لماذا صمت التاريخ عن ذكر القفص ومواطنهم بعد استيلاء السلاجقة على السلطة حوالي ٤٤٢هـ (١٠٥٠ ميلادي)(٤). كرّس أفضل الدين كرماني عام ٥٨٤هـ (١١٨٨م) كتابين عن كرمان أحدهما جغرافي والآخر

(١) ياقوت الحموي، "معجم البلدان" ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٠.

(٣) المصدر السابق ص ٥١٣.

(٤) انظر أفضل الدين كرماني أبو حميد، تاريخ الكرماني أو "بدائع الأزمان في وقائع كرمان"، تحقيق مهدي بياني (طهران، ١٩٤٧) ص ٣.

تاريخي، وقد ذكر الحكام السلاجقة دون أن يذكر أي شيء عن القفص، وأيضاً هناك صمت من قبل الرحالة الإيطالي الشهير ماركوبولو الذي قيل بأنه سافر عبر بلاد القفص من هرمز إلى كرمان عن طريق جيرفت وتجول في الصحراء الكبرى، وكذلك أيضاً مؤرخ الغُزّ ناصر الدين مُنشي، وحتى محمد بن إبراهيم ـ الذي كتب في العقود الأولى من القرن الحادي عشر الهجري (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ـ لم يتكلم إلا عن الأعمال التدميرية التي تمت تحت حكم الأمير السلجوقي قاوورد سلطان "كرمان"، حيث نقل عن بدائع الأزمان، لكنه يبدو أن البلاد هجرتها شعوبها الأصلية بعد الحملات المتتابعة التي شنها البويهيون والغزنويون والسلاجقة ثم الغزّ وغيرهم الكثير، وبعد تلك الحملات ترك القفص أعمال النهب والسطو ونشاطاتهم العدوانية، ويعلق البرفيسور بوزورث: "يبدو أنه من الصعب إخضاع شعوب قاسية وجبارة كالقفص واستمرت مناطق مثل جبل البارز مناطق شهيرة تؤوي اللصوص حتى بداية القرن العشرين، ومع أن اسماً كاسم القفص يدل على أناس محددين قد أسقط ذكره بعد فترة حكم السلاجقة فإن الأصل العرقي لهذه الشعوب لا بد له من الاستمرار كعنصر من الشعوب التي تقطن شرقي كرمان وتمتد في مكران "(١).

الزُّط أو الجات:

يبدو أن الجغرافيين والمؤرخين متفقون على أن جماعات الزُّط أو الجات هي من أصل هندي جاءوا إلى المنطقة في بداية العصور الإسلامية، ويطلق عليهم حالياً اسم الجات، وتعبر كلمة الزُّط ـ حسب رأي إتش.تي "لَمْبْرِكَ" ـ إما عن مجموعة من الفلاحين أو المزارعين أو عن طبقة من الخدم أو التابعين(٢).

---

(١) المرجع السابق ص ١٧.

(٢) انظر: H.T. Lambrick, Sind = A general Introduction , p. 213 .

من الجدير ذكره هنا أن لمبرك يعطينا وصفاً مفصلاً لهذا الاسم وتطوره في السند والبنجاب حتى هذا الوقت وأيضاً يذكر الالتباس الذي رافق هذا التطور، انظر أيضاً:

L-Dames, art. EI.VOL.I A 627-621

ويقال بأن الزُّط هم خلاصة هجرات متتابعة من الشمال والغرب الساكاس ويوه تشي والهون[١] - بضم الهاء - ولكن الرواية الشعبية تؤكد أنهم من أصل هندي جاءوا قبل قرون عديدة من الهند إلى الحدود الشمالية الغربية، وهناك انقسموا إلى مجموعتين : إحداهما تقدمت إلى فارس وآسيا الوسطى ومن ثم إلى أوروبا، والمجموعة الثانية اتجهت جنوباً إلى السند ومكران[٢]، وتؤكد حكاياتهم الشعبية أن السلطان محمود الغزنوي هو الذي أحضرهم بعد أن فتح الهند بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي[٣]، وقد جاء ذكرهم في المصادر الإسلامية التاريخية المبكرة كمربي جمال رحل مع أن بعض المؤرخين كان يخلط خطأً بينهم وبين الميديين الذين كانوا بارعين في صناعة القوارب وصيد الأسماك[٤].

وعندما جاء العرب المسلمون إلى كرمان وجدوا أن الزُّط يعيشون في إحدى المناطق مع القفص والبلوتشيين والأكراد، ومن هنا قال الشاعر جامعاً إياهم في بيت واحد :

"وكم قطعنا من عدو شرس　　　زط وأكراد وقفس قفس"[٥]

كما أن عمران بن موسى القائد الذي أرسله الخليفة العباسي المعتصم قابل الزط في "قيقان" وقد أغار عليهم في تلك المناطق[٦]. ويورد ابن خرداذبه أن الزط كانوا يسيطرون على طرقات ودروب مكران[٧]، وجاء بعده ابن حوقل في القرن العاشر ليقول أن الزط يشكلون أغلبية سكان مكران[٨]، وأنهم يقيمون في منطقة تقع بين المنصورة ومكران حيث يشكل فيها الماء المتدفق من مهران (الهندوس)

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: . G.Ferrand, art, " Zott", EI, VOL.V, p.1235

(٣) انظر: .Sardar Khan, Op.cit. p.175

(٤) انظر: . H.T. Lambrick, Op.cit, p. 209

(٥) ياقوت الحموي، " معجم البلدان "، ص ٣٨٠ .

(٦)" فتوح البلدان " (بيروت ١٩٧٨) ص ٤٣٢ .

(٧) الاصطخري " مسالك الممالك " ص ٥٦ .

(٨) ابن حوقل، " صورة الأرض " ص ٣٢٣ .

بحيرات (من المحتمل أن تكون بحيرة مُنْتَشَار) وبين المنطقة التي تجاورها من الغرب بما فيها كاتشهي وجلوان ومكران، ويضيف أن سكان البلاد هم فروع من السنديين يعرفون باسم الزُّط[١] ـ وحسب رأي ابن حوقل هذا فإنهم قد يتطابقون مع البراهويين الذين يعيشون بالقرب من المياه ويقتاتون بالأسماك والطيور المائية ـ ويضيف أن المجموعة الأخرى منهم التي تعيش على مسافة أبعد داخل البراري يشبهون الأكراد ويتغذون على الحليب والجبن والخبز المصنوع من الذرة[٢]، أما المسعودي فيذكر أنهم يعيشون في المنطقة الساحلية من إقليم كرمان[٣].

وفيما يخص صفاتهم فمعلوماتنا قليلة جداً، فالفردوسي في ملحمته الشاهنامه يخبرنا أن ملك فارس بهرام جور (٤٢٠ ـ ٤٣٨ ميلادي) طلب من ملك الهند تزويده بعشرة آلاف رجل وامرأة من اللوريين الخبيرين في العزف على الناي[٤]، وبما أن هناك احتمال أن يكون اللوريون هم الزُّط[٥]، ويمكننا افتراض ضلوع وتخصص الزط في أكثر من ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية، ويبدو أنهم شاركوا أيضاً في العديد من النشاطات الهامة في المجتمع مثل حراسة طرقات التجارة في مكران وتربية الجمال والحيوانات الأخرى وصيد الأسماك والغناء.. إلى آخره. ويعتقد أنهم هاموا في كل صقع من أصقاع آسيا وأوروبا وأفريقيا، وهذا ما يؤكده الزُّط أنفسهم إذ يقول شاعرهم "خلقنا جوالين... وجوالين نعيش... وسنموت جوالين"[٦] ويروى أن محمد بن القاسم عندما سأل بعض العارفين عن الزط التابعين لقبيلة "لُهَنَه" أجابوه: "لا يوجد فوارق بين سكان الجبال وسكان

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) " التنبيه والإشراف " ص ٩٠ انظر: J. Marqart, op.cit. p.77

(٤) الفردوسي، " الشاهنامة " ترجمة مول، الجزء السادس، ص٦٠.

(٥) يضع فيراند الزط بمقام اللوريين، انظر: G. Ferrand , Art. " Zott ", EI. VOL.V, p.1235 P.M. Sykes , " History of Persia, VOL.I " (London, 1921) p. 434 .

(٦) انظر: G. Farrand, loc.cit .

السهول وهم عنيدون عصاة للولاة قاطعوا طرق"(١)، لكن المسافرين الصينيين وصفوهم بأنهم عائلات كبيرة أمزجتهم حادة يربون الماشية ولا ينقسمون إلى طبقات ولا يتبعون لرئيس(٢)، لكن بازمي الأنصاري يرفض هذه الصفات لأنه يعتقد أن الزط ليسوا بهذه الدرجة من السوء(٣).

الميديون أو الماند وآخرون:

لا تكفي المعلومات الموجودة في كتابات الجغرافيين والمؤرخين العرب خلال العصور المبكرة الإسلامية لتكوين صور كاملة عن أصول وتاريخ وثقافة هذه الأقليات، لذلك سأقوم بجمع ما يمكنني جمعه بما أراه مفيداً في هذا الموضوع.

يذكر الكتّاب المسلمون أن هذه الجماعات تقيم في المناطق الساحلية من مكران، ويعتقد أنهم من أصل هندي، تعلقت مهنتهم بشكل ما بالبحر كصناعة القوارب والمراكب وصيد السمك وفي بعض الأحيان أعمال القرصنة(٤) يربطهم الاصطخري بالبُدَهَه (انظر ما سيأتي) ذكر أنهم يعيشون في حوض السند من "مولتان" نزولاً حتى البحر ويمارسون الزراعة ويربون المواشي(٥)، وبالنسبة لابن حوقل فهم كثيرو العدد(٦)، أما أوصافهم المستقاة من "سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان" فـ تشير إلى أنهم فوق المعدل البنيوي الجسدي ويتميزون بالرؤوس

---

(١) علي بن حميد الكوفي، " تُشْتْشْ نامه " ترجمة فريدنبرغ (لاهور، ١٩٨٥). ص ١٧٠.
وانظر: H.T.Lambrik, op.cit , p.170

(٢) انظر: Ibid , p. 210

(٣) انظر: EI2, VOL.II, p. 488

(٤) انظر الاصطخري، نفس المصدر، ص ١٧٦، وابن حوقل نفس المصدر ص ٣٢٣، والإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ص ١٧٠ و T.H. Lambrick, op.cit., p. 209 وانظر:
M.R. Haig, " Ancient anf Mediaeval Makran , " GJ, VOL. VII (1988) p. 669 .

(٥) الاصطخري نفس المصدر ونفس الموضع، وابن حوقل نفس المصدر وابن خرداذبة نفس المصدر ونفس الموضع، ويذكر انهم كانوا لصوصاً، قارن أيضاً :
Elliot & Dovuon , History of India as told by its own Historions ., vol. I, p.521 .

(٦) " صورة الأرض"، ص ٣٢٣.

العريضة والوجوه البيضوية وبأنوف طوال دقيقة النهايات وببشرة بنية وعيون عسلية، ويقال أنهم أقوياء وأشداء مفعمـون بالنشاط والحيوية وقادرون على أداء أعمال خارقة تعتمد على القوة، وهم جلدون يتحملون شتى الصعوبات والمحن التي تواجههم في البحر. ويصفهم "هيوزبوللر" بأنهم يجمعون خصائص كل الأعراق التي اعتادت العيش بالقرب من المحيطات، فهم يتصفون بالتهور والتبذير والمغامرة، ولكن على اليابسة يقل تدبيرهم وتنقصهم البراعة، ويؤمن الميدي بالخرافة ويؤمن بشدة في تأثير الأرواح الشريرة والخيرة، وبشكل عام فإن الميدي فوضوي وقذر ولكن في المناسبات كالأعياد يحب الظهور بثياب فاخرة، تتسم أخلاقه بعدم الانضباط فهو بطبيعته مرح غير مبال، زهو مضياف وملتزم وذواق للمأكولات(١)، ومن المحتمل أن يكون أصلهم من الشعوب القديمة المعروفة باسم "الاسثيوفاغوي" الذين وصفهم آريان ومؤرخون إغريقيون آخرون بآكلي السمك(٢). يتشابه الميديون مع الكوراك، ويقال أنهم معروفون بالنسبة للمؤرخين العرب وأنهم ما زالوا متواجدين في منطقة "لاس بيلا" حتى يومنا هذا(٣).

تُذكر قبائل "البدهة" في المصادر الجغرافية لدى المسلمين بأنهم طائفة من الكفار يعيشون في مجتمعات رعوية تربي الجمال بجوار "قندابيل" المعروفة حالياً بـ (غنداوا) في إقليم كاتشهي. ويزعم دبليو. بارتولد أن البدهة هم من البراهويين(٤)، بينما يصنفهم البعض مع برابرة شمال أفريقيا لميلهم للحياة البدوية والاستيطان الموسمي هنا وهناك في مناطق تجوالهم فيما بين طوران والمنصورة المواطن السفلى لحوض السند(٥). ويسميهم رافيرتي نُرهة ـ بضم النون ـ أو

(١) انظر: . BDGS, VOL.VII, p. 105

(2) Hugjes -Buller, BDGS, VOL.VII, p. 105, cf . Minchim , ibid., vol . VIII, p. 57f .

(3) Ibid., p. 58 .

(٤) انظر: . BDGS, op.cit, p75

(٥) الاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٧٦ وابن حوقل "صورة الأرض" ص ٣٢٣.

نوديان، وقد أخطأ في زعمه أن العرب تدعوهم بذلك الاسم لكنه لم يذكر مصدره في هذا الشأن(١) وفي أيامنا هذه لا يوجد أقوام تحمل هذا الاسم، ومن المحتمل أن يكونوا قد انصهروا ضمن أعراق أخرى على مر التاريخ.

وهناك أيضاً العديد من القبائل الثانوية في جنوبي كرمان تتوزع حول وبين المستوطنات البلوتشية والقفصية مثل المُزاج ـ بضم الميم ـ و"راسوخان" و"الجاشكية" و"المانوجانية" و"البارزيين" ومن المحتمل أن تكون كل قبيلة من هذه القبائل هي فرع إما من البلوتش أو القفص أو الزط؛ لأننا نرى اليوم الكثير من العشائر البلوتشية تحمل أسماء محلية باعتبارها اسماً لعشيرتهم مثل اللاشري والباديني والترباتي، وهم في الحقيقة من قبائل مشهورة مثل الرند والماري... الخ. وعلى أي حال فإن محمد إبراهيم قد ذكر قبيلة الراسوخان مقيمة في مكان يحمل نفس الاسم في المناطق المجاورة للقفص والبلوتشيين، ويميل "مركوَرت" إلى ربطهم بقبائل معروفة لدى الفردوسي ويدعوها بالساروتش التي ذكرت مرتين في الشاهنامه(٢).

ومما لا شك فيه أن المانوجانية يحملون اسمهم هذا نسبة إلى اسم المكان الذي يقيمون فيه(٣)، وذكر الجاشكية أو الجاسكية مرتين كقبيلة تعيش في المنطقة الساحلية من مكران جنوب جبال القفص، ويصفهم مسكويه بأنهم شعوب ميالة للقتال، يرعبون المنطقة الساحلية ومنطقة الخليج حتى الساحل العماني، وقد دمرهم عضد الدولة البويهي عن بكرة أبيهم(٤).

أما "البارِجان" أو "الارِز" فينسبون إلى جبال البارِز شمال "رودبار" حيث يقطنون، ويذكر أنهم مسالمون وكانوا في عصر الدولة الأموية وثنيين يدينون

(١) انظر: Notes on Afghanistan anf Baluschistan (Lahure, 1976) p. 564 .

(٢) انظر: Op.cit. p. 77

(٣) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٦٤، ومسكويه، "تجارب الأمم" الجزء الثاني (القاهرة ١٩١٤م) ص ٢٩٩ - ٣٠١.

(٤) انظر: Loc.cit

بالزرداشتية ولكنهم أسلموا في عصر الدولة العباسية في زمن الصفاريين وهم يعيشون في مناطق أخصب من مناطق القفص(١).

ويقول المسعودي في كتابه بأنه خلال الأزمنة الإسلامية الأولى (ربما خلال الخمسينات والستينات من القرن الأول الهجري) كانت هناك مجموعات من الخوارج تعيش في مكران وينتمي بعضها إلى الطوائف الصفرية والحمزية، ولا يعرف فيما إذا كان الاعتقاد الشعبي البلوشي يربط هذه المجموعات الأخيرة بهم على مقولة أنهم من نسل حمزة ﷺ، وحسب رأي المسعودي فإن هؤلاء الخوارج كانوا يعيشون حوالي مكران وإيران بشكل خاص. ويؤكد المسعودي أنه كتب عنهم في كتابه ـ المفقود أثره ـ "المقامات في أصول الديانات"(٢).

البراهويون:

لا نعرف حتى الآن فيما إذا كانت كلمة براهوي(٣) هي اسم محرف يقصد به

---

(١) انظر: J. Marqurat, " A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr : pahlavi Text. Version and commentry " (Roma 1931) p. 76 .

(٢) "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق ش. بيلا، الجزء الثالث (بيروت ١٩٦٥) ص١٠٣.

(٣) يقول تيت بأن الاسم أصبح مصطلحاً سياسياً. انظر Sistan, p. 368 كتابه، ويقال بأن الكلمة مشتقة من براهو، وهو الاسم الشائع شعبياً لاسم إبراهيم، عليه السلام، ويعتقد أنه محرف عن الأصل العربي أو العبري انظر BDGS, VOL.VI. p. 47ff وانظر:

M.longworth-Dames, art. " Balocistan". EI. VOL.I. p. 630

وهناك رأي آخر يقول أن كلمة براهوي هي لفظ محرّف من كلمة باروهي التي تعني "قاطن المرتفعات" وما تزال موجودة في اللغة السندية، انظر Sanarkhan , Op.cit, p. 266 . أما لونغوورث ـ ديمز فله رأي آخر إذ يرجعها إلى مركب هجين من (با) الفارسية ومعناها (مع) و(روه) السندية ومعناها (الجبل) ومع ذلك يؤكد أن هذه الكلمة غير معروفة انظر:

Loc.cit. cf.T. Duke, " An Essay on the Brahui Grammar, " JRAS, VOL.XIX (1887), p.63 ; T.H. Holditch , The Gates of India , p. 34 .

ولدى بوتنجر رأي مختلف قليلاً إذ أن (بو) تعني (على) و (روه) تعني التلة ويؤكد أن استخداماً شبيهاً بهذا يكاد يكون شائعاً لدى شعوب التبت انظر:

Travels im Balochistan and sinds, p. 270f.

ابراهيم عليه السلام، أم هي كلمة هجينة من باروهي ـ سكان الجبال ـ الذين يقطنون في السلسلة الوسطى لجبال البراهوي، ويبدو أنها تحولت في العصور الحديثة لتدل على أفراد قبيلة البراهويين وحلفائهم من القبائل القوية الأخرى المقيمة في خانية "كَلاَت" وخاصة في أقليم سَرَوَان وجَلَوان(١).

وإذا حذفنا بعض القبائل التي يزعم أنها من أصول مختلفة مثل الزّرَكزائيين والريسانيين من الأصول الباتانية والقبائل اللّهرية والبنغُلزائية والشاهوانيين والدودانيين ذوات الأصول الفارسية، ثم القبائل السَّرْبرايين والزّرزَزيين من الأصول الكردية وكذلك القبائل السّسُوليين من الأصول الهندية وقبائل آخرى من الأصول البلوتشية يمكننا أن نحصر جميع أفراد البراهويين ـ كما يورد المؤرخون ـ في أربع قبائل أساسية وهي الكَمْبَرانيين والميروانريين والغورغاريين والكلندارانيين وفروعهم.

وتبقى أصول البراهويين غامضة. هل هم بقايا قيقان وبوقان المذكورين في سجلات التاريخ العائدة للفتوحات الإسلامية أم هم السُّمَرَه أو البُدَهة؟(٢) ما من إجابة محددة لهذه التساؤلات. واعلم أن البراهويين يتميزون بلغتهم التي تنسب إلى اللغة الدرافيدية بالرغم من احتوائها على عناصر من لغات كانت وما زالت مهيمنة في الجوار مثل الفارسية والبلوتشية والسندية(٣). ولقد قاد التأثير السندي

= من أجل معلومات مفصلة أكثر عن اللغة والتقاليد البراهوية انظر:

D. Bray The Barhui Language; idem the life -History of a Brahui (London , 1913) . BDGS, VOL.VI, VIA. VII.

من أجل مقارنة البراهويين مع البلوتشيين انظر . Pottinger , op.cit., p. 54f., 70 -76, 270f

(١) انظر: . M. Longworth -Dames, loc.cit

(٢) ربط دبليو. بارتهولد الاسم بالاسم الآخر المعروف بالبراهوي. ويرتأى وجوب قراءة البُدَهة، البَرَهَة. ثم يستنتج أن كلمة البراهويين استخدمت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كبديل عن كلمة برهة. لكن هذا الاستنتاج يفتقر للإثبات بالشواهد الصحيحة

W. Barthold. An Historical Geography of Iran , p. 75

وانظر: . H.G. Raverty . Notes on Afghanistan and Baluchistan

(٣) انظر: . D. Bray, the Brahui Language, cited un sardar Khan, Op.cit .p. 266

على اللغة البراهوية بعض المؤرخين إلى افتراض وجود رابط بين البراهويين وقفص العصور الإسلامية الأولى طالما أن المقدسي ربط لغة القفص باللغة السندية(١)، وما زالت أصول البراهويين موضوع نقاش بين اللغويين والرحالة وعلماء أصول الإنسان، ويؤكد ب. كولدويل أن اللغة البراهوية بسياقها العام مشتقة من نفس المصدر التي اشتقت منه اللغة البنجابية والسندية ولكنها تحتوي بوضوح عناصر درافيديه(٢)، أما د. براي، المتخصص باللغة البراهوية فيقول: "تنبثق اللغة البراهوية من نفس الأصول التي تنبثق منها مجموعة اللغات الدرافيدية، وقد استوعبت وتقلبت دون أية قيود مفردات اللغات الأجنبية مثل الفارسية والبلوتشية والسندية ولغات مجاورة أخرى، لكنها ظلت محافظة على أصولها القواعدية(٣). وفي عام ١٨٨٠ أعلن ترومب اعتقاده أن اللغة البراهوية تنتمي إلى العائلة الدرافَيدية اللغوية للهند الوسطى والشمالية، ويؤيد هذا "غْرِيرْسَون" في كتابة مسح لغوي للهند"(٤). ولكن على النقيض من تلك الآراء يرى "تَيْتْ" أن البراهويين هم من قبيلة الغُزّ نظراً لما تشهده قلة ثقافتهم وتخلفهم(٥).

ولدى البراهويين أنفسهم عدة روايات عن أصولهم فمنهم من يزعم أنهم من سيستان وآخرون مثل الزِّهريين يزعمون أنهم من أصول عربية ترقى إلى قبيلة قريش(٦) في مكة، وكذلك يفعل الميروانريون الذين يقولون أنهم من عمان(٧)، وهناك من يقول أنهم من سلالات هجينة مثل البيزَنجويين يتحدرون من فرعين:

(١) انظر: V. Minorsky, Hudud Al Alam , Comment on p. 374 .

وأيضاً: W. Brsthold, op.cit, p. 142 وأيضاً: M. Longworth-Dames, art.cit., p. 636

(٢) انظر: Sardar Khan, loc.cit .

(٣) انظر: The Brahui Language , Cited in Sardar Khan , loc.cit .

(4) Sardar Khan, loc.cit .

(5) Sistan , p. 367 .

(6) Sardar Khan, op.cit , p. 268 .

(7) G.P. Tate , Op.cit., p. 368 .

الجات "الزُّط" والبلوتش(١)، وأيضاً هناك منغال جلوان حيث يعرفون بأنهم مزيج من الأفغان الفارسيين والجات(٢). إن هذا المزيج العرقي وهذا الانصهار ضمن قبيلة واحدة يرينا مدى صعوبة حل هذه المعضلة ومدى الإعاقة التي يلقاها المرء عندما يبحث في أصول هذه القبيلة، ومن هنا يكفينا القول ـ كما فعلنا سابقاً مع البلوتشيين ـ بأن البراهويين هم مجموعة من القبائل المتحالفة انضوت تحت اسم واحد(٣).

وينسب تي. إتْشْ. هولدتيش وإيْ. شتاين البراهويين إلى القبائل الدرافيدية القديمة التي أقامت في المناطق الجبلية من القسم الشرقي لمكران، وقد مر بهم الإسكندر المقدوني أثناء تراجعه من الهند وما زالوا يعيشون حتى يومنا هذا في نفس المكان(٤)، ولتفنيد سبب غياب الصفات الدرافيدية عنهم يقال أنه بسبب الهجرات المتعاقبة التي جاءت إلى مناطقهم فإن الغرباء الذين حملتهم هذه الهجرات استقروا هناك وأقاموا علاقات زواج مع الشعوب الأصلية فتعلم أطفالهم لغة الأمهات مع احتفاظهم بصفات وسمات الآباء(٥)، ولكن ماذا يقول البلوتشيون عن جيرانهم البراهويين؟ يذكر سردار خان أن البلوتشيين يشيرون إلى القبائل البراهويية التي تعيش بينهم بـ "كرد غالي" للدلالة على أناس يتكلمون الكردية(٦). ويقال أن (كرد غالي) هم فرع من أكراد كردستان وقد هاجروا وأسسوا أسرة "ملك كرد" من الغوريين (٦٤٣ ـ ٧٨٥ هـ)(٧). وهكذا فقد جاءت

---

(1) Sardar Khan, loc.cit .

(2) G.p. Tate, loc.cit .

(3) p. 64, BDGS, VOL. VIB, p. 71. " An Essay on Brahui Grammar, " T. Duke.

(٤) انظر: Notes On Ancient and Mediaeval Makran , " p.389. Idem, the Gates of India , p.34, 142 .

(5) Ibid , p. 147 .

(٦) انظر: Sardar Khan , op.cit, p. 266

(٧) انظر المصدر السابق.

وأيضاً M.Longworth -Dames, art.cit., p.630

هذه القبائل الكردية فيما بعد إلى المنطقة واختلطوا بالسكان البراهويين الأصلية، وقد تؤيد هذه الرواية الاحتمال القائل بأنه يمكن تقسيم البراهويين إلى مجموعتين: البراهوييون الذين يتكلمون الدرافيدية وأولئك الذين يتكلمون الكردية(١).

يوصف البراهويون على أنهم سكان المرتفعات الحقيقيون وأكثر الشعوب الآسيوية بداوة، وقد وصف الدكتور براي شخصية البراهوي على أنها مزيج من السمات المعقدة المظهر يقال بأن الغرور والطمع هما مفتاح سلوك الفرد البراهويي مزاجه نكد وإخلاصه متأرجح ونادراً ما يفوز بمكافأته، وهو من عرق شكاك في طبيعته وتخلو منه المروء والوطنية. ويتابع براس قائلاً: "فقط أرهم قطعة عظم..... في يدك وسيتهافتون من كل جهة مثل الكلاب لكي يغنموا بقضمة"(٢). وفي هذا الوصف منتهى القسوة.

وأكثر من ذلك فقد وصف البراهويي بأنه "متوسط الحجم ومربوع القامة وتري ذو وجه حاد ووجنتين عاليتين بارزتين وله عينان طويلتان ضيقتان. أنفه رفيع مستدق، سلوكه واضح وصريح وهو نشيط وقاس وجوال، لا يقارن مع البلوتشي كمحارب لكنه كشاف ماهر، ومع بعض الاستثناءات فإن البراهويي لئيم وشديد البخل جشع ومهمل لأبعد الحدود يميل لأعمال النهب لكنه ليس بمختلس. حقود بطبيعته لكنه ليس خائناً وبشكل عام ليس متعصباً دينياً، ويضرب المثل بجهله في جميع أرجاء المنطقة"(٣)، وكتب أحد الجوالين: "إن لم تر بحياتك غيلان بدائية وعفاريت جبلية تعال وانظر إلى البراهوي"(٤).

---

(١) انظر: Sardar Khan , Loc.cit

(٢) انظر: D. Bray, op.cit., p. 5, cited in sardar Khan, op.cit, p. 269.

(٣) انظر: G.P. Tate, sistan, p. 367, Cited in Sardar Khan . Loc.cit.

(٤) انظر: BDGS, VOL.VIB, p. 102/G.P. Tate, loc.cit/ Saedar Khan, loc.cit.

الفصل الرابع
المستوطنات الإسلامية في بلوتشستان

كان العرب يعرفون مكران(١) بعدة أسماء منها مُكران (بضم الميم والكاف)

(١) للباحثين والعلماء اشتقاقات مختلفة حول اسم مكران على عدة أقوال كالتالي:

القول الأول: أنها من الكلمة الفارسية المركبة "ماهي خوران" و"ماهي" تعني السمك، و"خوران" بمعنى يأكل ثم حرفوها إلى اسم الفاعل "آكل" أي "آكل السمك" أو "آكلة السمك" وهذا الرأي قال به حمزة الأصفهاني، ثم أخذ به الرّحالة البريطاني الكولونيل تي. إتش. هولدتش. انظر مقالته:

Notes on Aneient and Madiaevl Makran, Journal of the Royal Geographical Society, Vol.VII (Jan, - June, 1896) p. 387ff., Cf. J.J.Modi, " The Country of Makran; its past History ", EW (1904) p. 1 -12 cited by R.N. Frye, " Remarks on Baluchi History , "p.45

ويقال بأن هذا المعنى هو صدى للوصف الأغريقي لسكان الشريط الساحلي لمكران بأنهم "إكثيوفاغوي" Ichthyophagoi. وهذا الاشتقاق لم يجد قبولاً لدى كثير من الباحثين المعاصرين. انظر مثلاً: C.E. Bosworth, art. " Makran " و EI2, vol.VI, p. 1987

والقول الثاني وهو الذي يجد القبول والتأييد هو ما ذهب إليه الألماني "هنسمان" وآخرون وقد ربطوا بين مسمى "مكران" وما ورد في النصوص السريانية العائدة إلى القرن الثامن من الألف الثالثة قبل الميلاد وهو مسمّى "ماكّان" أو "ما كا" وقالوا إنه يتفق مع ما ورد في النقوش الفارسية القديمة "ماكا" وأن هذا يتفق مع ما ورد عند الإغريق القدماء من ذكر "ماكاي" أو "ماتشاي" التي يبدو عليها الاختلاف ثم إنه مجرد زعم لم يقم عليه دليل. انظر:

Frye. Art.cit., p.44-6, J.Hamsman , art.cit., pp. 554-587 , C.E.Bosworth, loc.cit. W.Barthold , op.cit., p.145f.)

والقول الثالث يتركز حول ما وجده مرافقو حملة الإسكندر الأكبر في رحلة عودتهم من الهند ومرورهم على أراضي بلوتشستان ومن بينها مكران إذ عرف الجزء الأدنى من جهة الهند من بلوتشستان باسم "كَدروشيا" Gedrosia وسكانه بالكَدروشيين Gedrosii ويظن بأنه اسم إيراني في الأصل كانت تعرف به البلاد حينئذ. وهو أيضاً أحدث من الاسم القديم الذي كانت تعرف به البلاد "مِلُخّا" ثم تطور إلى "بلوخّو".

والقول الرابع، ما ورد في الاستعمال الفارسي القديم م ك و ر ن MKWRN في نقش شاهبور=

ومَكُّران (بفتح الميم وضم الكاف وتشديدها) ومَكْرَان (بفتح فسكون). ويظهر أن الاسم الأخير تجاهله اللغويون العرب مع أن المسعودي سبق وأكده(١).

وبشكل عام فإن الجغرافيين العرب كانوا على معرفة بمكران، لكن المسعودي كان أدقهم وصفاً لساحلها فيقول عندما يتحدث عن البلاد الواقعة شرقي الخليج وامتداها شرقاً: "يوازي ساحل كرمان (بلاد هرمز) صحار على ساحل عمان، وبعد كرمان (على امتداد نفس الساحل) تقع بلاد مكران التي تعد بلاد الشراة (الخوارج) حيث تكثر أشجار النخيل، وبعدها تقع تيز مكران (قد يعني الساحل من تيز إلى

= على ما يعرف بمعبد أو كعبة زرادشت، وورد في النقوش البلهلوية "نقش رستم" (م ك و ل ن MKWL'N) ويزعمون بأن هذين النقشين يشيران إلى اسم " مكُرَان " انظر:

P. Gignoux, Glossaire des Inscriptions Pehlevies et Parthes , Corpus Inscriptionum Iranicrum, Suppl.I, Series I (London , 1927) p.28, 57 .

. وأنهما يجدان صدى لدى الفاتحين العرب منذ أوائل اتصالهم بالإقليم المذكور ويستشهدون لذلك بما ورد في شعر الحكم بن عمرو التغلبي الفاتح الأول إذ يقول :

لقد شبع الأرامل غير فخر   بفيء جاءهم من مُكُّران

وكذلك بما ورد على لسان أعشى همدان من قوله :

وأنت تسير إلى مُكُّران   فقد شحط الورد والمصدر

على نحو ما سيأتي في الفصل التالي. وإذا صح هذا القول فإنه قد يكون اشتقاق مطوّر من الذي ذكره حمزة الأصفهاني وأخذ به هولدتش حديثاً إذ يمكن القول بأن Mahi خففت إلى "Ma" ثم خففت "Khuran" إلى "Kuran" ثم ادغمت ما في كوران وغدت بالتالي "مُكُّران".

القول الخامس والأخير، وهو يقوم في الأساس على مجرد الزعم ويبدو أن به نوعاً من الأسطورة وينقسم إلى شقين الأول ذكره ياقوت الحموي بأن مُكْرَان نسبة إلى مكران بن فارك بن سام بن نوح انظر (معجم البلدان، جـ٥، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ص ١٧٩. والثاني يذكر أنه أيضاً مشتق من الفارسية وأنه مكون من "Mah" بمعنى القمر و"كُرَان Kuran" بمعنى شاطئ، لأن السكان الأوائل كانوا يعبدون "القمر" الإله الذي رمز إلى الخصوبة. انظر:

BDGS., Vol.VII,p. 3ff.,P.M. Sykes , Ten Thousand Miles in Persia, P.91

ورغم بعد هذا الاشتقاق إلاّ أنه في الأذن يؤيد في الظاهر ما ذهب إليه أهل القول الأول.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول " تحقيق ش. بيلا (بيروت، ١٩٦٥) س١٢٨. وانظر المسعودي، " التنبيه والإشراف "، تحقيق أم. جي. دي. غوي (لايدن، ١٨٩٤) ص ٥٦.

حدود السند) ثم يليها ساحل السند حيث يصب نهر مهران أو (نهر السند)[١] .

ويزودنا ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"[٢] بوصف دقيق لحدود مكران خلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى حيث يحدها من الغرب كرمان ومن الشمال سجستان (سيستان) ومن الجنوب الخليج العربي ومن الشرق الهند . أما اليوم فإن اسم مكران يشير إلى المنطقة الساحلية من بلوتشستان وتمتد تقريباً من خليج سونمياني في الشرق إلى الأطراف الشرقية من باشكرديا في الغرب، وهكذا تقطع الحدود السياسية الحديثة بين باكستان وبين إيران (مكران العصور الوسطى) ويمكن اعتبار سلسلة جبال سياهان الممتدة من الشرق إلى الغرب - جنوب مَشْكيل وشمال رخشان - الحدود الشمالية لمكران[٣]، ويقع أقصى امتداد لمكران ضمن الحدود الأخرى "لاس بيله" خلال فترة الحكم البريطاني للهند وغالباً ما يطلق على كامل القسم الشرقي لمكران اسم كيش مكران لتمييزها عن القسم الفارسي[٤] .

تعتبر جبال مكران الساحلية الجرداء امتداداً للصحراء الكبرى نظراً لمزاياها الظاهرية، وكانت خلال العصور الوسطى الأولى أكثر سكاناً مما هي عليه الآن، ولم تكن مكران إقليماً غنياً، ومن منتجاتها الرئيسية قصب السكر الفانذ[٥] وتتوفر

(١) المسعودي، " مروج الذهب " الجزء ١ ص ١٢٨ .

(٢) ياقوت الحموي، " معجم البلدان " الجزء ٤ ص ٦١٤ .

(٣) انظر: C.E. Boswoth , " Makran " , EI. 2 VOL.VI,p. 192 . CF. T.H. Holdich, " Notes on Ancient and Mediaeval Makran , " p. 387 .

والجدير بالذكر أن هولديتش يرى أن مكران ليست بذات عمق نحو الداخل إذ يتراوح عرضها ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٠ ميل، P. M Sykes, " Southern Persia and Baluchistan " Liverpool Geographical Society Transactions " (1902) p.70 .

(٤) انظر: C. E Bosworth, loc.cit.

(٥) نوع من الحلويات مصنوعة من طحين وسكر وترنغين، انظر أدي شير، " الألفاظ الفارسية المعربة (بيروت ١٩٠٨) ص١٢١ . وانظر " النيسابوري " ، " السامي في الأسامي " ص ٢٠٤ مثبت في الحميدي، حضارة الدولة الغزنوية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)=

التمور بكميات لا بأس بها(١).

وسمات مكران المميزة هي الأنهار التي ذكرها المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى، يقول المسعودي أن نهر تيز مكران - ربما كان نهر دشت المعروف حالياً المنحدر من سلسلة جبال مكران الوسطى - يعد واحداً من أشهر الأنهار المعروفة آنذاك وهناك نهر عظيم آخر في تيز مكران وهو الهنغول(٢) في أقصى شرق تيز، إذ أن المسعودي جعل النطاق الجغرافي لـ "تيز مكران" يمتد شرقاً إلى حدود السند شاملاً ما يعرف حالياً بسهل "لاس بيلا" والأجزاء السفلى من إقليم جلوان، وربما كان ذلك سائداً لدى الجغرافيين المسلمين(٣).

= ص٢١٤، أيضاً ابن منظور، لسان العرب، جـ٥ (القاهرة، د.ت) ص ٣٨.

Le Strange, the Lands of the E.C., p. 329 , " Sukkar", EI, C.E. Bosworth art.cit., p. 143 .

(١) الاصطخري، ص ١٧٧ وابن حوقل، ص٣٢٥، والمقدسي ٤٧٨ و ٤٨٤.

وبالنسبة لأشجار النخيل في مكران فقد علق هيوز - بوللر - حسب ما ورد في الحكايات المتوارثة - "لقد تم جلب أشجار النخيل خلال الفترات الأولى لقدوم العرب وعندما بدأوا بتأسيس معسكرات لهم في مكران". ولكننا نستطيع القول أن تاريخ زراعة أشجار النخيل يعود إلى أوقات أبكر من ذلك فيخبرنا أريان وسترابو عن أشجار النخيل في غيدروشيا أثناء انسحاب الإسكندر المقدوني الشهير من الهند عام ٣٢٥ ق.م. وخلال الانسحاب العسكري نعلم أن شعوب "الاشتوفوغاي" كان طعامها التمور إضافة للسمك ونعلم أيضاً أن التمور كانت السبب في إنقاذ بقايا الجيش الإغريقي من الهلاك في الأراضي اليباب. وإذا قرأنا (BDGS, Vol.VII.p. 166f) يبدو لنا أن أمهات النخيل جلبت من شبه الجزيرة العربية ووادي الرافدين إلى مكران منذ عصور موغلة في القدم، وربما كان أهالي مكران هم الذين جلبوها نتيجة لعلاقاتهم مع حضارات شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين.

(٢) لم يعد النهر مدرجاً حالياً في نطاق مكران الجغرافي؛ إذ أن مجراه السفلي يعبر سهول " لاس بيلا " ومجراه الأوسط يرسم الحدود بين إقليم جَلَوان ومكران.

(٣) المسعودي "مروج الذهب"، الجزء ١، ص١٢٨ والمسعودي، "التنبيه والإشراف" ص٥٦ وانظر أيضاً ابن الأثير، "الكامل" جزء ٣ (بيروت ١٩٦٥) ص ١٠٠. وانظر القزويني، "آثار البلاد وأخبار العباد" (بيروت، طبعة جديدة) ص ٧٣. يقول الحميري في كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" (بيروت ١٩٧٥) ص ٥٤٤ : بعد أن سمع عمر ﷺ تقرير صحار العبدي أمر القائدين الحكم وسهل بعدم تجاوز نهر السند إلى ما وراءه وأمر أيضاً بوجوب بيع الفيلة في بلاد=

ولعل أوجز وصف لجغرافية ولطوبوغرافية مكران ما نقتطفه هنا من تقرير شفاهي للصحابي صحار العبدي أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويصف فيه مكران: "يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوُّها (وفي رواية لصها) بطل، وخيرها قليل، وشرّها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شرٌّ منها"(١)، ومع أن الجغرافيين المسلمين أكدوا هذه العبارة، إلا أننا لا نجد من يؤيدها من الجغرافيين الحديثين ورأيهم أن أماكن توقف الجيوش والتزود بالمؤن لا بد أن تكون كافية بمواردها. يعلق تي. إتش. هولديتش فيقول: "في الحقيقة، لا بد للمبحر المحتم عليه الوصول إلى الساحل بعد رحلة طويلة مضنية من خليج عمان إلى مرفأ كراتشي، وهو يتطلع متأثراً بمنظر التخوم الضخمة لرؤوس الشطآن الجميلة، من أن يتساءل عن كل الجمال واليسر والخير، القابع خلف الساحل الأصفر"(٢).

شكل موقع مكران مركزاً استراتيجياً مهماً للقوى الإسلامية المتتالية خلال العصور الوسطى، وقد لعبت دوراً في ربط الغرب والشرق منذ العصور التاريخية القديمة، وكانت البوابة التي توصل الجيوش والتجار من وإلى الهند، وقد طرقتها

= الإسلام. يرينا هذا وجود نهر في مكران قريب إلى المنطقة التي غنم بها المسلمون بالفيلة. ومن جهة أخرى يذكر الششنامة (Chuchnameh) أن أبو موسى الأشعري أخبر عمر رضي الله عنه عن وجود ملك على السند والهند عدائي جداً وقاسي وظالم. ومن المحتمل، وبناء على هذا الخبر، أن يكون المسلمون قد هزموا هذا الملك وغنموا الفيلة بعد دحره وبقوا في مكران. ويرى لي سترينغ أن مكران كانت خصبة أكثر ومأهولة بشكل أكثف من الآن. ويقترح السير بي. ام سايكس أن يكون قد حصل نوع من التدهور البيئي مع مرور الزمان.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف بمصر د.ت) ص ١٨٢. قارن، البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق دي غويه (أبْرِلّ، ١٩٦٧) ص ٤٣٢، وما بعدها، وياقوت الحموي، "معجم البلدان" الجزء ٥ (دار بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) ص ١٨٠، وانظر الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار " ص ٥٤٢.

(٢) انظر: Notes on Ancient and Mediaeval Makran , p. 405.

وأيضاً: McGregor, Wandering im Baluchistan , p. 41, 44.

جحافل الجيوش الجرارة عدة مرات تحت إمرة ملوك مثل سميراميس البابلية وسايرُس العظيم الفارسي والإسكندر المقدوني المعروف بالإسكندر الأكبر خلال انسحابه من الهند عام ٣٢٥ قبل الميلاد(١).

وقد نجحت الجيوش الإسلامية في اجتياح مكران وهي في طريقها إلى السند وعملت على تهيئتها لإقامة الجيوش والتجار فيها، فتم تأسيس طرقات جيدة مزودة بمحطات وأماكن راحة، وقد ذكر الكثير في السجلات التاريخية، معظمها غير موجود حالياً. يصف أحد الجغرافيين الحديثيين شبكة الطرق في مكران التي ازدهرت خلال العصور الوسطى، بأنها واحدة من أعظم شبكات الطرق في العالم، وقد ربطت بين الشرق والغرب بطريقة لم تكن موجودة من قبل في الهند(٢).

إن ندرة المعلومات التي تصف أماكن الاستيطان في بلوتشستان خلال العصور الوسطى تجعل مهمة تحديدها ودراستها صعبة للغاية، ويبدو بشكل عام أن الجغرافيين المسلمين لم يدونوا أية معلومات مفصلة كما فعل على سبيل المثال أبو الحسن الهمداني وناصر خسرو عندما دونوا معلومات موثوقة عن مواقع في شبه الجزيرة العربية، أو ما نجد ذكره عن هذه المواقع في أعمال الرحالة الحديثين، وهناك إشارات غير كافية عن العلاقات بين مستوطنة وأخرى وينقصها الوضوح فيما يخص مزايا كل مستوطنة على حدة، ولعل هذه المساوئ تجعل تحديدنا لهذه الأماكن يعتمد على الحدس والظن أحياناً.

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالمسافات، فنحن لا نملك مقياساً للمسافات متعارفاً عليه، وقد كان جغرافيوا العصور الوسطى يقدرون المسافة، بين نقطة وأخرى بعدد الأيام التي يحتاجها المرء لقطع هذه المسافة وتبدو هذه الفترة الزمنية كما علق تي. إتش. هولدتيش، هي المسافة التي يقطعها المرء في الأحوال العادية،

---

(١) انظر: T. H. Holdich, loc, cit, E. J. Rapson, CHIn., Vol. 1, p. 29.

(٢) انظر: T.H. Holdich, the Gates of India , p. 244, 291, 314, 321 .

لكن ماذا عن مسيرة يوم في الصحراء ؟ أليست المسافة أقل ؟ وبعد أن نأخذ معدلاً وسطياً نقول بأن مسيرة اليوم تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ ميلاً، ولم تذكر المصادر نوع الرحلة هل هي برية أم بحرية ؟ لذلك نجد أن تعبير "مسافة يوم واحد" يعني المسافة المقطوعة بغض النظر عن وسيلة النقل[١].

تيــز:

في نقطة وسط الشاطئ الشرقي لخليج تشاهبار ـ لا تبعد أكثر من ٦ أميال شمال مدينة حديثة اسمها تشاهبار ـ تقع قرية صغيرة اسمها "تيز"[٢]، في واد يحمل نفس الاسم فيه ممر لا يتعدى عرضه ١٢٠ ياردة، وتعتبر تيز واحدة من أقدم القرى والموانئ في مكران، ويُعتقَد أنها هي ذاتها "تيسا" التي ذكرها بطليموس[٣]. وخلال العصور الوسطى كانت "تيز" تعتبر أول موقع في بلاد السند[٤] وقيل عنها بأنها مرفأ مزدهر، وذكرها المقدسي ووصفها بأنها محاطة بأشجار النخيل وتضم بيوتا عامرة ومسجداً جميلاً[٥]، وكان سكانها آنذاك يشابهون سكان موانئ جميع البلاد[٦]. ويعتقد أن تيز كانت البوابة الرئيسية لمكران خلال العصور الإسلامية الوسطى[٧]، ومن المحتمل أنها كانت بوابة التجارة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨.

(٢) انظر: A. Stein , ARWl, p. 88, 90.

(٣) انظر: E. Gibbon, Decline and Fall of the Roman Empire, Vol.I (London, 1905) p. 294.

(٤) انظر: . Hudud Al-Alam. p. 123

(٥) "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ص ٤٧٨.

(٦) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٧) انظر ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٢٥ وانظر القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (القاهرة ١٩٥٢) ص٦٦. وانظر الاصطخري، "مسالك الممالك" ص١٧٧. وقد ذكر ابن رسته أن جزيرة تيز مكران تقع عند النهاية القصوى لخليج فارس حيث تبدأ حدود السند. انظر (الأعلاق النفيسة).

إلى سيستان وخُرَاسان وهيلمند الجنوبية في أفغانستان[١]، وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ورثت هذه المدينة تجارة هرمز بعد أن آلت هرمز إلى مجرد أنقاض[٢].

ويعود سبب اشتهار تيز وازدهارها إلى عدة مزايا طبيعية تحلت بها: منها وجودها بشكل عام غرب امتداد شاطئ مكران الذي كان يتعرض بقوة للرياح الموسمية ناهيك عن الرياح الأخرى. فالسفن المسافرة بين الهند والخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وجدت الحماية عند مرفأ تيز لكونه ملاذاً طبيعياً للسفن[٣]. وهناك ميزة أخرى وهي تعذر الوصول إلى دلتا نهر السند وميناء ديبل في أوقات معينة من السنة فكانت "تيز" هي الميناء الأكثر أمناً وسلامة، ولاحظ تي. إتش. هولديتش أنه لا بد من وجود روابط تجارية محلية بين تيز وبين الوديان الزراعية الساحلية الواقعة شمال مكران[٤].

لوحظ وجود مجموعة من الفخاريات من قبل تي. إتش. هولديتش، وتم تأكيدها فيما بعد من قبل إي. شتاين، وقد يعني هذا أن السكان المحليين قد عملوا في صناعة السيراميك إلى حد ما، ووجد هولديتش أعمالاً فخارية رفيعة الصنعة مطلية بطبقة رقيقة من الزجاج الأخضر الذي يعود لأصول عربية[٥] حسب اعتقاد هولدتيش، وتحتوي هذه البقايا على عناصر لنماذج قديمة تحمل سمات مشابهة لفخاريات سوتكاغين ـ دور[٦]، وقيل أيضاً أن "تيز" كانت تحصل رسوماً وجبايات تصل إلى ١٥٠٠٠ درهم نظير ما يقدمه ميناؤها من خدمات،

(١) انظر: T. H. Holdih , the Gates of India, p.301, A. stein , ARNWI, p.92 . J. Hansman, art.cit , p. 572.

(٢) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٣) انظر: J.G.Lorimer, GPGOCA, Pt.ii, p. 352 GHS: Persia, p.141.

(٤) انظر: The Gates of India, p.301 , idem, art.cit, p 396 f,A. stein , loc. cit.

(٥) المصدر السابق A. stein , ARNWI, p.121, p.298

(٦) انظر: CHIN., VOL.I.P. 61, M. Whealer , the Indus civilization, p. 45, 60 .

وذلك في منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)(١)، وهذا ما يثبت تعليقات المقدسي السابقة(٢)، وتشهد هذه الحقائق على الازدهار الذي وصلت إليه تيز قبل قرون من مجيء الإسلام.

جمع أي. شتاين من أماكن في وادي تيز ـ القبر رقم ٢ بالقرب من طرف مجرى ماء تيز ـ بعضاً من البقايا الأثرية، وقد احتوت على قطع نقدية يرقى بعضها إلى القرن الميلادي الأول(٣) إبان العصور الفارسية، وبعضها يرقى إلى المراحل الإسلامية، وهناك قطعٌ نقدية من نفس النموذج وجدت في كثيب رملي شمال شرق تل كالاندي، ويذكر هنا السير أي. شتاين وجود مواد أثرية من البورسلين الصيني وبعض القطع المعدنية الصغيرة بكميات كبيرة مثل عقدات السلاسل وصفائح رقيقة من الذهب مما يشير إلى مستوى معيشة عال في أوساط المجتمع القديم(٤).

كيز:

يستخدم الآن اسم كيز أو كيج على مجمل الوادي الذي يسقيانه نهرا "كيل" و"غيش"، ويمتد هذا النهر من الشرق إلى الغرب بطول يقدر بـ ٢٠٠ ميل، ويختلف عرضه ما بين ٦ و ١٢ ميلاً(٥)، ولا يحتوي الوادي الآن على المدينة القديمة التي حملت نفس اسم كيز، إلا أن هناك قلعة قديمة ما تزال موجودة تحمل نفس الاسم مع أنه لا يعتقد أنها تتطابق مع نموذج كيز القديمة(٦)، ويؤكد تي.

(١) انظر: . P.M. Sykes, Ten Thousand Miles in Persia, p. 100

(٢) انظر: " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٧٨.

(٣) انظر: A. stein , op.cit., p.90

(٤) انظر: Ibid., p.91 , idem " Archaeological Reconnaissances in S.E. Persia , " p. 121.

(٥) انظر: BDGS, VOL.VII,p. 295

(٦) انظر: . H.Pottinger , Travels im Beloochistan and sinde, p. 404

يقول المؤلف أن هذه القلعة شيدت على جرف عال يجري من تحته النهر ونظراً لموقعها الطبيعي المنيع يقول عنها السكان المحليون أنها حصينة جداً لا تقهر.

إتش هولديتش أنه لا يوجد أي موقع أثري يستطيع المرء من خلاله القول إن موقع كيز كان هنا. ومن جانب آخر يبدو أنه لم يتم تفحص الموقع أو المنطقة المجاورة لقلعة كيج الحديثة، ومع ذلك ضمن هولديتش مكانها في المنطقة القريبة المجاورة لـ "كلَتّاك" أو كَلَتُوك، في الجانب الشمالي من نهر كيج غربي "تُرْبَت" الحالية، وحسب رأي هولديتش فإنه لا يوجد مساحة كافية لمزيد من الدراسات والأبحاث بين البقايا الأثرية المحيطة(١)، ويرجح بعض الدارسين أن يكون موقع كيز قريباً من القرية الحديثة "تُربت"(٢). وأما كتّاب ومؤرخو القرن السابع والثامن والتاسع الهجري فيطلقون اسم كيج ومكران على كامل الإقليم، وعلى سبيل المثال، فإن ماركو بولو دعاها "كيز ماكوران" وأورد أنها تنتمي إلى الهند(٣). وفي الحقيقة كان ماركو بولو يعتقد أن سكانها وثنيون(٤)، وقد أعطانا فكرة عن المستوى الحياتي لمجتمعها بالإضافة إلى وضعها التجاري وغذاء سكانها المؤلف من الأرز والقمح واللحم والحليب الموجود بوفرة، وقال أن التجار يصلون إلى هناك عن طريق البحر والبر معاً(٥).

وبالعودة للعصور الوسطى فقد ذكر كل من الاصطخري وابن حوقل أن كيز هي مقر حاكم مكران بكامله وقدروا مساحتها بنصف مساحة مدينة "مولتان" مع وجود وفير لأشجار النخيل(٦)، وحسب رأي ابن حوقل فإنها كانت مستودعاً لكل إقليم مكران نظراً لوقوعها بين مرفأ البحر والأراضي المزروعة في الداخل ولوقوعها أيضاً على الطريق الهام بين مكران والسند والهند(٧).

---

(١) انظر: . Art.cit, p. 397, idem, the Gates of India, p. 301. 362

(٢) انظر: . G.Le strange, the Lands of the E.C, p. 333

(٣) انظر: . The travels of Marco polo, tr. J. Mansfield, repr. (London 1983) p. 387
وانظر: . W. Barthold, Op.cit, p. 147

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق. Ibid, page, 388

(٦) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٧٧.

(٧) "تحقيق ما للهند في مقولة" (حيدر آباد، الدكن، ١٩٥٨) ص ١٦٧.

على أن هناك معلومة مميزة ذكرها البيروني بوجود عصابة من اللصوص التي اعتادت مهاجمة المراكب على الشاطئ، وكانت تعرف هذه العصابة من قبل البيروني باسم البواريج وكانت تدعى إحدى قواعدها كيتش، ولا يبدو أن هذا المكان هو نفسه كيز أو كيج لأنه عندما كتب تلك المعلومة في بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانت مدينة كيز تتمتع باستقرار أمني خلال حكم السلالة المعدانية، ولكن في زمن الإدريسي (توفي تقريباً سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤-١١٦٥م) كانت كيز قد تنامت وتوسعت أكثر من ذي قبل وأصبحت بحجم مولتان وقيل عنها أنها أكبر مدينة في مكران تتنوع فيها التجارة والأسعار فيها مناسبة[١].

بَنْجْبُور:

من ضمن مزايا بنجبور هو تنوع لفظها في العربية واختلاف لفظ اسمها ما بين جغرافي عربي وآخر؛ فيظهر هذا الاسم مثلاً فنجبور[٢] أو فَنَّزْبُور[٣] وبَنْجبُور[٤] و قَيْربور[٥] وفيروز[٦] وفيربوز[٧] وقَنَّزْبُور[٧] وبَنْجْبُور[٨] و قيربُون[٩]، إن هذا التنوع لهو دليل أكيد على أن الكلمة ليست من أصل عربي، وباعتبار أن الحرف P

(١) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ". ص ١٧٢.

(٢) ابن حوقل، " صورة الأرض " ص ٣٢٥.

(٣) ابن رسته، " الأعلاق النفيسة " ص ٢٨٦، والمقدسي، " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ص ٤٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٧٥ و ٤٧٨.

(٥) ابن خرداذبة، " المسالك والممالك " ص٥٥.

(٦) المصدر السابق، نفس الموضع والمقدسي، نفس المصدر، ص٤٨٥.

(٧) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ". ص١٧٣.

(٨) الاصطخري، " مسالك الممالك "، ص ١٧٠ و١٧٧. مع مراعاة الضغط على الباء كما هي صورة الباء في الفارسية (پ) ويقابلها في الإنجليزية (P)، انظر، حدود العالم، ص ١٢٣-٣٧٣.

(٩) ياقوت الحموي، " معجم البلدان " الجزء الرابع ص ٦١٤.

غير موجود في اللغة العربية لذلك تطلع الجغرافيون العرب لإبداله بحرف آخر فاختاروا إما ب (كما فعل المقدسي بنجبور أو "ف" (كما فعل ابن حوقل فَنْجْبُور) أما قَيْرِبُور وقَنْزبُور وقَيْرَبون فيبدو أنها وردت نتيجة لأخطاء وقع فيها النساخون فكتبوا قافاً بدلاً من فاء، لذلك يرجح أن بنجبور (بباء ثقيلة) Panjbur كما هي موجودة في كتاب حدود العالم أنها الأصح. أما بنجبور لدى المقدسي فتعد الشكل القديم لبتجبور هذه الأيام، ويمكن استيعاب هذا الخيار الأخير ببساطة، كما يشرح ذلك إم. آر. هيج لميل البلوتشيين إلى استبدال حرف b بدل g كما يفعلون في بعض الكلمات الأخرى مثل بيه = جيه وبيش = جيش وبازي = جوازي - يراعي لفظ الجيم بالطريقة المصرية[١].

ويبدو أن الموقع الصحيح لبنجبور خلال العصور الوسطى غير واضح ودقيق تماماً، لكن تي. إتش. هولديتش يرى أنها تقع في المنطقة المجاورة والمحيطة ببنجكَور الحديثة ويربطها بالحصن[٢] المرجح بناؤه قبل العصور الإسلامية خلال حكم ملك هندي، وأعيد ترميمه في الفترة الأولى للإسلام بإمرة تشاش Chuch (ملك السند. ويرجح أن تكون قلعة كُدَبَنْدَن الحديثة قائمة مكان القلعة القديمة[٣]، لكن "هيوز بُلّر" يربطها ببنج جور دون أن يعتمد على دليل واضح[٤]، أما مَرْكُوَرت فيخالف الجميع ويضع بنجكَور في الإقليم الجنوبي الغربي لبنجبور، وهي قرية صغيرة في حوض "باروم" بالقرب من الحدود الفارسية[٥].

يذكر المقدسي أن بنجبور تضم قلعة طينية محاطة بخندق دفاعي، وقد أسست وسط بساتين النخيل، ويقول بأن للمدينة بوابتين، إحداهما تدعى بوابة التيز

---

(١) انظر: . M.R. Haig , " Ancient and Mediaeval Makran , " p. 670

(٢) انظر: . The Gates of India, p. 302f

(٣) انظر: T.H.Holdich , loc.cit.

(٤) انظر: BDGS, VOL.VII, p. 306.

(٥) انظر: . W. Barthold, op.cit., p.146

والأخرى بوابة طوران[١]، تفتح البوابة الأولــى إلى جهة الشمال الغربي على طريق ميناء الخليج، بينما تنفتح الأخرى إلى جهة الشمال الشرقي على طريق إقليم طوران[٢]. ومياه الشرب فيها يسيرة المنال من جدول قريب وجامعها المستقل يقع في وسط السوق، ويقال أن أناسها ذوي لغة غير مفهومة[٣]، وهم مسلمون بالاسم ويتكلمون البلوتشية[٤]. ويتفق كل جغرافيي العصور الوسطى الإسلامية على أن بنجبور هي أكبر بلدة في مكران بداخلها، ويضيف الإدريسي في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أن بنجبور هي بلدة مزدهرة سكانها كثيــرو العدد بينهم التجار والأغنياء، ويقول بأن طبيعتهم جيدة وهم مسالمون ومؤدبون وأعفاء وأجلاء[٥]. وكانت بنجبور موقعاً تجارياً وإستراتيجياً هاماً تتوسط الطرقات التي تنطلق من كرمان وربما سيستان وقصدار[٦] ويصف تي. إتش. هولديتش سكان بنجبور، في مطلع القرن العشرين بأنهم أناس عند كلمتهم يفون بالعهود شرفاء وكرماء ومضيافون[٧]، ويصف بنجبور بأنها رقعة خضراء كغيرها في مكران[٨].

كلوان والراهون:

إن كُلْوَان والرَّاهُون (تقرأ أحياناً الراهوق) هما إقليمان يضمان رُستاقين أي بلدتين صغيرتين وهما ـ حسب رأي المقدسي ـ ملحقتان بمكران[٩]، ويؤكد الإدريسي أنهما إقليمان مجاوران لمكران، حيث تنتمي كلوان إلى مكران وتنتمي

---

(١) " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٧٨.

(2) G.Le Strange , op.cit, p. 329 .

(٣) ابن منظور " لسان العرب "، الجزء السابع ص ٤٣٣.

(٤) المقدسي، نفس المصدر.

(٥) المصدر السابق، ص، ١٧٢.

(6) M.R. Haigi art.cit ., p. 303 .

(7) The Gates of India, p. 303 .

(٨) المرجع السابق.

(٩) " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٨٤.

الراهون إلى المنصورة(١) وبهـذا تكون جـزءاً من جَلَوان الحـديثـة. وتقع هاتان البلدتان على الطريق بين كيز (كيج) وأرمابيل، وهما كثيرتا الإنتاج الزراعي لذلك تحصلان على دخل كثير من محاصيل قليلة، ويعتمد السكان على تربية المواشي والأغنام(٢). أما كولوا الحالية فهي عبارة عن واد كبير يبدأ من نهاية وادي كيج الشرقية وينتهي عند حدود جَلَوان عند نقطة تدعى " أَوَرَان " حيث يقطعها طريق يؤدي إلى لاس بيلا.

ويذكر "هيوز بوللر" أنها أكبر منطقة بعلية في مكران، ويظن أنها هي ذاتها التي يدعوها العرب وادي كُلْوَان(٣). ويتقبل تي. إتش هولديتش هذا الرأي وكذلك مؤلف هذا العمل. ومن الممكن ربط الراهون بموقع يدعى إقليم داشتاك(٤).

بَمْبُور وفَرْدان:

لعل المقدسي هو الوحيد الذي ذكر ما كان يعرف باسم بربور(٥)، وأعتقد بأنها قد تكون بمبور الحالية الواقعة على وسط مجرى النهر الذي يحمل نفس الاسم، إلا أن تي. إتش. هولديتش له رأي آخر، إذ يعتقد أنه من المرجح أن تكون فردان هي أيضاً بمبور(٦)، لكن يبدو أن تي. إتش. هولديتش اعتمد على معلومات إيليوت ودوسون في كتابيهما "تاريخ الهند" الذي يحتوي على الكثير من الأخطاء في المسميات، إذ لم يذكر أحد من الجغرافيين المسلمين هذا الاسم، وما نمتلكه في الحقيقة هو وصف ابن حوقل لما كان يعرف في زمانه بـ "خَرْذَان"، وهي عبارة

(١) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "، ص ١٧٣، والاصطخري، " مسالك الممالك " ص ١٧٦.

(2) BDGS, VOL.VII, p. 299 .

(٣) انظر: . The Gates of India , p. 304

(٤) انظر: . BDGS, VOL.VII, p. 299

(٥) "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص ٤٧٥.

(٦) انظر: . The Gates of India , p. 315-7

عـن مجموعـة مـن القـرى الصغيرة (الرستاق)[١] تنتج كميات معتبرة من قصب السكر والفانيذ وأشجار النخيل، ويذكر أن جميع الفانيذ الذي كان ينقل ويوزع في جـميع أنحاء البلاد كان مصدره هذا المكان وكان هذا موضع إقامة الشراة (الخوارج)[٢]، وقد ينطبق هذا الوصف على وادي بمبور الخصيب، وهذا ما أيده هولديتش[٣].

مشكـي:

حسب رأي الاصطخري فإن مشكي أو مشكا[٤] عبارة عن مقاطعة لكن تحديد موضعها الصحيح يعود إلى ابن حوقل عندما ذكر خرذان، فعندما يذكر ابن حوقل الخروج وخرذان يورد بأنهما يجاوران كرمان عن طريق مقاطعة مشكي، فيعني أن مشكي تفصل المكانين المذكورين سابقاً عن كرمان. لنفترض أن مشكي تتطابق وتتشابه مع منخفض مشكيل الحالي كما يعتقد ذلك بعض الدارسين[٥]، فهذا يعني أن خرذان تقع وراءه وبالتالي يمكن ربطها بإقليم خاران الحالي (شرق وشمال مشكيل) ولكن هل تصلح خاران، لزراعة قصب السكر ؟ لم أصادف أية معلومة تفيد بزراعة قصب السكـر في خاران. ومع ذلك فإن سي. إف. مِنْتْشِن يؤكد أن "التربة في معظمها طميية (غرينية) وشديدة الخصوبة" ويرفع من شأن تربة تدعى (المات) ليس لأنها خصيبة بل لأنها تحتاج إلى ماء أقل فهي تحتفظ بالرطوبة لوقت أطول وتناسب جميع المحاصيل[٦].

---

(١) سعيد الخوري، أقرب الموارد في فصيح العربي والشوارد، جزء ١ (بيروت ١٨٨٩) ص٤٠١ و٥٥٥.

(٢) ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٢٥، والاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٧٧. ويدعوها هنا جَدْران.

(٣) انظر: . Notes On Ancient and Mediaeval Makran , " p. 404

(٤) انظر: مسالك الممالك، ص ١٧٨ و . Hudud Al.Alam , p.373

(٥) المصدر السابق، وأيضاً:. W.Brice , Atlas of Islam , p. 16f

(٦) انظر: . BDGS,. VOL.VII. p. 92ff

في زمن الاصطخري تقريباً في القسم الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، كانت مشكي بلداً مستقلاً تحت حكم مطهر بن رجاء الذي كان يتبع مباشرة الخليفة العباسي وكان يوجد فيها القليل من أشجار النخيل وبعض أشجار الفاكهة من النوع الذي ينمو فقط في المناطق الباردة مع أن الإقليم يقع في البلاد الحارة(1) يؤكد تي. إتش. هولديتش أن مشكيل تنتج أنواعاً ممتازة من التمور تقارن بأفضل ما ينتجه الفرات من تمور(2)، ووصف الإدريسي سكان الإقليم بأنهم شجعان وأقوياء وكرماء يشتغلون في الزراعة وتربية الجمال(3).

مستوطنات أخرى صغيرة في مكران:

تعتبر بيه وبند (يحتمل أن تكون "بنت" الحالية) وقَصْرْقَنْد(4) دَرَك "دِزَك"(5) و "فَهَلفَهْرَه" بلدات صغيرة تقع في المناطق الحارة تتميز بمستوى اقتصادي واحد.

تقع بلدة قصرقند شمال تيز، وكانت فيما مضى مكاناً له بعض الأهمية(6). وصفها إتش. بوتْنْغَر بأنها تقع في واد بطول ٢٥ ميلاً وبعرض لا يتغير، يخترقه نهر صغير، وقد شيدت في هذا الوادي سلسلة من القلاع تنتشر في عدة مناطق منه لحماية القرى المجاورة(7)، وفي زمنه وصفها الإدريسي بأنها تتمتع بتجارة نشطة ومزدهرة(8).

لم تعد بيه مشهورة كما كانت ويرجعها بعض المختصين إلى بلدة جيه الحديثة

---

(1) انظر ابن حوقل، " صورة الأرض " والاصطخري، " مسالك الممالك "، ص ١٧٨.

(2) The Gates of India , p. 313 .

(3) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ص ١٧٤.

(4) انظر، ياقوت الحموي، " معجم البلدان "، الجزء الرابع ص ٦١٤.

(5) انظر ابن حوقل، ص٣١٩ أما المقدسي فقد كتبها دَزَك.

(6) انظر: Lestrange, op.cit. p330. Schcndlr, " Notes on Persian Baluchistan " , JRAS, VOL.IX (1877) p. 151 .

(7) op.cit., p. 305. see also schindler, art.cit, p. 151 .

(8) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ص١٧٥.

اعتماداً على قاعدة قلب حرف P إلى g باللغة البلوتشية[1]، ويعود سبب أهميتها لوقوعها على نقطة تجتاز فيها ـ مجموعة من الطرقات الفرعية التي تربط بشكرُد (قفص القديمة) مع كيج عبر "قصر قند" و"بيشين" و"ماند" ـ عقدة الطرق المريحة المتجهة من حوض بمبور إلى الساحل[2]، وقد وصفها ميرزا مهدي خان ـ الضابط الإيراني ـ في العقد الثامن من القرن الثامن عشر بأنها قرية صغيرة تقع على الطرف الآخر من النهر بالقرب من جيه[3].

أما بند فهي بلدة بنت الحالية[4] وحالتها مشابهة لحالة بلدة بيه[5]، لكن الجغرافيين المسلمين للقرن الثالث والرابع وما بعدهما لم يشيروا إلى أهميتها، وتقع إصْفَقَه إلى الجنوب من بمبور على بعد فرسخين من فَهَلْفَهْرَه حسب ما جاء في دليل الرحالة، ويمكن إرجاعها بثقة إلى البلدة الحالية إسْبَكِه التي وصفها ميرزا مهدي خان أيضاً بأنها تحتوي على قرابة مائة عائلة[6].

فَهَلْفَهْـــرَه:

فَهَلْفَهْرَه بلدة صغيرة من بلدات مكران العصور الوسطى[7]. ويزعم تي.إتش. هولديتش أنها بلدة بَهُوكَلَت الحالية الواقعة على المجرى السفلي لنهر سارباز، لكن إم. آر. هيج يقول أن رأي تي.إتش. هولديتش مناقض للمعلومات التي جاءت في دليل الجغرافيين القدماء، فإن تبعناهم على الخريطة وجدنا أنهم يباشرون طريق

---

(١) من الجدير ذكره هنا أن خارطة إيران التي أصدرتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية عام ١٩٨٥ حذفت اسم جيه واستبدلته باسم بلدة أخرى تدعى نيكشار، ولا يمكن تأكيد ذلك.

(٢) انظر: A. Stein, ARNWI, p. 97

(3) Schindlar , art.cit. p. 152 .

(٤) انظر: T.H. Holdich, " The Gates of India ", p. 312. V. Minorsky on Hudud ALAlam, p.373 .

(٥) انظر: . A. stein , ARWI, p. 100 .

(٦) انظر: . Schindler . art.cit., p. 153 .

(٧) ابن حوقل، "صورة الأرض"، ص ٣٤٥.

سيرهم بدقة وذكاء، وهكذا فإن أخذنا طريق الاصطخري الذي تبعه الآخرون فإن نقطة البداية تكون تيز ومن هناك نمضي باتجاه شمال شرق إلى كيز ويجب أن نلاحظ هنا أنه لو كانت فَهَلْفَهْرَه في موقع بهوكَلَت لكانت ذكرت قبل كيز، حيث أنها أول مكان يتم الوصول إليه[١]، ومن ثم من كيز باتجاه شمال شرق إلى بنجكَور ومن هناك باتجاه الغرب إلى دِزَك وباتجاه غرب جنوب إلى راسك وباتجاه الشمال إلى فهلفهره وباتجاه جنوب غرب إلى إصفقه وباتجاه الجنوب إلى بند[٢] وأيضاً جنوباً إلى بيه (جيه) وشرقاً إلى قصرقند، وفي هذه النقطة يصبح المسافر في وادي كيج العظيم ويشرع باستخدام الطريق من كيج باتجاه السند، ويجب أن نلاحظ أنه في حال قام المسافر بمغادرة راسك باتجاه الجنوب إلى " بَهُوكَلَت " فإن المرحلة القادمة لن تكون على الأرجح إصفقه التي تقع على مسافة ١١٠ ميلاً بينما يخبرنا الدليل على أنها على مسافة ـ مرحلتين قصيرتين ـ وهذا ما حير هولديتش[٣]، ويناقش هيج أيضاً مسألة المسافات وذلك بمقارنة الحسابات التي أعطاها الجغرافيون القدامى مع الحسابات التي أقرها الرحالون الحديثون، يقول هيج أن الجغرافيين يقولون: "من راسك إلى فهلفهرة تبلغ ثلاثة أيام" والمسافة الحقيقية بالأميال من راسك إلى فَهْرَج ـ حسب رأي السير أف. غولدسميد ـ تبلغ ١١٩ ميلاً. فمسيرة يوم واحد ـ ٣٠ ميلاً أو أكثر بقليل ـ ليست شيئاً خارقاً في أدلة الرحالة الشرقيين، إذن من فهلفهرة إلى إصفقه تبلغ المسافة "مرحلتين قصيرتين" ونجد أن المسافة من فهرج إلى إصفقه تبلغ ٤٥ ميلاً أي أن "المرحلة القصيرة" تبلغ ٢٢,٥ ميلاً، وهنا يبدأ هيج بالاعتقاد أن هذا أساس جيد لوضع فهلفهرة بالقرب من فهرج وراسك الحاليتين حيث هناك قرية تحمل ذلك الاسم[٤]، وأخيراً يناقش

---

(١) انظر: M.R. Hiag, art.cit, 672.

(٢) الإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ص ١٧٥.

(٣) انظر: M.R.Haig. loc.cit

(٤) المرجع السابق.

هيج مسألة الخرائط الإسلامية قائلاً لو أن فهلفهرة كانت في موقع بَهُوكَلَت لكانت ظهرت في هذه الخرائط المثيرة للفضول ملاصقة لتيز باتجاه شمال شرق، لكنها لا تظهر هناك. ولو تم دراسة خريطة ايليوت في الصفحة ٣٢ الجزء الأول لرأينا أن فهلفهرة لا توجد فيها نظراً لعدم وجود مساحة مناسبة لها فوق إصفقه. لكنها تظهر في خريطة الاصطخري بعيدة جداً باتجاه الشمال(١). ولعل هذه المناقشات تؤكد لنا دون أدنى شك أن فهلفهرة هي "فهره" أو "فهرج" الحالية الموجودة في مكران الفارسية.

راســك:

كانت راسك في العصور الوسطى بلدة ذات شأن وأهمية، إذ يؤكد الإدريسي أنها تمتلك إقليمين شهيرين أحدهما يدعى "خَرُوج" والآخر "كيركايان" ويعود سبب شهرتهما لإنتاجهما قصب السكر بكميات وفيرة وتصديره للمناطق الأخرى(٢)، وكانت راسك مزدهرة يقطنها عدد لا بأس به من السكان وتمتلك العديد من البضائع والسلع(٣)، ولكن التفاصيل الموجودة في أدلة الرحالة لا تكفي للتأكيد على أنها هي ذاتها المنطقة التي تحمل الاسم نفسه(٤)، وبالاعتماد على المسافات المقدرة بين "فهره" التي ترتبط بفهلفهرة وبين راسك الحديثة، فقد اعتقد هيج بارتباط راسك مع البلدة الحالية ذات نفس الاسم(٥)، لكن هولديتش يرى أن نبحث عنها على مسافة إلى الشمال بجوار سرباز الحالية(٦)، ونظراً لغياب

(١) المرجع السابق.

(٢) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ص ١٧٤.

(٣) انظر .Hudud Al-Alam, p. 125

(٤) يضع مينورسكي وكذلك الخرائط الحديثة راسك بمحاذاة مجرى نهر سرباز لكن هذا الموقع لا يتطابق مع البلدة القديمة التي تحمل نفس الاسم إذ أن المسافة بين راسك فهلفهرة لا تتوافق مع هذا الاقتراح. انظر حدود العالم و Le strange, op.cit., p. 330

(٥) انظر: . art.cit., p. 670; Le strange, loc.cit

(6) T.H. Holdich, the Gates of India, p. 470 .

المعلومات المناسبة فيمكننا الأخذ برأي هيج لأن المسافة بين الموقعين ليست بعيدة بالإضافة إلى أننا ورثنا الاسم منذ عدة قرون، لذلك من الأسلم أن نتخذ هذا الرأي إلى أن يجيء دليل بخلافه.

دِزَكْ:

تنطبق دِزَكْ(١) على نفس القرية الحالية التي تحمل نفس الاسم، ويعتقد أنها كانت أكبر في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) مما هي عليه الآن. يذكر الإدريسي أن دزك مدينة كبيرة وسكانها كُثر ويوجد فيها الكثير من السلع والبضائع وتتبع لها الكثير من البلدات، ويخبرنا أن السكان يحصلون على مياه شربهم من الينابيع والآبار، ويقف في الجنوب الغربي منها جبل عال يعرف باسم الجبل المالح لأن معظم مياهه مالحة، ويخبرنا أيضاً أنها تحتوي على أراض زراعية وقرى كثيرة(٢).

ويذكر إتش. بوتنغر الذي زار الموقع عام ١٨٣٩م أن هناك مرتفعين غير عاديين بجوارها أحدهما يدعى كوهي عَبْر أو جبل غُوَيبْر ويبعد حوالي ١٢ - ١٤ ميلاً عن دِزَكْ، ويقال بأنه يتميز بارتفاع قمته الشاهقة التي ترتفع عن كل الجبال المجاورة(٣)، ويصف بوتنغر أيضاً وادي دزك بأنه واد خصيب يمتد بين جبلين ويحتوي على ٧ قرى وكل واحدة تحمل نفس الاسم دِزَكْ مما قد يسبب التباساً للغريب(٤)، أما ميرزا مهدي خان، الضابط الإيراني الذي زارها في العقود الأخيرة

(١) لا توجد دزك على خريطة إيران التي أصدرتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية عام ١٩٨٥، لكنها تقع في خرائط حديثة أخرى جنوب بلدة سروان المزدهرة. ومعنى كلمة دزك بالفارسية " القلعة الصغيرة " انظر مثلاً. J.Bartholomew's map of Iran (Edinburgh 1977) أما ما ذكره الاصطخري دزك فلا بد أن يكون بمحض الخطأ.

(٢) نفس المصدر، ص ١٧٤.

(٣) انظر: . Travels im Beloochistan, "Sind and Panjab", p. 147

(٤) انظر: Ibid., p.149. see also T.H.Holdich, "Notes On Antient and Mediaeval Makran" p.403. Idem , the Gates of India, p. 313 .

من القرن التاسع عشر، فيذكر أن هناكاً إقليماً واسعاً يضم ثلاث عشرة قرية تتناثر بمحاذاة الجبال، والجو حار في هذا الإقليم والمياه آسنة(١)، ويبقى أن نقول بان دِزَكْ تبدو وكأنها حذفت من خريطة إيران الحديثة.

أرمابيل و قَنْبَلي:

أرمابيل وقنبلي هما بلدتان من بلدات مكران العصور الوسطى، وقد حدد الجغرافيون المسلمون موقعها بين مكران وديبُل، أما "حدود العالم" على سبيل المثال فيورد موقعاً مخالفاً لهذا الموقع بالقرب من البحر(٢)، كما أن هناك معلومتين متناقضتين حولهما عند الاصطخري وابن حوقل، فالأول يقول أن المسافة بين أرمابيل والبحر تبلغ نصف فرسخ(٣)، بينما يرجع ابن حوقل، هذه المسافة إلى قنبلي(٤)، وقد يكون هذا ما جعل لي سترينج يذكر موقع هاتين البلدتين بغموض فيقول: "إحداهما تقع على مسافة نصف فرسخ من البحر" وفي الحقيقة فإن ابن حوقل ومن بعده الإدريسي يتفقان على أن قنبلي هي الأقرب للبحر(٥). ونجد معظم الدارسين يتجهون إلى أن أرمابيل هي عين المدينة الحديثة بيلا، وهي المركز الإداري لإقليم لاس بيلا الموجودة حالياً في شرقي بلوتشستان.

ويؤكد أيْ. شتاين أن "بيلا" الحديثة تقع على هضاب مليئة بكميات هائلة من الآثار، ويعتقد أنها تعود إلى العصور التاريخية القديمة، وبعضها يحتوي على مواد إسلامية، كما يؤكد أنه من الصعب الوصول إلى هذه الهضاب بسبب كثافة التواجد السكاني فيها وأن أكوام النفايات كانت حائلاً دون تفحص أي من الآثار

---

(١) انظر: . A.H. Scindler, " Notes on Persian Baluchistan , " p.149

(٢) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٧٨ وابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٢٦، والمقدسي، "أحسن التقاسيم"، ص ٤٨٤، حدود العالم، ص١٢٣.

(٣) الاصطخري، نفس المصدر.

(٤) صورة الأرض ص ٣٢٦.

(٥) المصدر السابق، المرجع نفسه، ونزهة المشتاق، ص ١٧٤.

هناك. بعيداً عن هذا، فإن المسافة بين كيز وديبل، كما وصفها الجغرافيون المسلمون، نستطيع إيرادها على الشكل التالي "(من كيز (كيج) إلى أرمابيل تبلغ المسافة ٦ مراحل ومن أرمابيل إلى قنبلي تبلغ المسافة مرحلتان ومن قندابيل إلى ديبل ٤ مراحل)[١] ثم يتخذ الطريق من أرمابيل إلى ديبل اتجاهاً جنوبياً لذلك يجب البحث عن قنبلي في مكان ما بهذا الاتجاه، ويرى تي.إتش. هولديتش أن قنبلي تتطابق مع آثار موجودة غرب قرية اسمها لياري[٢]، غربي المجرى الوسيط لنهر بورالي.

يقول ابن حوقل عن البلدتين: "ولهما سعة وفي أهلها يسار ومكنة"[٣] ويذكر الإدريسي أرمابيل بأنها كبيرة مثل فيريوز وفيها عدد كبير من السكان وفيها حدائق ومتنزهات وأناسها ميسوروا الحال، ويقول عن قنبلي أنها مشابهة لأرمابيل في حجمها وفي مظاهر أخرى مثل جمال أبنيتها وهي مكتظة بالسكان وغنية وذات مقام عال، ويضع الإدريسي قنبلي على ١,٥ ميلاً من البحر[٤].

أماكن التوقف ـ المحطات ـ:

ما يهمنا هنا هو بعض المحطات التي ذكرها ابن خرداذبة التي تقع ضمن مكران وطوران على الطريق من كرمان إلى السند، فنجد في مكران "الطبران" و"باسورجان" وبلدة "الخُرون" (ربما الخَرُوج) ثم قرية "يحيى بن عمرو" و"هَدْهار" "قَدَرْ" و"موساره" و"دَرَكْ"، و"بَمُويه"، و"تَجين". ثم يمر الطريق إلى إقليم البلوص أو البلوتش ومن ثم إلى جبل المالح. ونعلم من الفصل السابق أن جبل المالح يقع بجوار دِزَكْ ويقع إقليم البلوتش ـ حسب ما أورد ابن خرداذبة ـ في مكان ما ضمن مكران ـ على الأغلب بين خواش ودِزك ـ فنظراً لذلك لا بد أن يكون البلوتشيون

(١) الاصطخري، نفس المصدر، ص١٧٨، وابن حوقل، نفس المصدر، ص ٣٢٦.

(2) The Gates of India , p. 307f .

(٣) نفس المصدر، نفس الموضع.

(٤) المصدر السابق، ص٣٢٦.

متواجدين في مكران قبل الدولة البويهية والسلجوقية بزمن طويل تقريباً. ويتابع ابن خرداذبة فيورد أنه على نفس الطريق بين دزك ـ حيث يوجد جبل المالح ـ وبنجبور نجد محطات "النخل" و"القلمان" و"سراي خلف"[١]. ومن بنجبور إلى قصدار، توجد محطات "حيس" و"الحفص" ثم "سراي داران" و"الجيثه" و"قصدار"[٢]. ويبقى أن نشير إلى أن المحطات التي ذكرت سابقاً لا يمكن تحديدها الآن بسبب قلة المعلومات وعدم دقتها.

ليباتي وآغور:

لم يذكر أحد من جغرافي العصور الوسطى هاتين المحطتين فلم يرد ذكرهما إلا في بعض أعمال المستكشفين الحديثين، ويقترح ميجور موكلر إرجاع اسم "ليباتي" إلى الأصل العربي "الوادي" لاعتقاده أن البلوتشيين حرفوه فنطقوه "ليباتي". وقد يحمل هذا الاقتراح بعضاً من المنطق لكن افتراضه أن كلمة الوادي هي اشتقاق عربي من كلمة "الباغيا"[٣] لا يستند إلى دليل مادي مما يحدو بنا إلى نبذه.

أما فيما يخص "آغور" فإن موقعها قريب من قرية تدعى آغور على المجرى السفلي لنهر هينغول حيث وجد بقاياها أيْ. شتاين. ومن خلال الأبحاث التي أجراها على تلك البقايا عثر على مجموعة لا بأس بها من الكسرات الفخارية التي تحتوي مواداً سيراميكية وصينية تعود للعصور الوسطى وتحديداً للفترة الإسلامية. وعثر أيضاً على بعض القطع النقدية الإسلامية النحاسية[٤]، مما يشهد بأن المكان

---

(١) ابن خرداذبة " المسالك والممالك "، ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) يعود اسم الباغيا إلى جدول صغير يجري بالقرب من ليباتي ويؤكد انه كان اسماً لموقع قديم ذكره بطليموس.

انظر: . Ancient Geographers and the Makran Coast, " p. 132

(٤) انظر: A.stein , " On Alexander'x Route in to Gedrosia, " p. 203.

ولم يستطع مؤلف هذا العمل أن يحدد التاريخ الدقيق لهذه القطع النقدية.

كان مأهولاً، وحسب رأي شتاين فإن ازدهار آغور كان سببه موقعها الذي: إن بدا وكأنه يعتمد قليلاً على الزراعة بسبب ظروفها فإن ساكنيها خلال العصور الوسطى عملوا في مجال التجارة البحرية المتواضعة التي كانت قائمة على الساحل، من هينغول حتى جهاو وبجوار موانئ مكران وجلوان"(١).

طوران:

يسميها الإدريسي(٢) "طويران" وحسب بعض المصادر الإسلامية، فهي المناطق المنسوبة لإقليم السند(٣)، وكان الاسم يطلق على كامل المنطقة التي تضم إقليمي جلوان وسروان في بلوتشستان، ولا يمكن تحديد موقع طوران القديمة بكاملها الآن لكننا نفترض أنها تمتد من الشمال، من "مستنغ" و"سيبي" إلى أطراف "لاس بيلا" في الجنوب، وربما إلى سهل البُدَهة (كاتشهي الحالية) في الشرق، وإلى مكران وخاران ونُشْكيْ وسيستان إلى الغرب، ويذكر ابن حوقل بشكل عام أنها واد يحمل مركزه الإداري نفس الاسم، طوران، وهو عبارة عن قلعة شيدت على نفس الوادي(٤)، ومن جهة أخرى فإن الإدريسي يؤكد أن طوران هي عبارة عن واد مأهول بالسكان يحتوي على حقول مزروعة، ويقول إن العاصمة الإقليمية هي طوران، وهي بلدة محصنة بشكل جيد ذات أبواب وفيها أيضاً منتزهات وزراعات دائمة(٥)، وقد يكون هذا الوصف متطابقاً مع الوصف الحديث لكَلاَت من قبل سي. ماسون الذي يرى أن كلات تذهل الناظر للوهلة الأولى بقلعتها الجبارة

(١) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٢) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ١٧٥.

(٣) الاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٧٠. ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ١٧٠، أبو الفدا، "تقويم البلدان" ص ٣٤٦، ياقوت الحموي، "معجم البلدان" الجزء الرابع ص ٤٧. والإدريسي نفس المصدر، ص ١٦٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٢٥.

(٥) نفس المصدر، ص ١٧٥.

وبيوتها التي تحيط ببعضها البعض وبحدائقها وبساتينها ومزارعها المنتشرة في كل مكان وهي بهجة للعين، ويبزغ في الأفق خلف السهل والبلدة قمة جبل "تشهل تان" الذي "لا يثير إيداعية الكتاب والقصاصين فقط، وإنما يزود محبي الطبيعة بفرصة نادرة يرسمون من خلالها ما شاءوا من المناظر الخلابة"(١)، أما فيما يتعلق بالمسافات فيذكر الإدريسي أن طوران تقع في منتصف المسافة بين قصدار ومَسْتُنكَكْ، فهي إذن النقطة المركزية. فيقول: "منها أي (طوران) إلى قصدار مسيرة أربع أيام" ثم "من طوران إلى مَسْتُكَكْ، وسط الصحراء، مسيرة ٣ أيام"(٢).

إن تقدير الإدريسي للمسافة يكاد يتطابق مع المقاييس الحالية لأن المسافة من قصدار إلى كلات تبلغ حوالي ١٦٣كم = (أربع مراحل) ومن كلات إلى مستنكَك تبلغ حوالي ١٠٠ كم = (ثلاث مراحل) ونتيجة لذلك يستطيع المرء أن يحدد مكان طوران عند "كلات" الحديثة، وليس عند كيزكانان كما كان يفترض(٣).

ومن بين البلدات التي ذكرها المقدسي والتي تقع ضمن إقليم طوران هناك "قنديل"(٤) و"بجشرد" و"جشرد" و"باكانان" و"خوزي" و"رستاكُوهَن"(٥)

(١) انظر: Narrative of Various Journeys, in Baluchistan, Afghnistan and the Panjab, VOL.II, repr. (Karachi, 1974).

(٢) نفس المصدر، ص ١٧٥.

(٣) اعتمدنا قياس هذه المسافات حسب خريطة طرقات باكستان الصادرة عام ١٩٨٤م.

(٤) يبدو خطأ المقدسي واضحاً جداً حيث وضع قنديل ضمن توابع طوران. ويعاكس هذا جميع تصريحات الجغرافيين والمؤرخين القائلين بأن قندابيل هي عاصمة إقليم البدهة.

(٥) من المثير هنا ان نلاحظ وجود واد يدعى كاهني إلى الغرب. ومن وادي قويطة حيث يسير بموازاته وهو أطول منه حوالي ٥-٦ أميال. تحد سلسلة جبال تْشَالتان الكبرى هذا الوادي من الشرق وتفصله عن وادي قويطة ومن الغرب تحده سلسلة موازية للسابقة لكنها أقل ارتفاعاً وتتجه شمالاً لتفصله عن وادي بيشين. وكانت هذه المنطقة افتراضياً مقاطعة من طوران حسب رأي الجغرافيين المسلمين، وهكذا فمن المحتمل ان تكون "كهني" هي "كوهان" التي أوردها المقدسي.

و"رستاق روذ" و"موردان" و"رستاق مسكان" و"كهر كوز"(١)، ويذكر الاصطخري "محالي" ويتفق معه ابن حوقل في ذكر "كيز كانان" و"سوره" وقصدار و"سيوي"(٢)، ويمكننا أن نضمها إلى مجموعة مَسْتُنْكَكْ.

قصدار:

كانت قصدار(٣) (تذكر أحياناً قزدار) عاصمة لإقليم طوران، وقد ذكر المقدسي موقعها في الصحراء - على عكس معاصريه من الجغرافيين - على ضفتي مجرى جاف لا يوجد عليه أي جسر ويخبرنا أن منزل السلطان كان مقاماً على إحدى هاتين الضفتين بينما تتموضع الأسواق على الضفة الأخرى في منطقة تدعى بودين (لم تحدد) وهي أصح وأرحب. ومع أن هذه البلدة صغيرة إلا أنها ذات فائدة جمة لأنها نقطة اللقاء بين تجار خراسان وفارس وكرمان من جهة وبين تجار من أماكن متعددة في الهند، ويقال بأن مياهها غير صحية إذ أن من يشربها يشعر بثقل في معدته، أما المياه التي يشربونها فتأتيهم عبر الأقنية، وأبنيتها مشيدة بالآجر الطيني وهي من نمط أبنية المناطق الحارة وسلطانهم ودود وعادل(٤). ويؤكد ابن حوقل أن قصدار لها مدن وقرى تابعة لها(٥)، وتبدو من خلال وصف الإدريسي - في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) - بأنها أكبر مما ذكرت سابقاً، "قرية مأهولة ذات سمعة وصيتها طيب وأسواقها متعددة ومتنوعة البضائع أحوالها

---

(١) المقدسي، " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٧٦.

(٢) " مسالك الممالك "، ص ١٧١، " صورة الأرض " ص٣١٩.

(٣) يرد ذكر قصدار في الأشعار العربية:

حل بقصدار وأضحى بها ... في القبر لم يقفل مع القافلين

لله قصدار وأعنابها ... أي فتى دنياً أجنّت ودين

وقد ذكرت في أعمال البلاذري وياقوت الحموي وأبو النصر العتبي والسمعاني وابن الأثير.

(٤) المقدسي، نفس المصدر، ص ٤٨٧.

(٥) ابن حوقل، نفس المصدر، ص ٣٢٤ وأيضاً الاصطخري، نفس المصدر، ص ١٧٦.

رغيدة وتتبع لها العديد من المناطق والقرى"(١)، لكن يبدو أن النمط والمستوى المعيشي الجيد لم يستمر طويلاً، إذ أن أبا الفدا يعلمنا بعد عقود قليلة بأن كل من رآها أخبره بأنها صغيرة لا تتعدى حدود قرية وتقع على تلة صغيرة في الوادي حيث يتواجد فيها بعض البساتين(٢).

ويذهب مينورسكي إلى أن قصدار القديمة هي نفس بلدة "خزدار" الحالية(٣)، وفي منتصف القرن التاسع عشر أعطاها تشارلز ماسون وصفاً مشابهاً لوصف الجغرافيين المسلمين مع فروق قليلة، حيث وجد أن قصدار قد بقيت كما كانت وأن أشجار النخيل فيها قد تطورت وكثرت، وتمتلئ المنطقة المجاورة لها ببقايا الآثار، وهي منطقة خصبة تنتج القمح ذا النوعية الجيدة والخضروات بأنواعها إضافة إلى المنتجات الأخرى التي لم تقل جودة عما سبق(٤)، ووجد أيضاً الرصاص بكميات كبيرة الذي يصنع السكان منه الطلقات. واستطاع أن يميز في جوارها بقايا آثار بيت آجري فريد من نوعه يعتقد أن يكون بناء لمسجد قديم(٥).

كيز كانان:

كان إقليم كيز كانان حسب رأي الاصطخري مقر حاكم منطقة طوران بأكملها(٦)، وذكر أنها إقليم خصب ينتج العنب والرمان وأنواعاً من فاكهة المناطق الباردة، ولكنه يخلو من أشجار النخيل(٧). ولكن الإدريسي هو الوحيد بين الجغرافيين المسلمين الذي حدد مكان "كيز كانان" وأنها تقع إلى الغرب من قصدار

---

(١) نزهة المشتاق، ص ١٧٥.
(٢) "تقويم البلدان"، ص ٣٤٩.
(٣) "حدود العالم"، ص ٣٧٣.
(٤) المصدر السابق، ص ٤١.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٤.
(٦) "حدود العالم"، ص ١٢٣.
(٧) نفس المصدر، ص ١٧٣.

وأضاف قائلاً: "إنها مدينة متحضرة سكانها أكثر وأسعارها رخيصة وفيها البساتين والحدائق والعنب والفواكه"(١).

ويزعم العديد من الدارسين بأن كيز كانان هي "كلات" الحالية(٢)، ولكن الأمر يتطلب منا وقفة فاحصة؛ فحيث نسب الاصطخري كيز كانان إلى صنف المناطق الباردة، والإدريسي ذكر موقعها غربي قصدار، فلا بد لنا من البحث عنها في منطقة أبرد نوعاً ما وإلى الغرب من قصدار. ومن جهة أخرى فإن تي. إتش. هولديتش يقترح موقعها في "نال" الحديثة إلا أن هذا الاقتراح لا يمكن إثباته؛ فنال تقع في منطقة أكثر حرارة، لذلك لا بد للمرء أن يقترح مكانها في "مِسْكين زرّه"(٣) في مرتفعات "غار" التي تقع غرب قصدار على الطرقات المؤدية إلى مكران وخاران وسيستان، وهي منطقة باردة أيضاً(٤).

وذكر المقدسي "كثرد" على أنها إحدى توابع طوران وتقع على نفس النهر إلى جانب كيز كانان، لكن كثرد فيها الآبار والمزارع، وقد تتساقط فيها الثلوج وتتجمد فيها المياه شتاء(٥).

وذكر كل من الاصطخري(٦) وابن حوقل "مَسْتُنْكْ" (Mastung) على أنها بلدة "باليس" أو"باليش" أو "والِشْتَان"(٧)، ومن المحتمل أن يكون سبب شهرتها في العصور الوسطى موقعها القائم على تقاطع الطرق بين السند وإيران، وربما

---

(١) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ص ١٧٥.

(٢) انظر: " Le Strange, op.cit, p. 332., C.E. Bosworth, " Kalat,
EI2, VOL.IV.p. 101f. cf. V. Minorsky, " Turan" EI1, VOL. III, p. 878 .

(٣) تقع إلى الغرب من نهر غيدار دُهْرْ وهو الرافد الأعلى على نهر هنغول المنحدر من منطقة كلات.
انظر خريطة إقليم جَلَوان في سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان. BDGS, VOL.VIB.

(٤) المرجع السابق. نفس الموضع.

(٥) نفس المصدر، ص ٤٧٨.

(٦) نفس المصدر، ص ١٧٩.

(٧) انظر: Le Strange, op.cit, p. 347 .

لتربيتها الخيول العريقة التي يقال أنها أثارت انتباه الخليفة الأموي معاوية، وما زالت تربى هناك حتى يومنا هذا[١]. ويربط لي سترينج باليش. بإقليم سيبي، أما مستنكَك فبإمكاننا أن نقول بأنها تقع مكان البلدة التي تحمل نفس الاسم المشابه لوصف الإدريسي؛ إذ يذكر أن هذه البلدة تقع في وسط الصحراء مسيرة ثلاثة أيام شمال طوران (كلات الحديثة)، إلا أن بعض المصادر الجغرافية الحديثة تؤكد أن مستنكَك تقع على سهل واسع جداً تحيط به مرتفعات ناغاو، وهي حسب رأي الإدريسي بلدة صغيرة تنتج القليل من الفاكهة لكنها موقع هام لتربية الجمال والماعز[٢].

وما بين كيز كانان وقندابيل يمتد إقليم يدعى "إيل"[٣]، وقد ورد في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أن سكان هذه البلاد هم خليط من المسلمين والبوذيين، وهم أثرياء يعيشون حياة كريمة، ويمتلكون الأراضي الزراعية الخصبة وكروم العنب والجمال والخراف والأبقار[٤]، ويمكن تحديد موقع هذه البلدة ضمن بقعة المرتفعات والسهول الممتدة تقريباً بين جنوب كلات وشمال قصدار ونهر غيدار دُهْرْ من الغرب وحدود قندابيل من الشرق.

ويورد الإدريسي أيضاً أسماءً لمواضع أخرى مثل "محياك"[٥] و"سوره" و"كُشْدَان" و"ماسورجان" ضمن إقليم طوران[٦]، ويذكر أن ماسورجان بلدة كبيرة كثيفة السكان فيها العديد من المستودعات والمتاجر وتجارتها مزدهرة، ويقال أيضاً أن العديد من القرى الواقعة على نهر طويران[٧] تتبع لها. وحسب رأي ابن خرداذبة فإن "ماسورجان" و"دَرَك يامونه" تقعان في مكران على الطريق

(١) انظر: BDGS, VOL.VI, p. 105.

(٢) نفس المصدر، ص ١٧٥.

(٣) " حدود العالم " تذكر آبل على أنها مدينة بوذا.

(٤) نفس المصدر، ص ١٧٩.

(٥) ترد عند الاصطخري محلي وترد عند ابن حوقل ما جاك.

(٦) نفس المصدر، ص ١٧٩.

(٧) المصدر السابق، ص ١٨٠.

من "فَهْرَج" إلى "بنجبور" . ويبدو أن الإدريسي قد اختلط عليه الأمر(١)، ومن الأفضل أن ننتبه إلى أن الإدريسي كان يعني الطابَرَان في مكران(٢) . وبعد دراسة للمسافة التي أوردها الإدريسي استنتج تي . إتش . هولديتش أنه "لو اعتبرنا ريغان هي نفسها البلدة القديمة ماسورجان ويَكْمينا هي البلدة الحديثة التي تمثل "دَرَك يامونه" ، فإننا سنجد المسافات التي ذكرها الإدريسي متوافقة مع المسافات الواردة في الخرائط الحديثة المتوفرة"(٣) .

سيبي وباليش :

تعتبر سيبي أو سيفي أو سيوي ـ البلدة الأولى في الإقليم الذي يحمل نفس الاسم ـ هي سيبي القديمة، وكان الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى يطلقون اسم باليس أو باليش أو والشتان(٤) على إقليم سيبي، وحسب ما أورده الاصطخري فإن عاصمة هذا الإقليم هي سيبي(٥). يقيم واليه في "القصر" وهو عبارة عن قرية صغيرة تقع على مسافة يوم من "اسفنجاي"(٦) . وتعد اسفنجاي أو "سَفَنجَفي" المدينة الثانية في إقليم باليش، وتقع على مسافة مرحلتين شمال سيبي على الطريق المؤدي إلى بَنْجَوي في إقليم الرُّخَّج . ولم يحدد موقع اسفنجاي بعد ولكن اعتماداً على المسافات الحالية من سيبي وبيشين التي تبلغ ١٧٠ كلم فبإمكان المرء أن يحدد موقعها إما في مكان المدينة الحديثة بيشين أو قربه(٧) .

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) نفس المصدر، ص٥٥ حيث يرد اسم تابَرَان .

(٣) انظر: T.H. Holdich, " On Ancient and Mediaeval Makran" , p. 405.

يقول الإدريسي : "ومن ماسورجان إلى درك يامونه ١٤١ ميلاً ومن درك يامونه إلى بنجبور ١٧٥ ميلاً" . ص ١٨٠ .

(٤) انظر: G.Le strange, op.cit , p. 347. and H.G. Raverty. Notes on Afghanistan and Baluchistan, p. 563 .

(٥) انظر: G. Le strange, op.cit, p. 347.

(٦) انظر: W. Barthold, op.cit, p. 75.

(٧) انظر خريطة طرقات باكستان .

البُدَهَة وقندابيل:

إلى الشرق من طوران تمتد منطقة شاسعة يطلق عليها الجغرافيون المسلمون والمؤرخون المتأخرون اسم البُذَه أو البُدَهه[١]، وهو اسم أيضاً ينطبق على قاطنيها خلال القرون الأخيرة من العصور الوسطى الإسلامية، وقد ورد ذكر هؤلاء السكان على أنهم: "طوافون وبدو مثل بربر شمال افريقيا"، إذ أنهم لا يعيشون في مكان محدد. وهم يمتلكون الجمال القوية والجيدة التي تتميز بسناميها وطواعيتها وقدرتها على تحمل المشقات، وكانت هذه الجمال تدعى (الفالج) وكان الخراسانيون والفرس يفضلونها على غيرها[٢]، وتنطبق هذه المنطقة تماماً مع كاتشهي الإقليم الحالي في بلوتشستان[٣].

وقندابيل هي عاصمة هذه البُدهة، وقد أشار إليها الاصطخري وذكر أنها مدينة كبيرة تقع في البراري خالية من النخيل[٤]، وهي تمثل مركز التسوق في البدهه وهي مزدهرة وحيوية ومبهجة[٥]، أما الإدريسي فقد عرف قندابيل على أنها تابعة لمنطقة طوران، ومن المحتمل أنه أطلق هذا التعريف نظراً لقربها من حدود طوران، وربما لأنها كانت تقع تحت نفوذ حاكم قصدار مع كامل المنطقة في القرن الرابع الهجري

---

(١) يعد هذا الاسم بدون أدنى شك الاسم الدقيق، أما رافيرتي فقد فضل النطق السندي له أي نُدْهْ أو نُدْهيا أو نوذيا Notes on Afghanistan & Baluchistan,p.564f. BDGS, vol:VIA, p. 1، ولكن الاسم الشائع بين الجغرافيين المسلمين والدارسين المحدثين هو " البُدَهَه " انظر مثلاً : Elliot and Dawson, History of India ..., vol.I, cf. Le Strange, op.cit. p. 332. Hudud Al-Aalam, p. 373; T.H. Holdich, The Gates of India, p. 305f .

(٢) ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٢٦ والإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ص١٧٨ .

(٣) يقال أن كاتشهي تعني بالهندية (الغج) وذلك إشارة إلى أراضيها الغرينية غير المستصلحة . انظر: BDGS, VOL.VIA, p.14, W.Barthhold, op.cit. p.75 ; H.G. Raverty, op.cit. p. 564.

(٤) يرد في كتاب حدود العالم ص ١٢٣ أن قندابيل تنتج كميات كبيرة من التمور وهذا ما يتناقض مع كل ما ورد على لسان الجغرافيين المسلمين.

(٢) المصدر السابق، وأيضاً انظر الاصطخري، نفس المصدر، ص ١٧٨، وابن حوقل نفس المصدر، ص ٣٢٦.

(العاشر الميلادي) ويذكر أن هذا الحاكم كان شبه مستقل يرتبط فقط اسمياً بخليفة بغداد(١). وتعتبر قندابيل "غاندافا" الحالية التي تبعد حوالي ٧٥ ميلاً (١٢٠ كم) شمال شرق قصدار على ارتفاع ٣١٤ قدماً فوق مستوى سطح البحر.

بلاد البلوتْشْ في كرمان:

شهدت المناطق الجنوبية من كرمان نشاطاً للبلوتشيين وأقرانهم القفص إبان القرون الأولى من العصور الإسلامية، وقد سكنت هذه الأقوام في منطقتين رئيستين هما: جبل البارِز وجبل القفص وما يجاورهما من مناطق. ويحد منطقة جبل القفص - المشهورة بشكل جيد لدى مؤرخي وجغرافي العصور الوسطى - جيرُفت و "روذبار" و "جازموريان" من الشمال، وخليج عمان والبحر العربي من الجنوب وإقليم أخواش وصحراء مكران من الشرق، وهرمز ومنطقة البلوتشيين من الغرب، وينطبق اسم جبال القفص على سبعة جبال كما يؤكد ذلك المقدسي(٢)، حيث توجد بساتين التمور والمناطق الخصبة والمزارع، وتعد المنطقة منيعة جداً، وقد تحول اسمها في العصور الحديثة إلى بَشْكُرْد، أو، باشاكرد(٣). وقد أكد إتش. بوتنغر الاسم الأول عندما زار المنطقة في بدايات القرن التاسع عشر، وتكلم عن منطقة وعرة تؤلفها جبال متصلة تؤمن مراع لمواشي الأكراد والبلوتشيين الذين يعتمدون على المقيمين الآخرين في الوادي لتأمين احتياجاتهم من الحبوب(٤)، ويعتقد أن القبائل الكردية في هذه المنطقة هي من الأصول القفصية القديمة(٥).

---

(١) الاصطخري، نفس المصدر، ص١٧٧ وابن حوقل، نفس المصدر، ص ٣٢٤.

(٢) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب من أجل سلسلة جبال مكران الغربية. وانظر الفصل الثالث من هذا الكتاب من أجل شعوب هذه الأراضي. وانظر "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ص٤٧١.

(٣) انظر: C.E. Bosworth, " Bashkard, " EI2, Suppl., Fasc. 3-4, p. 129.

(٤) انظر: H.Pottinger's, "Travels in Baluchistan", Sind and Panjab, p. 306 .

(٥) انظر محمد أمين زكي، "تاريخ الأكراد وكردستان" الجزء الأول الطبعة الثانية (١٩٦١) ص ٣٥.

وخلال العصور الوسطى كان جزء من هذه البلاد يعرف باسم الأخواش نسبة إلى القبائل التي تحمل نفس الاسم(١)، وكانت هذه الأقوام تربي المواشي وتعيش في واد يكثر فيه قصب السكر نظراً لحرارته العالية(٢)، وقد ينطبق وصف هذا الصقع على خواش في نجد سرحد، وقد ورد أيضاً أن البلوتشيين كانوا يعيشون عند الحدود الغربية والشمالية لهذه الجبال، تقريباً على طول وادي روديان وميناب وعلى طول بيابان إلى الجنوب، وربما إلى جوار خليج جاسك(٣).

وإلى الشرق من جيرفت وإلى الشمال من "روذبار" تقع منطقة مرتفعات جبل البارز التي توصف بأنها مغطاة بالغابات الكثيفة(٤)، واستوطنت قبائل "البارز" هذه الجبال، وهي قبائل ظلت وثنية خلال العصر الأموي، لكنها اعتنقت الإسلام في العصر العباسي عندما حكم يعقوب وعمرو - ولدا الصفار - المناطق الإسلامية الشرقية، وذلك حسب ما أورده الاصطخري(٥)، وخلال العصور الأولى للفتح الإسلامي وجد الماغيون المطاردون ملجأهم الآمن هناك هرباً من وجه القوات التي أرسلها الخليفة الأموي لمحاربتهم(٦). ومنذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أصبحت هذه الجبال ملاذاً للبلوتشيين والقفص الخارجين على القانون.

ذكر المقدسي بلدة قوهستان الجبلية في الجزء الشمالي من الإقليم الجبلي لجبال القفص، وقد عرفت فيما بعد باسم قوهستان أبي غانم، وهي عبارة عن

---

(١) انظر: . G. Le Strange , op.cit, p. 317

(٢) انظر: . Ibid. Cf. J. Markuart, op.cit., p.75

(٣) الاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٥٨، ابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٠٩، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص ٤٧١ . وأيضاً: . J. Marquart, op.cit., p. 309

(٤) انظر: . G. Le strange , op.cit ., 316, J. Marquart, op.cit., 76 وانظر الاصطخري ص ١٦٤ .

(٥) " مسالك الممالك " وابن حوقل، " صورة الأرض "، ص ٣١٠ و J.Marquart, Loc.cit

(٦) انظر: . G.Le. Strange. Loc. cit

بلدة مناخها حار تحيط بها بساتين النخيل وتتوسطها قلعة حيث يقع المسجد بجوارها[١].

الطرق والمسافات:

تعد الطرق في مكران استمراراً لتلك التي تعبر الصحراء الكبيرة في سعيها للوصول إلى الهند[٢]، ولسوء الحظ لا يوجد وحدات قياسية معينة ومحددة لقياس مسافاتها، ويظهر أن أدلة الرحالة تختلف فيما بينها في استخدام مقاييس المسافات، فعلى سبيل المثال نجد مرحلة = (يوم مسير) وفرسخ وميل والأسوأ من ذلك عندما تستخدم ما يدعى بمسيرة يوم من بلدة إلى أخرى، إذ أن ما يقطعه المرء في مسيرة يوم يختلف من منطقة إلى أخرى نظراً لاختلاف التضاريس التي تخترقها هذه الطرقات والمسالك، ومن الممكن ـ كما قال تي. إتش. هولديتش ـ أن يقطع المرء مسافة ٧٠ أو ٨٠ ميلاً خلال ٢٤ ساعة ـ ولعل مسافات كهذه في أراضي شبه الجزيرة العربية تعد عادية، لكننا نتعامل هنا مع مناطق ملأى بالمجاري المائية والأصقاع الجبلية الوعرة، ففي منطقة مثل مكران لا بد أن تقترب المحطات من بعضها، وعلاوة على ذلك يبدو أن الجغرافيين المسلمين قد نسخوا المسافات عن أعمال بعضهم كما فعل كل من ابن حوقل والمقدسي عندما اعتمدا على مسافات الاصطخري، ويبدو أيضاً أن ما من أحد منهم ناقش أو تساءل عن المسافة التي ذكرها الآخر قبل أن يرفضها أو يقبل بها، فنجد مثلاً أن ابن خرداذبة قد ذكر عدداً كبيراً من الأماكن على الطريق من فهرج كرمان إلى دَيْبُل، وعندما يأتي الاصطخري فيما بعد معتمداً على البلخي يستخدم وحدات مختلفة دون أن يقارنها مع الوحدات التي استخدمها من سبقوه، ولكن كل المسافات التي ذكرها الجغرافيون

(١) المصدر السابق، ص ٣١٨ وأيضاً الاصطخري، نفس المصدر، ص ١٦٢ و١٦٧ وابن حوقل، نفس المصدر، ص ٣١٢.

(٢) انظر: G. Le strange, Loc. cit .

المسلمون سابقاً خلال العصور الوسطى قد تم التحقق منها حديثاً وتبين أنها شبه دقيقة.

لنبدأ الآن من فهرج الواقعة على الحد الصحراوي شرقي بَمْ ونرماسير في كرمان، يورد ابن خرداذبة مسافة ١٤ مسير من فهرج إلى فنزبور عاصمة مكران، ومن هناك وباتجاه الشرق يورد أسماء ثلاث محطات على الطريق إلى "قصدار"، ويورد المقدسي طريقاً شبه مواز للسابق لكن بالاتجاه المعاكس من قصدار إلى جوب أو نهر سليمان الذي يقع على مسافة ٢٠ فرسخاً شرقي بم، لكن هذا الطريق يتابع اتجاهه شمالاً عن فنزبور (بنجبور) عابراً جالك وخواش(١)، ومن تيز إلى كيز هناك مسافة ٥ مسيرات، ومن كيز إلى فنزبور (بنجبور) مسيرتين(٢)، ويوضح الاصطخري أنه لو بدأ المرء رحلته من كيز فستكون المسافة من بنجبور إلى دَرْك (دِزاك) ثلاثة أيام مسير، ومن درك إلى راسك ثلاثة أيام مسير، ومن راسك إلى فهلفهرة ثلاثة أيام مسير(٣)، ومن فهلفهرة إلى إصفقه يومين مسير(٤)، ومن إصفقه إلى بند (ربما بند الحديثة) يوم واحد مسير(٥)، ومن بند إلى بيه (بيه الحديثة) مسيرة يوم، ومن بيه

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يورد الإدريسي أن هناك فقط مسافة يومين مسيرة، انظر، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ص ١٧٥.

(٤) يورد الإدريسي المسافة بين دزك وإصفقه على أنها ٣ أيام مسير. انظر المرجع السابق، نفس الموضع.

(٥) يقول الإدريسي أن بند (بنت) تقع غربي إصفقه. وبما أن المسافة إلى بنت الحديثة تبلغ حوالي ١٥٠ - ١٦٠ ميل فمن المستحيل قطعها بمسيرة يوم واحد، لذلك لا بد من البحث عن بند القديمة في مكان آخر غير بنت الحديثة. ويقترح الكولونيل هيج أن يكون موقع بند في منتصف الطريق بين إصفقه وبيه (جيه الحديثة) ولكن هذا الاقتراح لا يعد مقبولاً أيضاً لأنه لا يتطابق مع موقعها في أدلة العصور الوسطى. وعلاوة على ذلك فإن المسافة بمجملها بين إصفقه وجيه تبلغ حوالي ٤٥ ميلاً وهذه المسافة لا يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أو مسيرتين إن اعتبرنا أن مسافة المسيرة الواحدة تتراوح بين ٤٠ - ٦٠ ميل.

إلى قصر قند[١] مسيرة يوم ومن قصرقند إلى كيه (ربما كيز أو كيج) أربعة أيام مسير[٢]. من كيز (كيج) إلى أرمائيل (أو أرمابيل وهي بيلا الحديثة)، ويقال أن المسافة من كيز (كيج) إلى أرمائيل (أو أرمابيل، بيلا الحديثة) تبلغ مسيرة ستة أيام، ومن أرمائيل إلى قنبلي تبلغ مسيرة يومين، ومن قنبلي إلى ديبل مسيرة أربعة أيام، والمسافة من كيز إلى البُدهه تبلغ مسيرة ١٠ أيام، ومن البدهه إلى تيز تبلغ مسيرة ١٥ يوماً، ومن تيز إلى قصدار مسيرة ١٣ يوماً[٣]، ومن قندابيل (بلدة البدهة) إلى مستنكَك - وهي مدينة باليش - مسيرة أربعة أيام، ومن قصدار إلى قندابيل حوالي ٥ فراسخ[٤]. والمسافة من طوران إلى قصدار مسيرة أربعة أيام ومن طوران إلى مستنكَكْ مسيرة ثلاثة أيام[٥]. والمسافة من ماسورجان (بلدة لم تحدد بعد تابعة لطويران[٦] ربما كانت طويران الموجودة في مكران كما أكد ذلك ابن خرداذبة)[٧] إلى بلدة طوران تبلغ ٤٢ ميلاً ومن ماسورجان إلى درك يامونه ١٤١ إلى فيربوز (بنجبور) ١٧٥ ميلاً[٨].

فيما يلي جدول يبين المسافات بين البلدات وذلك اعتماداً على المعلومات المستقاة من أدلة الرحالة

---

(١) الاصطخري، " مسالك الممالك "، ص ١٧٨.

(٢) ابن حوقل، "صورة الأرض"، ص٣٢٦. و T.H.Holdich, the Gates of India, p. 314

يعتبر هولديتش هذه المسافة أكثر التقديرات ملاءمة لتتطابق مع المسافة التي لا تتعدى ١٥٠ ميلاً بين الموقعين.

(٣) يورد المقدسي المسافة ١٢ يوماً لكن عن طريق الساحل. انظر " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ص ٤٨٦.

(٤) الاصطخري، " مسالك الممالك " ص ١٧٨ وابن حوقل، " صورة الأرض ".

(٥) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "، ص ١٨٠.

(٦) المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٧) ابن خرداذبة، " المسالك والممالك " ص ٥٥.

(٨) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "، نفس الموضع.

مـــن	إلـــى	المسافـــة	تعليـــق
فاهرج	بانجبور	١٤ يوم مسير	بانج جور الحديثة
تيز	كيز (كيتش)	٥ أيام مسير	-
كيز	بانجبور	٢ يوم مسير	-
بانجبور	درك (دِزك)	٣ أيام مسير	دزك الحديثة
درك (دِزَكْ)	راسك	٣ أيام مسير	بالقرب من سرباز ؟
راسك	فهلفهره	٣ أيام مسير(١)	فاهره شرقي بمبور
فهلفهره	إصفقه	٢ يوم مسير(٢)	-
إصفقه	بند	١ يوم مسير(٣)	بنت الحديثة ؟
بند	بيه	١ يوم مسير	جيه الحديثة
إصفقه	درك (دِزك)	٣ أيام مسير	-
بيه	قصرقند	١ يوم مسير(٤)	-
قصر قند	كيه (كيج)	٤ أيام مسير(٥)	-
كيج	أرمابيل	٦ أيام مسير	بيلا الحديثة
أرمابيل	قنبلي	٢ يوم مسير	-
قنبلي	ديبل	٤ أيام مسير	-

(١) يبلغ تقدير الإدريسي فقط (٢ يوم مسير) انظر ص ١٧٥ من كتاب الإدريسي . ويوردها تي . إتش . هولديتش ٨٠ ميلاً (انظر كتابه The Gates of India, p. 314)

(٢) يورد تي . إتش . هولديتش ١٦٠ ميلاً (المرجع السابق) .

(٣) يورد تي . إتش . هولديتش ١٥٠ - ١٦٠ ميلاً (المرجع السابق) .

(٤) يورد تي . إتش . هولديتش ٧٠ ميلاً (المرجع السابق) .

(٥) الإدريسي ، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ص ١٧٥ . أما تقدير تي . إتش . هولديتش فهو ١٥٠ ميل .

مـــــن	إلــــــى	المسافـــــة	تعليـــــق
كيج	بدهه	١٠ أيام مسير	ربما كان يعني قندابيل
بدهة	تيز	١٥ يوم مسير	بالقرب من سرباز ؟
تيز	قصدار	١٣ يوم مسير[١]	خوزدار الحديثة
قندابيل	مستكَك	٤ أيام مسير	ماستونغ الحديثة
قصدار	قندابيل	٥ أيام مسير	بنت الحديثة ؟
طوران	قصدار	٤ أيام مسير	طوران هي كالات
طوران	مستنكَك	٣ أيام مسير	الحديثة
ماسورجان	طوران	٤٢ ميل	-
ماسورجان	درك	١٤١ ميل	-
درك يامونه	بنجبور	١٧٥ ميل[٢]	-

(١) تقدير المقدسي في (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٤٨٦) ١٢ يوم مسير.

(٢) اعتمدنا في المسافة الخمسة الأخيرة على كتاب الإدريسي، ص ١٨٠.

الفصل الخامس

بلوتشستان في عصور الخلافة الإسلامية

الفتح الإسلامي لمكران وبلوتشستان

تم فتح مكران والسند[١] إبان المرحلة الأولى من الدولة الإسلامية عن طريق البر والبحر، لكن ما حققته الحملة البرية كان له الأثر الأكبر، ففي عام ١٥هـ (٦٣٦م) كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عين عثمان بن أبي العاص الثقفي - الذي كان والياً على الطائف آنذاك - عاملاً على عمان والبحرين[٢]، فأرسل عثمان أخاه الحكم ليمثله في تخوم البحرين (الحسا، أو الأحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية حالياً)[٣]. وقد نجح عثمان في فرض النظام والأمن وفي إخضاع كامل المنطقة تحت لواء الخليفة الراشدي، ويورد أبو يوسف أن عثمان جهز جيشاً ليغزو به تانه (تقع على الساحل الغربي للهند) وحالما فرغ من ذلك كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يخبره عن الحملة وأخبارها، لكن يبدو أن الخليفة - الذي كان يكره الحملات البحرية - لم يرتض تصرف عثمان هذا فعنفه على ذلك لأنه خاطر بأرواح الرجال إذ أركبهم البحر على سفن مصنوعة من الخشب[٤]، لكن

---

(١) يجب الإشارة إلى أن مكران ومجمل بلاد بلوتشستان كانتا تعدان من قبل الجغرافيين والمؤرخين العرب الأوائل على أنهما جزءان من السند أو الهند وهذا ما سنلحظه في المقتطفات التي نوردها هنا.

(٢) قارن: A.J. Cottrell, The Persian Gulf States, 2nd . imp. (Baltimore, 1980) p. XXIV, XXVIIIf.

(٣) البلاذري، " فتوح البلدان " تحقيق ر.م. رضوان (بيروت ١٩٧٨) ص ٤٢٠.
وانظر أيضاً : G.Rents & W.E. Mulligan، EI2، VOL.I. p. 941

(٤) ورد في نص عمر رضي الله عنه لعثمان: "يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود"، ويقال أن عمر رضي الله عنه كان لا يريد ركوب البحر لجند المسلمين ؛ وذلك - حسب تفسير القاضي أطهر المبارك فوري - لأن الرسول ﷺ وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما أغزيا فيه المسلمين. وفي الحقيقة أن عمر كان دائم التفكير بمصلحة رعيته وأحوالهم ويمكن أن نضيف أيضاً أن أهل مكة كانوا على غير دراية بشؤون البحار.

الأمر تم إذ أن عثمان أمر أخويه الحكم والمغيرة بقيادة حملتين بحريتين حيث يهاجم الحكم(١) "بروص"(٢) ويهاجم الثاني ثغر "الديبُل". وهناك في "الديبل"(٣) واجه المسلمون السنديين ووقعت معركة انهزم على أثرها السنديون(٤).

تذكر رواية البلاذري أن عثمان بن أبي العاص بعد أن استتب له الأمر في عمان والبحرين اختار أخاه الحكم ليقود جيشاً كبيراً مؤلفاً من قبائل عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجيه وآخرين، حيث أمرت هذه القوات بالإغارة على فارس من جهة الجنوب، وأثناء عبورهم الخليج احتلوا جزيرة تدعى "أَبْرَكاوان"، ومن ثم تابعوا

---

(١) انظر خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، (بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ص١٩٧. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص٢٦٦. وابن حجر العقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، تحقيق طه الزيني (القاهرة، ١٩٦٩م) ص٢٧١.

(٢) بَرُوص، يصعب حالياً تحديدها لقلة المعلومات والبحث، غير أن هناك مدينة تُسمّى "بروج" على الساحل الغربي لولاية كُجَرات التي ذكرها البحار النجدي المشهور أحمدين ماجد في كتابه "كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد" انظر الترجمة الإنجليزية للكتاب لـ G.R.Tabbetts نشر (لندن ١٩٧١م) ص٤٥٢. أما القاضي أطهر المباركبوري فيزعم ان "بروج" لا تزال معروفة حالياً في كَجرات باسم "بهروج"، انظر، رحال السند والهند إلى القرن السابع، ط١ (القاهرة ١٣٩٨هـ) ص٣٠، ولكن لابد من التحقق.

(٣) الديبل، أو ديبل، ثغر بحري يقع بالقرب من مصب نهر السند أو نهر مهران الذي يشق أراضي ما يعرف حالياً بدولة باكستان، ويذكر القاضي أطهر بأنها تقع جنوبي مدينة كراتشي على ثلاثة وعشرين ميلاً، ويقال لها اليوم "بهمبور" وظهرت آثارها بعد الحفر. وقدر لمؤلف هذا العمل ان يزورها ويقف عليها وهي كما ذكر القاضي من حيث الموقع، إلا انه ليس حولها سكنى بل آثار قديمة واطلال بسيطة.

(٤) البلاذري، "أنساب الأشراف" يجب الإشارة إلى أن رواية مماثلة لهذه وردت في كتاب تاريخ اليعقوبي الذي يذكر أن عثمان بن أبي العاص عين من قبل أبو بكر. وهذا ما يخالف جميع المؤرخين الآخرين لكن توضيح القاضي أطهر يبدو مقنعاً، إذ يعزو الاختلاف إلى خطأ في النسخ بين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

مسيرهم حتى وصلوا "تَوّجْ"(١) في بلاد "أردشير خُرّه" في إقليم فارس على ساحل الخليج ومن جهة أخرى، يذكر أبو مخنف أن عثمان هو الذي عبر الخليج، وقد حط على ساحل فارس وفتح "توّج" حيث أسس هناك المساجد وجعل المدينة مقراً لإقامة المسلمين، حيث أقامت قبيلة عبد القيس وقبائل عربية أخرى هناك. وكانت نيته غزو أرّجان(٢) ـ البلدة المجاورة لـ "توّج" ـ ولكن سرعان ما أمره الخليفة عمر رضي الله عنه بالعودة إلى المنطقة التي يحكمها (عمان والبحرين) وامتثالاً للأمر ترك أخاه الحكم ممثلاً له هناك وعاد هو إلى البحرين(٣).

ويؤيد علي بن حميد الكوفي رواية أبي مخنف بـ أن أول حملة إلى الهند والسند كانت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتحديداً سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦م)(٤). فبعد أن عين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي عاملاً على البحرين وعمان، وبعد أن استتب له الأمن هناك جهز عثمان بن أبي العاص سفنه وقواته تحت أمرة أخيه المغيرة بن أبي العاص، وأوعز إليه أن يسير إلى البحرين ليقود حملة من هناك وجهتها "ديبل"، التي كان ملكها حينئذ تشتش بن سيلائج، Chuch وكان سامه بن ديوائج ممثلاً له في ولاية مدينة "ديبل".

(١) لأجل معلومات عن "توّج" انظر ابن الفقيه، "كتاب البلدان"، تحقيق M.J.De Goeje. وانظر ابن خرداذبة "المسالك والممالك"، ص٤٤. ويقول الاصطخري أن (توّج) مدينة حارة جداً ومنخفضة وبيوتها مصنوعة من الطين وفيها الكثير من أشجار النخيل إلا أنها تعاني من الطقس السيء انهارت المدينة في القرن السادس الهجري وتحولت إلى أنقاض ولا يمكن تحديد موقعها الحقيقي الآن. انظر: G.Le Strange, The Lands of the E.C.P. 14, 259.

ومن أجل أبركاوان انظر المصدر السابق، ص ٢٦١، وهي تتطابق مع جزيرة قشم المعاصرة.

(٢) الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١١٢.

(٣) البلاذري، "فتوح البلدان" ص ٣٧٩ وخليفة بن خياط، "تاريخ خليفة بن خياط" تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت ١٩٧٧) ص ١٤٢ و١٥٢. انظر أيضاً القاضي اطهر، العقد الثمين، ص ٤٠.

(٤) يرد التاريخ في الترجمة الإنكليزية ١١هـ وهذا خطأ واضح جداً لأن عمر رضي الله عنه بويع بالخلافة سنة ١٢ هجرية. انظر: Chachnamah, p. 57.

ويقال أن الملك حكم لمدة ٣٥ عاماً، وأن غالبية سكان المدينة كانوا تجاراً. وعندما وصلت جيوش المسلمين إلى المدينة خرج حاكمها من قلعته ليواجه المسلمين. وبعد أن التقى الجيشان وجهاً لوجه "سل" المغيرة بن أبي العاص "سيفه منادياً باسم الله ومحارباً في سبيله وظل يقاتل حتى استشهد"(١).

وفيما يتعلق بالحملة البرية فهناك رواية ـ حسب نفس المصدر السابق ـ تورد أن أبا موسى الأشعري خلال فترة توليه العراق اختار الربيع بن زياد الحارثي قائداً لفرق الفرسان المتجهة إلى مكران وكرمان، وفي غضون ذلك كتب الخليفة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري طالباً أن يعلمه ما آلت إليه الأمور في الهند وكرمان(٢). فكان رد أبو موسى الأشعري ينبئ عن استشهاد المغيرة بن أبي العاص وعن ملك الهند الشديد البأس والظالم والذي ما انفك يبيت العداوة للمسلمين ويتهيأ للانقضاض عليهم، فهو لم يستجب إلى رسلهم(٣)، ونتيجة لذلك منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجيوش من التوغل أكثر في الهند(٤).

على أن رواية أخرى تؤكد أن الحكم بن أبي العاص فتح "توّج" سنة ١٩ للهجرة

(١) لا نوافق " فتح نامه السند " ـ تحقيق إن. أي بلوتش ص ٥٢ ـ على استشهاد المغيرة بن أبي العاص في ديبل لأن البلاذري يقول أن المغيرة انتصر هناك وكان على قيد الحياة بعد هذه الموقعة، انظر فصل الملاحظات والتعليقات في الششنامة، ص ٥٧ وانظر أيضاً القاضي أطهر في العقد الثمين، ص٤١.

(٢) انظر، " فتح نامة السند " ص ٥٢. يبدو أن الششنامة ص ٥٨ تستقي من مصدر آخر لأنها تورد أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عيّن عثمان بن أبي العاص ليقود حملة إلى العراق وأرسل الربيع ابن زياد الحارثي ليغير على كرمان ومكران. ولم تؤكد "فتح نامة السند" هذه المعلومات انظر القاضي أطهر. العقد الثمين، نفس الموضع.

(٣) انظر، "فتح نامة السند" ص٥٢. و"الششنامة" ص ٥٨ والقاضي أطهر، نفس المصدر، ص ٤١.

(٤) البلاذري، " فتوح البلدان " ص٤٢١. والطبري، " تاريخ الرسل والملوك " الجزء الرابع تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٧٠ ص ١٨٢). وابن الأثير، " الكامل في التاريخ " الجزء الثالث (بيروت ١٩٧٩) ص٤٥ و "فتح نامة السند" ص ٥٤ وص٣٩ وأيضاً الدينوري، "الأخبار الطوال" تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٣٣.

(٦٤٠م) وهيأ الاستقرار لقبيلة عبد القيس هناك، بعد ذلك أصبحت "توج" قاعدة للمسلمين يشنون منها هجماتهم على فارس وإيران والهند في فصل الصيف، ويمكثون فيها خلال فصل الشتاء[١]، وترافق هذا الفتح مع حملات طالت سيجستان (سيستان) وكرمان ومكران انطلاقاً من مدينة البصرة.

وترينا المعلومات التي أوردناها أن المحاولات الأولى لغزو مكران وبلوتشستان، وحتى محاولات غزو السند والهند، وأنها بدأت إبان عصر الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين عامي ١٥ و ١٩ للهجرة (٦٣٦-٦٤٠م)، وقد انطلقت هذه الغزوات عبر البحر حيث ضمن استمراريتها عثمان بن أبي العاص الثقفي العامل على عمان والبحرين آنذاك، بالرغم من ممانعة الخليفة له بذلك، واستهدفت المناطق العليا من الهند أي الحدود الجنوبية لوادي السند وجنوب شرق فارس، ولم تحصد الحملات البحرية الكثير إن هي قورنت مع الحملات البرية، وكان قوام هذه الحملات القبائل العربية الموجودة في البحرين وعمان وتحديداً قبائل عبد القيس وبنو ناجية والأزد وتميم، وبتحقيق النصر في توج ساعدت هذه الحملات في تقدم العرب إلى السواحل الجنوبية لفارس ليؤسسوا هناك قواعد جديده مركزها توج، ينطلقون منها في عملياتهم العسكرية المستقبلية إلى إيران ومكران والسند.

وفيما يتعلق بالغزو البري لمكران وبلوتشستان فإن المسلمين قوضوا الإمبراطورية الساسانية باستخدام أشد الإجراءات العسكرية صرامة، ونتيجة لمعركتي القادسية سنة ١٨ هجرية، ونهاوند سنة ٢١ هجرية، تمكنت جيوش المسلمين من التوغل في إيران على جميع الأصعدة، ويروي الطبري أن الخليفة الراشدي عمر الخطاب رضي الله عنه سمح لقواده في العراق بتوسيع نطاق عملياتهم العسكرية لتشمل فارس، وبالمشاورة مع الأحنف بن قيس عين عمر رضي الله عنه قواده وقواته التي ضمت آنذاك

---

(١) خليفة ابن خياط، "تاريخ ابن خياط"، ص ١٤١ و١٤٩ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٧٨ والذهبي، "تاريخ الإسلام"، الجزء الثاني، (القاهرة ١٩٤٨) ص ٣٩.

رجالاً من البصرة والكوفة وطالبهم بالرجوع إليه في كل أمر يبتغونه، وأمر أيضاً أبو موسى الأشعري، عامل الخليفة على البصرة، مرافقة هذه الجيوش حتى آخر حدود البصرة، وأرسل عمر رضي الله عنه الرايات مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل، وسلمت الرايات للقواد فعقدت راية خراسان إلى الأحنف، وراية أردشير خرّه وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، وراية اصطخر إلى عثمان بن العاص الثقفي، وراية كرمان إلى سهيل بن عدي نفسه، وراية مكران إلى الحكم بن عمر التغلبي(١)، بعدها كان على الجيوش المكوث في أماكنها لغاية الجزء الأخير من سنة ١٧ للهجرة بانتظار المزيد من الترتيبات والتجهيزات من أجل انطلاقها في أوائل سنة ١٨ للهجرة. وخلال هذه الفترة زودهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمزيد من جنود الكوفة فمثلاً أمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عتبة وأمدّ الحكم ابن عمر بشهاب بن مخارق المازني(٢).

ويرد أيضاً أنه في سنة ١٧ للهجرة أن العلاء بن الحضرمي شنّ هجوماً على فارس من البحرين، وذلك بمعاونة "الجارود بن المعلا" و"سوار بن همام" و"خليد بن المنذر بن ساوي"، وأنهم عبروا البحر إلى فارس ومنها توغلوا حتى وصلوا اصطخر: ويقال أن حافز العلاء كان منافسة سعد بن أبي وقاص الذي فتح العراق وهزم القوات الفارسية في موقعة القادسية(٣)، وتبدو المعلومة غير دقيقة وعلى خلاف الروايات المتواترة: لأنه في عام ١٧ للهجرة كان عثمان بن أبي العاص هو الحاكم العام على البحرين وعمان واليمامة(٤)، ولم يؤكّد ما إذا كان عين العلاء بن الحضرمي ممثلاً له في البحرين، بل على العكس فما تذكره المصادر بأن عثمان

(١) ابن حجر، " الإصابة "، جزء ١، ص ٢٧٤.

(٢) الطبري، "تاريخ الرسل والملوك"،جزء ٤ ص ٩٤ والقاضي أطهر، العقد الثمين، ص٤٧ وله أيضاً، " رجال السند والهند "، جزء ٢ (القاهرة ١٩٧٨)، ص ٣٢٤.

(٣) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ" جزء ٤، دار الكتاب العربي، (بيروت ١٩٨٥) ص ٣٧٦.

(٤) المصدر السابق. ص٣٨٨ و ٣٩٤، والدينوري، "الأخبار الطوال" ص ١٣٣.

نصّب أخاه الحكم على شؤون البحرين. ولو حصل ذلك التعيين فعلاً لكان العلاء غير قادر على تسيير حملة كهذه دون إذن قائده المباشر(١).

وبين عامي ١٨ و٢٣ هجرية لا نجد معلومات تحدد زمن الحملات التي استهدفت كرمان ومكران بدقة، وبالرجوع إلى الطبري وغيره من المؤرخين من أجل تحديد سنة الشروع في غزو كرمان ومكران تبدو المعلومات تتأرجح بين أعوام ١٨ و٢٣ للهجرة: ولكننا نستطيع القول إن هذه الحملات استمرت واحدة تلو الأخرى بين عامي ١٨ و٢٣ إذ كان يجب التخطيط لها بدقة وتنفيذها على مراحل.

يورد الطبري أن سهيل بن عدي توجه إلى كرمان(٢) يتبعه عبدالله بن عبدالله ابن عتبة كما كان مخططاً له، وقد نصب سهيل بن عدي النصير بن ديسم بن ثور العجلي(٣) على طليعة جيشه، وبالمقابل كانت كرمان قد حشدت قوات ضخمة من بينها قبيلة القفص لصد هجوم قوات المسلمين، فأسفر ذلك عن قتال مرير بين الطرفين في تخوم كرمان نجم عنه تقهقر القوات الفارسية وانهزامها ومقتل المرزبان الساساني (حاكم كرمان) وإخضاع كامل المنطقة للنفوذ الإسلامي، وبعد ذلك دخل سهيل وقواته "جِيْرُفْتْ" عن طريق يعرفه المسلمون باسم الكورة (قد تكون قرية دار فريد) ودخلها عبد الله بن عبد الله بن عتبة من جهة أخرى، ومع توغل المسلمين في كرمان بدأوا احتلال مدن هامة مثل سِيرْجان وكِرْمان وبَم وجيرُفت و"هرمز"(٤).

---

(١) ابن الأثير، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص ٣٥٤ و ٣٦٧ و٣٨٨ و٣٩٤.

(٢) لعل لفظي كَرْمَان وكِرْمَان (بفتح الكاف أو كسرها) مؤكدتان ومقبولتان باللغة العربية وتم تأكيد اللفظ الأول في المصادر الإغريقية أيضاً حيث جاء كَرْمانيا.

(٣) ابن حزم، "جمهرة أنساب العرب" ص٣١٣. يقول ابن حزم نُصَير بن ديسم بن ثور لكن نصير ابن عمر خطأ شائع. الطبري، نفس المصدر، ص١٨٠ وابن حجر، "الإصابة"، جزء ٣ ص ٥٥٣ والقاضي أطهر، "العقد الثمين"، ص ٦٦.

(٤) الطبري، نفس المصدر، ونفس الموضع، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٣ ص ٤٣، وانظر أيضاً: C.E. Bosworth . Sistan under the Arabs (Rome 1968) p. 13 .

ويذكر المدائني ـ في تاريخه المفقود عن بلاد السند ـ أن فاتح كرمان كان عبدالله ابن بديل بن ورقاء الخزاعــي في زمن الخليفـة عمر بن الخطاب ﵁، وبعد أن احتل "الطبسين" طلب من الخليفة أن يمنحه إياها لكن الخليفة ـ لسبب ما ـ رفض طلبه(١).

ومن جهة أخرى، تقدم الحكم بن عمر التغلبي إلى مكران وحال وصوله الإقليم انضمت إليه قوات شهاب بن المخارق وقوات سهيل بن عدي، قائد قوات كرمان، ومعاونه عبد الله بن عبد الله بن عتبه، وسرعان ما اكتسحت هذه القوات مكران بسرعة ويسر، إذ لـم يذكر أحد من المؤرخين وخصوصاً الطبري أية عقبة عرقلت سير المسلمين في مكران، ومن المؤكد أن المسلمين تابعوا تقدمهم حتى وصلوا تخوم السند، إذ يذكر الطبري أنهم وصلوا إلى صقع يقع دون النهر لاذ إليه الفارون من مكران(٢)، وهناك وبالقرب من النهر عسكرت قوات المسلمين، وعبر ملك الهند، تْشَتْشْ بن سيلائج(٣) ـ حسب رواية علي بن حامد الكوفي ـ النهر لينقذ الهاربين، وبعد أن أعد عدته حمل على المسلمين فوقعت معركة في منطقة تقع على مسافة ثلاثة أيام مسير من النهر ـ انهزم فيها الملك راج تْشَتْشْ Chuch وجيوشه، وقتل عدد لا بأس به من جنوده وطاردت قوات المسلمين فلولهم حتى قفلوا عائدين

(١) الطبـري، "تاريـخ الرسـل والملـوك"، ص ١٨٠، وابـن الأثيـر، "الكامـل في التاريخ"، ص٤٣.

(٢) حسب معرفة مؤلف هذا العمل فيبدو أن القوات الإسلامية العربية وصلت إلى نهر السند وتتضح الإشارة إلى أن نهر السند أو (مهران) فيما قاله الشاعر وهو الحكم بن عمرو التغلبي نفسه:

ومهران لنا فيما أردنـا مطيع غير مسترخي العنان
فلولا ما نهى عنه أميري قطعناه إلى البددَ الزوانـي

انظر الطبري، نفس المصدر، الجزء الرابع ص ١٨١ ـ ١٨٣ وابن الأثير، نفس المصدر، الجزء الثالث ص ١٨ وأيضاً تاريخ ابن خلدون، كما ورد الاستشهاد منه لدى القاضي أطهر وانظر ياقوت الحموي "معجم البلدان"، جزء٤ ص ٦١٢.

(٣) يرد اسم ملك السند عند الطبري راسل ولكن لا يوجد أي ملك خلال تلك الحقبة يحمل هذا الاسم وربما يكون اسم راسل هو التشكيل العربي للقب راج. انظر، تاريـخ الرسـل والملـوك، جـزء ٤، ص ١٨١، ١٨٢.

إلى ما وراء النهر: وهناك ظفر المسلمون بالكثير من الغنائم، وكان من بينها بعض الفيلة، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى مكران، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدي إلى عمر رضي الله عنه أخبره بأمر الفتوحات، فطلب منه عمر رضي الله عنه وصفاً دقيقاً عن أحوال مكران، فأجابه صحار بقوله: "يا أمير المؤمنين: أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوّها بطل ووخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شرٌّ منها"(١).

وعندما سمع عمر رضي الله عنه ما رواه صحار أمر الحكم أن يثبت فيما وصل إليه وألا يتقدم إلى ما وراء مكران(٢).

ثم تظهر مكران إبان فترة الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ ـ ٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م) تابعة للدولة الإسلامية وحاكمها يتبع والي العراق وحواضره المقيم في البصرة، فبعد أن بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة أمر بإبقاء أبي موسى الأشعري والياً على البصرة، حيث أمضى أبو موسى ثلاث سنين في منصبه لكنه أقصي عنه في السنة الرابعة، وعين عثمان رضي الله عنه أيضاً العديد من القواد ليرعوا شؤون مختلف الولايات، وكان عبيد الله بن معمر التيمي والياً على مكران، ويقال بأن عبيد الله أقر النظام وفرض الطاعة وتوغل في البلاد حتى وصل إلى النهر (أي نهر السند)(٣) وبعدها في سنة ٢٩هـ وجه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عبيد الله إلى فارس، وعين كندير القشيري عاملاً على ثغور مكران وبقي بذلك المنصب حتى وفاة عثمان رضي الله عنه في ٣٥هـ / ٦٥٥ ـ ٦٥٦م(٤).

---

(١) الحميري، " الروض المعطار في خبر الأقطار "، ص ٢٨ والطبري، نفس المصدر، جزء ٤ ص ١٨٢ وابن حجر، نفس المصدر، ص ١٢٢ و١٢٦.

(٢) الحميري، نفس المصدر، نفس الموضع، والطبري، نفس المصدر، نفس الموضع. وابن الأثير، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص ٤٥. وانظر IGI2, VOL.VI, p. 275

(٣) الطبري، نفس المصدر، جزء ٤ ص ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٣ ص ١٠٠ و١٠٢، وأيضاً قاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٧٠.

ورد أنه في عام ٣١هـ / ٦٥١ - ٦٥٢م حدثت قلاقل واضطرابات في كرمان، وقد تصدى لها والي العراق آنذاك عبدالله بن عامر بن كُرَيز، فأعاد غزو كرمان، وعين مجاشع بن مسعود السلمي - الذي جاس المنطقة بكاملها - حاكماً عليها، ومد نفوذه حتى شمل سيرجان وجيرُفت وبردسير. ويذكر أنه اتجه ناحية الجنوب إلى بلاد القفص حتى وصل إلى هرمز فشن الحرب ضد اللاجئين الفارسيين الموجودين هناك بكثرة إثر فرارهم من كرمان مما اضطرهم إلى التفرق في جميع الجهات، فلاذ بعضهم بموازاة ساحل مكران، وبعضهم ركب البحر[١]، وآخرون انطلقوا إلى سجستان (سيستان) فصادر المسلمون بيوتهم وأراضيهم، واستقروا فيها فزرعوا الأراضي وشقوا الأقنية[٢].

وتطلّع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلاد الواقعة شرقي مكران، فنعلم من التْشَتْشنامه (Chuchnama) بأنه قبيل إرساله جيشاً إلى السند والهند أوعز لعبدالله ابن عامر بن كريز أن يرسل رجلاً حاذقاً وحكيماً وصادقاً ليستطلع البلاد والعباد. فاختار حكيم[٣] - بضم الحاء - بن جبلة[٤] العبدي لهذه المهمة، وكان حكيم هذا شاعراً[٥]، وبعد أن فرغ حكيم من مهمته في الهند عاد إلى المدينة ليطلع الخليفة على ما رأى وسمع، فلما مثل أمام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "ماؤها

---

(١) البلاذري، " فتوح البلدان "، ص ٣٨٣، وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جزء ٣، ص ١٢٧ وانظر: C.E.Bosworth, " The Kufichis or Qufs in Persia History , " p.12

(٢) البلاذري، نفس المصدر، ص ٣٨٤ وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٧٠.

(٣) يرد اسم حكيم بضم الحاء في " الششنامة" وهو خطأ ص ٥٨ والصحيح ما أورد خليفة ابن خياط في كتابه " تاريخ خليفة ابن خياط "، ص ١٨٠ حكيم بفتح الحاء انظر فتحنامه السند ص ٥٣ وابن ماكولا، "الإكمال "، جزء ١، ص ١٨ ؛ وابن الأثير، " أسد الغابة "، جزء ١ (القاهرة ١٨٦٨) ص ٣٩.

(٤) وردت ترجمة اسم جبلة خطأ في " الششنامة " حيلة وقد يكون السبب قلة الدقة في النسخ. انظر خليفة ابن خياط.

(٥) انظر " فتحنامة " ص ٥٣ والششنامة " ص ٥٨، وقاضي أطهر، العقد الثمين، ص ٦٩.

وشـل [١] ولصها بطـل وتمرها دقل [٢]، إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا "[٣] وحسب ما ورد في فتحنامه السند "تشتشنامة" فإن عثمان سأله عما إذا كانت أهالي البلاد باقية على العهود والمواثيق أم أنها سلكت في غير ذلك، فأجابه حكيم بأنهم ختّالون ومخادعون، ويروى أن عثمان نتيجة لما سمع لم يرسل جيشاً إلى هناك خلال ما تبقت له من سنين[٤].

تكتنف هذه الرواية الشكوك وعدم المصداقية، فأولاً تتشابه عبارة حكيم مع العبارة التي وردت على لسان صحار العبدي أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثانياً من الصعب على شخص بمفرده أن يجمع كل هذه المعلومات في فترة وجيزة، وبعبارة أخرى، لا بد من وجود نفر من المستطلعين يرافقون حكيم فمن المثير للجدل أن ينبري أي شخص لمهمة كهذه، ويجمع كل المعلومات الضرورية عن أناس يعيشون في بلد كبير مثل الهند، ويعود ليصف مجمل ما رآه في عبارة بليغة مقتضبة.

وعلى الرغم من القلاقل التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي استمرت في زمن خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان هناك بعض الجهود لتوسيع نطاق السيطرة الإسلامية شرقي مكران، فيورد خليفة بن خياط أنه في سنة ٣٦/٦٥٦ - ٦٥٧م حشد الحارث بن مرة العبدي الجموع لغزو الهند - أي مجمل المنطقة الواقعة شرقي مكران - فقصد بلاد قندابيل واقتحم جبال قيقان، فحظي المسلمون بالكثير من الغنائم لكن القيقانيين حاصروا المسلمين في إحدى المناطق وأثخنوا فيهم الجراح[٥]،

---

(١) وشل : الماء القليل المتقطر قطرة قطرة.

(٢) دقل : أردأ أنواع التمر.

(٣) انظر خليفة بن خياط، نفس المصدر، نفس الموضع؛ والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٠ والششنامة ص ٥٩ . BDGS, VOL.VII, p. 43.

(٤) يختلط اسم حكيم في الششنامة مع اسم عبدالله بن عامر والي العراق الذي انتدب الحكيم.

(٥) "تاريخ خليفة ابن خياط" ص ١٩١ و ٢٠٠ ويذكر أن الحارث بن مرة كان والياً على السند، (مكران وبلوتشستان) ويقال أيضاً بأن الناس المقيمين خلف الحدود فاجأوا الحارث بن مرة وشنوا عليه هجوماً ما نجا منه إلا القليل من المسلمين، فأوقفوا تقدمهم حتى أيام معاوية.

ويبدو مما سبق أن الحارث بن مرة العبدي حكم مكران وبلوتشستان سنة واحدة فقط، وكان ذلك عام ٣٦ للهجرة، ثم أمَّرَهُ الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على العراق، وبعد ذلك بعام أي سنة ٣٧هـ نجده ـ فيما ورد من معلومات ـ يترأس أحد جيوش علي في معركة صفين(١)، ويحتمل أن الحارث خلف وراءه أحد الأشخاص ليتولى أمور مكران، لكن ما من مؤرخ إسلامي ذكر اسم ذلك الحاكم، وبعد ذلك بسنتين ـ عام ٣٩ للهجرة ـ يغير الحارث على الهند بعد أن أذن علي له بذلك ويحقق نجاحاً ساحقاً في قيقان لدرجة أنه استطاع توزيع ١٠٠٠ رأس من الرقيق في يوم واحد لكثرة ما جمعه من الغنائم والأسرى(٢)، ويورد علي بن حامد الكوفي المصدر الوحيد الذي أورد أخبار غزو السند(٣) ـ أن الحارث قاد فقط نخبة من الفرسان انتقاها من الجيش الذي كان تحت إمرة ثاغر بن ذعر، ويورد قائلاً: "عن.............. أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجه ثاغر بن ذُعر إلى الهند في نهاية سنة ٣٨هـ "(٤) ليقود حملة على الهند، وقد تبع جيشه العديد من أشراف الرجال والأتباع واتخذوا طريق " فَهْرَج " قاصدين جبل بايه(٥)، وكانوا يحرزون النصر تلو النصر، وكان بين جيوش المسلمين الحارث بن مرة مع ثلاثة من الموالي يرافقونه، وقد أبلى بلاءً حسناً في الحرب. وعندما حل ثاغر بن ذعر في مكران كانت أهالي قيقان(٦) قد اتحدت مع قوات من أهالي جبل بايه ليصبح عدد قوات

---

(١) ابن خياط، نفس المصدر، ص ١٩٣، والدينوري، "الأخبار الطوال" ص ١٧١، وقاضي أطهر، العقد الثمين، ص٨٤.

(٢) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢١، وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٨٣.

(٣) يجب الإشارة إلى أن هذا المؤلف قد ترجم كتابه فعلاً عن أصل عربي ضائع لمؤلف آخر يعتقد أنه المدائني.

(٤) فتحنامة السند، ص ٥٤ وششنامة، ص ٦٠.

(٥) لم يحدد هذا المكان ولم يورد أيٌّ من الجغرافيين المسلمين.

(٦) " الششنامة " ص ٦٠.

قيقان نحو ٢٠,٠٠٠ مقاتلاً، وسرعان ما نشب القتال بين الفريقين[١]، وهاجم المسلمون بكل قوتهم فتحقق لهم النصر ودحروا قوات قيقان وشتتوها. لكن يبدو أن القيقانيين وحلفاءهم لم يذعنوا ويستسلموا بل عملوا على إعادة تجميع قواتهم وتهيأوا لإيقاف زحف المسلمين، ولكن حالما رآهم المسلمون نادوا بصوت واحد "الله أكبر" حتى انتشر صدى صوتهم في جميع أرجاء البلاد فخشع أهالي قيقان فلاذ بعضهم بالفرار وبعضهم أمن نفسه واعتنق الإسلام. وخلال تلك الأيام علم المسلمون بقتل علي كرّم الله وجهه فعادوا أدراجهم إلى مكران[٢]، إلا أن اسم القائد ثاغر بن ذعر لم يرد في أي من أعمال المؤرخين الإسلاميين الأوائل لذلك من الدقة أن نفترض أن مكران وبلوتشستان كانت تحت نفوذ السلطة الخلافية في زمن علي، وقد مثل الحارث بن مرّة العبدي هذه السلطة حيث بدا وكأنه عمل لصالح علي وابنه الحسن رضي الله عنهما في عام ٤١هـ وخلال السنة الأولى من حكم الخليفة الأموي معاوية، قتل الحارث في سنة ٤٢هـ أثناء قيام معركة ضد القيقانيين[٣].

ويبدو أن مكران أصبحت مقراً لحاكم البلاد قاطبة بما فيها المناطق الجديدة التي خضعت لسيطرة القوات الإسلامية التي كانت تعرف باسم السند، وهي في الحقيقة أجزاء من بلوتشستان الحالية[٤]، ولكن تبقى المدينة التي استقر فيها الحاكم طي المجهول.

---

(١) يرد في "فتحنامة السند" ص ٥٥ أن هذه المعركة وقعت سنة ٤٢ للهجرة إبان خلافة علي رضي الله عنه. ويعد هذا الإيراد خطأ لأن علي كان قد مات قبل سنتين من ذلك التاريخ إلا أن هذه الرواية لا ترد في " الششنامة ".

(٢) " فتحنامة السند"، ص ٥٤، و"ششنامة"، ص ٦٠، وانظر أيضاً قاضي أطهر، نفس المرجع، ص٨٢.

(٣) البلاذري، " فتوح البلدان " ص٤٢١.

(٤) انظر: BDGS, VOL.VII, p. 43

٢- المرحلة الأموية :

بعد أن سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هجرية تحققت الوحدة السياسية للدولة الإسلامية وتوقفت الحرب الأهلية فيما بين الفرق الإسلامية، فبدأ معاوية يتطلع إلى مكران وبلوتشستان وبدأ يعد العدة لغزوهما من جديد، ويعلمنا البلاذري عن هجوم استهدف أرمابيل أو أرمائيل، وكان على رأس الجيش آنذاك عمر بن عبيد الله بن مُعَمَّر التيمي، وقد سبق لوالده أن عمل لصالح الخليفة عثمان رضي الله عنه(١)، وحسب ما أورده خليفة بن خياط ومؤرخون آخرون فإن عبدالله بن عامر أوكل إلى راشد بن عمرو الجُديدي سنة ٤٢ للهجرة شؤون المنطقة الشرقية خلف مكران أي ثغور الهند، وهناك شن راشد الهجوم تلو الهجوم وتوغل أكثر في السند (من المحتمل أن تكون منطقة قيقان؛ أي سَرَوان من بلاد بلوتشستان الحالية)(٢) ومن ثم يغيب ذكر راشد ليخلفه عبدالله ابن سوار العبدي الذي عين بعد سنة تلت أي سنة ٤٣ هجرية.

وبعد سنة أخرى تشير المصادر إلى أن المهلب بن أبي صفرة غزا قيقان وتقدم نحو قندابيل، ويبدو أنه انطلاقاً منها اتجه شمالاً لكي يخضع بتّة والاهور(٣)، ويؤكد البلاذري أن المهلب بن أبي صفرة غزا بنّة والأهواز(٤) اللتين تقعان على السفوح الدنيا من جبل كابول(٥)، حيث جابه هناك قوات الأعداء وانتصر عليهم،

---

(١) البلاذري، نفس المصدر، ص ٣٨٨ كما أورده قاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٨٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٥، الذهبي، العبر في خبر من غبر، جـ١، (الكويت، ١٩٦٠م) ص٥١، شذرات الذهب، جـ ١ (القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١ - ٣٢)، ص ٥٣ .

(٣) لم يحدد موقع بتّة بعد (تكتب باته أحياناً) لكن قاضي أطهر يورد أن هناك بلدة تدعى ناب كوهات في باكستان. وفيما يتعلق بالاهور أو الأهواز وتحديدها بأنها هي ذاتها لاهور الحديثة كما اقترح ذلك أطهر فإن المعلومات لم توضح بعد، قاضي أطهر. ص٨٩.

(٤) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٥) ابن خياط، نفس المصدر، ص٢٠٦ والبلاذري نفس المصدر، ص ٤٢١، وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص٩٢.

وتشهد هذه المعلومات على مدى تقدم وتوغل العرب في المناطق الداخلية خلف الحدود الفعلية لبلوتشستان الحديثة، ولكن ابن خياط والبلاذري يستخدمان كلمة غزا التي تعني في اللغة العربية مجرد حملة ناجحة وليست بالضرورة فتحاً كاملاً(١)، وقد يعني هذا أيضاً أن المسلمين حتى تلك الأوقات لم يخضعوا كامل منطقة بلوتشستان.

ومرة أخرى يرد أن عبدالله بن عامر عيّن عبدالله بن سوار العبدي سنة ٤٥ هجرية ليرعى شؤون السند، ولكن الششنامة تؤكد أن معاوية هو من انتدب بن سوار مع قوة مؤلفة من ٤٠٠٠ رجل ليكون والياً وقائداً عاماً على تلك الأجزاء، كما تورد أنه "يوجد في بلاد السند جبل يدعى كيكان (قيقان) وفيها خيول ضخمة وجميلة، وكانت فيما مضى ترسل الجزية والخراج لمركز الخلافة، أما شعوب تلك البلاد فهي مخادعة وأصبحت تحت حماية ذلك الجبل عدائية ومتمردة"(٢).

وعندما وصل عبدالله إلى قيقان هاجمتهم قوات الأعداء، لكن جيش المسلمين تصدى لهم وغنم الكثير منهم، فقد تجمعت قوات قيقان في أعداد كبيرة وملأت ممرات الجبل وتطورت المعركة حتى بلغت أوجها فوجد عبدالله بن سوار ضرورة الاحتفاظ برجاله على نسق، فما كان منه إلا أن وقف أمام حشد من رجاله الأشداء بكامل عدتهم الحربية، وحثهم على مواصلة القتال وعدم التخاذل قائلاً: "يا أبناء صحابة الرسول لا تديروا وجوهكم عن الكفار فيظل إيمانكم بعيداً عن أي نقيصة وتنالوا شرف الشهادة في سبيل الله" وبسماع الكلمات هذه اجتمع الرجال حوله وحول قواده المحيطين به، فانبرى رجل من قبيلة عبد القيس متحدياً في نزال منفرد فسارع قائد جيوش الأعداء ونازله ثم تبعه آخر يدعى ياسر بن سوار وهو أيضاً من قبيلة عبد القيس، بعدها قتل قائد جيش العدو فهجمت قوات المسلمين هجمة

(١) "الششنامة" ص٦٢ و"فتحنامة السند" ص٥٦.

(٢) "الششنامة" ص٦١ و"فتحنامة السند" ص ٥٦ والبلاذري، "فتوح البلدان" ص ٤٢١.

واحدة لتموج كل المنطقة الجبلية تحت وقع أقدام المحاربين وسرعان ما تحقق النصر للمسلمين فهزموا القيقانيين، وبعد تحقيق النصر عادوا أدراجهم إلى مكران، ويروى أن عبدالله بن سوار خلف حَرَز ابن كَرَز العبدي نائباً له على منطقة مكران، واتجه هو إلى دمشق حاملاً الغنائم إلى الخليفة معاوية ومن بينها حصان فريد من نوعه ليعيده الخليفة مرة ثانية إلى السند ليكمل أعماله هناك(١).

وهناك رواية أخرى مفادها أنه سنة ٤٧ هجرية قاد عبدالله بن سوار حملة قوامها ٤٠٠٠ رجل إلى قيقان، لكن الترك هذه المرة هم من تصدوا له ـ حسب هذه الرواية ـ وقد تجمعوا وقاوموا جيوش المسلمين في معركة دامية نجم عنها استشهاد القائد المسلم عبدالله بن سوار مع الكثير من قادته وجنده، وأما من بقي فانسحب عائداً إلى مكران(٢).

وبعد أن علم الخليفة معاوية بن أبي سفيان بمقتل عبدالله بن سوار وبعض من قادة جنده حث والي العراق آنذاك زياد بن أبي سفيان على تعيين رجل مناسب وموثوق قادر على التعامل مع شؤون الثغور الهندية (مكران وبلوتشستان). ويروى أن زياد اقترح شخصين هما الأحنف بن قيس وسنان بن سلمة، ولكن حسب ما ورد في الششنامة فإن زياد عين الأحنف لأن الجميع يحبونه ويطيعونه وكان مثالاً للشرف والأخلاق، فكان أن اتجه الأحنف إلى بلوتشستان وبقي هناك مدة سنتين، ثم أُعفي عن منصبه(٣).

وحسب رواية البلاذري يورد أن معاوية فضل تعيين سنان بن سلمة بن مُحَبِّق الهُذلي(٤) عاملاً على ثغور الهند، ويبدو أن المهمة كانت حفظ الأمن وفرض

---

(١) تْشَتْشْنامه، ص٦١، وفتحنامة سند، ث٥٦، قارن البلاذري، نفس المصدر، ص٤٢١.

(٢) ابن خياط، " تاريخ ابن خياط " ص ٢٠٨، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢١.

(٣) ابن حجر، " الإصابة " جزء ٤، ٣١٨ - ٣٢٠ وجزء ٥ ص ٣٨، وابن خياط، "كتاب الطبقات"، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت ١٩٦٨) ص ١٩٢.

(٤) اليعقوبي : " تاريخ اليعقوبي " جزء٢ ص ٢٧٨، والبلاذري، " فتوح البلدان " ص ٤٢٢.

الطاعة وتمكين المسلمين من العيش هناك. ويُذكر أن سنان دخل مكران بالقوة وضبط أمورها بنجاح وتابع تأسيس وبناء الدور والمساكن وفرض الأمن والنظام، ويروى أنه مكث هناك سنتين (٤٨ - ٥٠ هجرية)(١) وبعدها صرف من منصبه، وعُيِّن بدلاً عنه راشد بن عمرو الجديدي سنة ٥٠ للهجرة، ولم يستمر الأخير هو الآخر طويلاً هناك.

ويروي علي بن حامد الكوفي أن معاوية بن أبي سفيان طلب راشد بن عمرو، وهو رجل ذو شرف وهمة، وأجلسه قربه ليستشيره بأمور الهند، ومن ثم استدار إلى قواده قائلاً: إن راشد رجل شريف وعليهم أن يطيعوه ويناصروه في مبتغاه ويؤازروه في حملاته وألا ينفضوا عنه، وبعد ذلك يغادر راشد إلى مكران فيقابل سنان وبعض وجهاء العرب فيجد راشد سناناً رجلاً قوياً ومثالاً يحتذى به فيثني عليه ويؤكد بأن سنان ممن يستحق أن يُطاع. ويجلسان سوية يناقشان أمور البلاد، فقد أمر معاوية سنان أن يعلم راشد بكل صغيرة وكبيرة حول الثغور وبعدما تم لراشد جمع المعلومات التي يريدها قرر أن يحمل على سكان جبل البايه من أجل أن يدفعوا جزية ثابتة(٢)، ومن ثم يتوجه إلى قيقان ويغير عليها ليحقق المكاسب والغنائم الكثيرة وليطوع العصاة والمتمردين(٣).

وبعد سنة من تلك الحملة قام راشد بحملة أخرى "عن طريق سيستان" على العصاة ومثيري القلاقل والفتن - يبدو من هذا السياق أن موقع المعركة كان في جزء من الطريق بين قيقان وفَهْرَج(٤) ضمن كرمان - وحالما يصل جبل منذر(٥) وفهرج

(١) " فتحنامة السند " ص ٥٩.

(٢) " المصدر السابق " ص ٥٩.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) الشكل العربي الصحيح هو " فهرج " لكنها ترد في " الششنامة " ص ٦٠ و٦٤ و ١٧٤ "بهرج" بباء أعجمية مثقلة في النطق مثل "P" في الإنجليزية، وكذلك في "فتحنامة السند" ص٥٩.

(٥) لم يحدد هذا المكان ويرد في " الششنامة " تحت اسم موزر.

يتصدى له جيش حشده أهل البلاد يقدر بنحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل فتغلق عليه الدروب لتأجج نار المعركة ولتدوم من صلاة الفجر حتى صلاة العصر، ويستشهد راشد ويخلفه فوراً سنان ابن محَبِّق الهذلي في قيادة الجيش(١).

وحسب ما ورد في رواية أخرى ـ يحتمل أنها سابقة لهذه ـ فإن راشد بن عمرو غزا قيقان وتوغل في السند وهاجم بلاد السند أو الميد(٢) (يرجح أنها الحدود الدنيا لإقليم جَلَوان على مقربة من "نال" جهة الجنوب)(٣).

ومما يورده خليفة بن خياط يبدو أن سنان قام بمهاجمة بلاد السند انتقاماً للمعركة السابقة، فيروي ابن خياط أن سناناً، قاد جيشاً سنة ٥٠ هجرية نحو قيقان فواجههم هناك جيش ضخم من الأعداء، عندها ارتجل سنان كلمات يحمس فيها المسلمين فيطلب منهم أن يبتهجوا لأنهم أمام خيارين عظيمين، فإما الشهادة في سبيل الله، وإما النصر والغنائم، ثم تناول سبع حصوات ووقف أمام عدوه وأمر جيشه ألا يباشر الحرب قبل أن يبدأ هو، وعندما وصلت الشمس كبد السماء بدأ يرمي الحصوات واحدة تلو الأخرى، وحمل على الأعداء إبان صلاة العصر وهو يقول بصوت عال "حَم لا ينصرون"(٤) فلم يبق أمام الأعداء سوى أن يديروا ظهورهم ويلوذون بالفرار فيتبعهم المسلمون مسافة ٤ فراسخ ليقتلوا كل من وصلوا إليه. وأسر المسلمون جماعة من الأعداء في إحدى القلاع، فقالت هذه الجماعة لهم: "ما أنتم من قتلنا لكنهم أناس كانوا يركبون أفراساً رقطاء، ويعتمرون عمامات بيضاء ولسنا بقادرين أن نراهم بينكم"(٥).

(١) " فتحنامة السند "، ص٥٨ و " الششنامة "، ص ٦٤ وقاضي أطهر، العقد الثمين، ص ٩٠.

(٢) اليعقوبي، " تاريخ اليعقوبي " ص ٢٧٨ والبلاذري، " فتوح البلدان " ص ٤٢٢ والذهبي، "العبر في خبر من غبر " ص٥١.

(٣) البلاذري، نفس المصدر، ونفس الموضع، ياقوت الحموي، " معجم البلدان " جزء ٤ ص ٦١٣ و BDGS, VOL.VII, p.44 .

(٤) ابن خياط، " تاريخ ابن خياط " ص٢١٢.

(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.

ويظهر من المعلومات أن سنان بن محبِّق مكث في مكران وبلوتشستان (ثغر الهند) مدة أطول مما قضاها القواد الآخرون، إذ أننا لا نسمع عن تغيير في المناصب أو تنحية لبعض القواد خلال السنين الأخيرة من حكم معاوية، ويبدو أن عبيدالله ابن زياد عندما تبوأ منصب والي البلاد الشرقية التابعة للخلافة في البصرة كان راضياً عن سنان، فقد أرسل رجلاً يدعى حرّيّ بن حرّيّ ليرعى شؤون السند نائباً لسنان ويعمل بإمرته، ويروى أن حرّيّ شنّ معارك دامية في السند ودونت انتصاراته ونسب إليه فتح بوقان(١).

وبعد أن أنجز العديد من المهام وفرض الطاعة والأمن على البلاد، وبعد أن بنى القرى والضياع لاقى سنان قدره فاستشهد في آخر حملة له، ويورد علي بن حميد الكوفي أن الرسول ﷺ ترآى لسنان في نومه قائلاً: "كم كان والدك فخوراً بك فهذا اليوم يومك، وقدرك أن تغزو العديد من البلاد وسيكون تحسنها صنيع يديك" . وسار سنان بجيوشه بعد أن شجعته هذه الرؤيا، وفتح الكثير من البلاد، حتى وصل إلى بلاد قيقان، وكان يفرض الأمن والنظم المحدثة والمستحسنة في كل بلد يمر به، ولكن عندما أتى إقليم البُدهة (البوذيين) ثار به الناس وقتلوه(٢)، وما يؤسفنا أن علي بن حامد لم يدون تاريخ هذه الأحداث ولكن من المؤكد أنها وقعت في أواخر سنة ٦٢ هجرية.

ويذكر خليفة بن خياط أن عبيد الله بن زياد أرسل المنذر بن الجارود إلى السند سنة ٦٢ للهجرة، ومن هنا يحتمل أنه تم إقصاء سنان ليموت بعد فترة وجيزة في

(١) البلاذري، "فتوح البلدان"، ص ٤٢٣ وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٩٧ . ويبدو أن البلاذري لم يكن متأكداً فيما إذا كان عبيدالله بن زياد قد عين حرّيّ بن حرّيّ الباهلي ليحكم منطقة السند إذ أنه سرعان ما يورد اسم حرّيّ كقائد لكتيبة من كتائب سنان.

(٢) "الششنامة" ص ٦٥ وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٩٥ . ولعل ما أوردته "الششنامة" عن مقتل سنان في هذا الحدث يولد بعض التساؤل لأن ابن خياط، "تاريخ ابن خياط" ص ٢٩٧ و٣٠٨ يذكر أن الحجاج عين سنان قائداً عاماً على البحرين ويؤكد انه مكث هناك حتى وافته المنية سنة ٩٠ هجرية.

قندابيل. ثم خلف المنذر في منصبه ولده الحكم بن منذر الذي قاد هجوماً أخضع فيه قندابيل، وفي هذه الأثناء أرسل ابن زياد سنان بن سلمة بن محبِّق فغزا موقان[١] وبوقان، ومن ثم أرسل الخليفة يزيد بن معاوية عبدالرحمن بن يزيد الهلالي[٢]، ويبدو هذا الخبر عاماً وضعيفاً ويكتنفه بعض الالتباس إن تمت مقارنته مع الخبر الأول، وهو أيضاً يتشابه في ضعفه مع الخبر الذي أورده البلاذري بخصوص قيام زياد بإرسال المنذر بن جارود العبدي الملقب بأبو الأشعث، ومن المؤكد وجوب تصحيح هذا الالتباس ما بين زياد وابن زياد، فنحن نعلم أن زياداً مات قبل ذلك بعشر سنين، ويؤكد البلاذري أيضاً أن المنذر غزا بوقان وقيقان فنجم عن هذا الغزو إخضاع قصدار[٣].

ومن أجل تجنب الالتباس فيما يخص الأزمنة والأحداث التي واكبت هذين القائدين فمن الأسلم أن نتبع "فتحنامة السند" فهو المصدر الأوثق فيما يتعلق بهذه المسألة، فيرد في "فتحنامة السند" أنه بعد موت سنان عين الخليفة الأموي يزيد الأول المنذر بن جارود العبدي سنة ٦١ للهجرة حاكماً على بلوتشستان بما فيها مكران وثغور الهند أو السند[٤]، وحالما قدم المنذر إلى بلاد الأعداء أصابه المرض في موضع اسمه بورالي[٥] فأماته هناك، فخلفه ابنه الحكم الذي كان حينها حاكماً على كرمان، ويروى أن الحكم استطاع أن يحكم البلاد بعد أن غزا قندابيل وحقق انتصاراً فيها. وبعد هذه الواقعة يصادف إقصاء الحكم بن المنذر وتعيين سنان ابن المُحبِّق، ولكن سرعان ما يقتل سنان كما ذكرنا سابقاً فيرسل يزيد على الفور

(١) لا يمكن تحديد هذين المكانين حالياً.

(٢) ابن خياط، " تاريخ ابن خياط "، ص ٢٣٦.

(٣) البلاذري، " فتوح البلدان "، ص٢٤ وابن خياط، " تاريخ ابن خياط "، ص٢١٩ واليعقوبي، "تاريخ اليعقوبي "، جزء ٢، ص ٢٧٩.

(٤) " فتحنامة السند "، ص ٦٠.

(٥) لم يحدد هذا الموقع إذ أنه لم يذكر في أعمال الجغرافيين لكننا نشير إلى أن هناك نهراً يحمل نفس الاسم يجري في لاس بيلا. انظر الفصل الأول.

عبدالرحمن بن يزيد الهلالي ليحل مكان الحكم في بلوتشستان(١).

ولما مات يزيد بن معاوية في أوائل سنة ٦٤هـ/٦٨٣م خلفه ولده معاوية الثاني لكنه لا يمكث طويلاً، إذ سرعان ما يموت هو الآخر بعد ستة أشهر من توليه الخلافة، وفي غضون السنين التسع التي تلي وفاة معاوية الثاني (٦٤-٧٣ هجري/٦٨٣-٦٩٢ ميلادي) تبدأ الدولة الأموية معاناتها مع الفوضى العامة والانحلال، وكأنها بدت آيلة للانهيار، لكن هذا الوضع ينتهي سنة ٧٣ للهجرة على يدي الخليفة عبد الملك بن مروان بعد سنتين من المعارك الطاحنة لإعادة بناء الدولة بكاملها، وكان أن تمردت بلوتشستان كسائر الإقاليم الإسلامية لكن معاوية ابن الحارث العلافي تمكن من قمع انتفاضتها وإخضاع كامل المنطقة لحكمه مدة ١٣ عاماً من سنة ٦٥ إلى سنة ٨٧ للهجرة (٦٨٤-٦٩٧ ميلادية)(٢).

أما كيف كانت الأحوال في بلوشستان خلال سيطرة العلافي المؤقت على السلطة هناك؟ وماذا فعل العلافيون خلال سيادتهم على المنطقة؟ وما هي نواياهم تجاه البلاد؟ كيف سيروا أمور حكمهم؟ أكانوا خوارج أم غير ذلك؟ كل الأسئلة السابقة تبحث عن إجابات لها، لكن نظراً لقلة المعلومات يتعذر على المرء الإجابة عليها، ومن جهة أخرى فمن العجلة أن نتقبل الافتراض الذي يعزو سبب تمرد العلافيين على عامل الأمويين إلى العداء القبلي بين سعيد بن أسلم وبين العلافيين، فهم تمردوا قبل مجيء سعيد بن أسلم بتسع سنين، وأما فيما يتعلق بحادثة قتل سعيد بن أسلم لسفهوي ابن لام، أحد أبناء عشيرة العلافيين، فقد وقعت الحادثة بعد زمن طويل(٣).

---

(١) ابن خياط، نفس المصدر، ص ٢٣٦ وقاضي اطهر، نفس المرجع، ص ١١١.

(٢) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٣ والذهبي، "تاريخ الإسلام"، جزء ٢ (القاهرة ١٩٤٨) ص٣٧٢، و "فتحنامة السند" ص ٦٢، وابن خلدون، "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، ويعرف باسم "تاريخ ابن خلدون" جزء ٣ (بيروت ١٩٦٦) ص ٩٤.

(٣) فتح نامة سند، التعليقات ص٦٤، وعن سعيد بن أسلم انظر ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٤٠٧، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٤٦.

يورد قاضي أطهر أن معاوية بن الحارث العلافي استولى على السند (مكران وبلوتشستان) سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[١]، واستمرت سلطته زهاء ١٣ عاماً حتى مجيء سعيد بن أسلم مفوضاً من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي الأموي على العراق والبلاد الشرقية آنذاك.

وما يرد في "التّشْتَشْنامة" عن أخبار العلافيين يعد أكثر تفصيلاً من أي مصدر تاريخي آخر، ومع ذلك فإن المؤلف وجه تركيزه إلى ذكر الأحداث التي وقعت أثر وصول سعيد بن أسلم - من سنة ٧٨هـ/٦٩٧م إلى ما بعد، ويرد أنه عقب وصول سعيد إلى مكران قتل سفهوى بن لام أحد أتباع القبائل اليمانية، ورداً على ذلك خطط مجموعة من الرجال - من بينهم محمد بن معاوية العلافي - لقتل سعيد فهاجموا سعيداً ورجاله في مكان قريب من مرج[٢] - بفتح الراء - وقتلوهم إلا أن بعضهم تمكن من الفرار وعادوا إلى العراق. واشتاط الحجاج غضباً إثر علمه بذلك فأمر رجلاً من قبيلة بني كلاب (أحد أقرباء سعيد) بقتل سليمان العلافي الذي صادف وجوده في مقر الحجاج، وبعد أن نفذ الأمر أرسل الحجاج رأس سعيد العلافي إلى أهله وأتباعه ثم عزاهم وأظهر الود لهم[٣].

وعلى إثر مقتل سعيد أرسل الحجاج على الفور مجاعة بن سعْر التميمي وأمره بأسر العلافيين، لكنه عجز عن ذلك[٤]، إذ سرعان ما لاذ العلافيون بالفرار، ويروى من جهة أخرى أن مجاعة أخضع سائر البلاد بعد أن شن العديد من الهجمات الظافرة حتى وصل إلى قندابيل، وحسب ما يورده علي بن حامد الكوفي فإن الحجاج أرسل مجاعة سنة ٨٥هـ/٧٠٥م، ومن المؤكد عدم صحة هذا التاريخ لأنه

---

(١) القاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين " القاهرة ١٩٧٩ ص ١١٤.

(٢) لا يمكن تحديد موقع هذا المكان.

(٣) " فتحنامة السند " ص ٦٢ و " الششنامة " ص ٦٧ وقاضي أطهر، الهند في عهد العباسيين، ص١١٦.

(٤) ابن خياط، " تاريخ ابن خياط "، ص ٢٧٨.

لا يتوافق مع جميع المصادر التاريخية الأولية التي أوردت أن سعيد بن أسلم وصل مكران ما بين ٧٥ و٧٨هـ / ٦٩٤ - ٦٩٨م[١]، ويقال أن مجاعة طارد العلافيين الذين لجأوا إلى بلاط ملك السند داهر[٢]، وأنه مات في غضون سنة من مطاردته إياهم.

ثم تولّى أمر مكران وبلوتشستان عقب ذلك محمد بن هارون النميري الذي عينه الحجاج في نهاية سنة ٧٩هـ /٦٩٨م أو بداية ٨٠هـ /٦٩٩م والياً عليها ويرد أنه مكث في منصبه ما ينيف على خمس سنوات (٨٠ - ٨٥هـ / ٦٩٩ - ٧٠٤م) لكن هذه المدة تبدو قصيرة مقارنة مع ما ورد عند البلاذري، وفي "فتحنامة السند" فكلاهما يذكر أن محمد ابن القاسم وصل مكران سنة ٩٢هـ/ ٧١١م فاستقبله هناك محمد بن هارون النميري ورافقه على طول الطريق إلى حوض السند[٣]. ويبدو أن ابن هارون نعم بفترات من الهدوء والأمن إذ لم يرد ذكر أي حوادث أو قلاقل أثناء حكمه، ويبدو أيضاً أنه استطاع حفظ النظام والأمن في جميع أرجاء البلاد، وكانت مهمته الرئيسة حينها، حسب ما ظهر، تنفيذ أوامر الحجاج في مطاردة العلافيين وقتلهم وإرسال رؤوسهم إليه في العراق[٤].

وخلال إقامة ابن هارون في مكران يرسل حاكم جزر الياقوت (سريلانكا) هدية إلى خليفة المسلمين قوامها عدد من النساء الجميلات اللواتي ولدن مسلمات في تلك الجزيرة، فتعترض عصابة من القراصنة من قبائل الميد والأكراد طريق السفينة

(١) المرجع السابق، والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٣ وابن الأثير، " الكامل "، جزء ٤ ص ٣٨٠ وابن خلدون، " تاريخ ابن خلدون "، جزء ٣ ص ٩٤ وابن خياط، نفس المصدر، ص ٢٧٧ .

(٢) " فتحنامة السند "، ص ٦٣ وانظر ايضاً :

S.B.Miles, the countries and tribes of the persian, 3rd ed . (London, 1966) p. 54.

(٣) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٤ و " فتحنامة السند "، ص٧٢ وقاضي أطهر، الهند في عهد العباسيين ،ص ١١٨ .

(٤) ابن خياط، " تاريخ ابن خياط "، ص ٢٧٨ و٢٩٦ والبلاذري، " فتوح البلدان "، ص ٤٢٤ انظر: BDGS, VOL.VII, p.44; S.B Miles, op.cit. p.54.

المحملة بالهدايا(١)، فتغير عليها وتسبي كل من فيها، ويقال أن أحد قواد السفينة يستغيث بأعلى صوته طالباً نجدة الحجاج، وبعد أن يعلم الحجاج بالأمر يرسل فوراً مبعوثاً إلى ملك السند داهر يطلب منه تحرير النساء وتعويضاً عن الحادثة، لكن ملك السند يعبر عن عدم رغبته في المثول إلى رغبة الحجاج، فيسيّر هذا الأخير جيشين أحدهما عبر البر تحت قيادة عبيدالله بن نبهان والآخر عبر البحر تحت قيادة بديل بن طهفة البجلي، وسرعان ما يقتل ابن نبهان في "ديبل"، أما بديل فأغار وقاتل جيسيه بن داهر في معركة امتدت طيلة اليوم حتى استشهد أخيراً(٢)، وبعد ذلك طلب الحجاج بن يوسف الثقفي من الخليفة الأموي الوليد الأول الإذن بتهيئة حملة وجهتها منطقة السند، وحالما سمح الوليد له بذلك جند الحجاج جيشاً ضخماً، وعين محمد بن القاسم الثقفي قائداً لهذا الجيش ومديراً لشؤون هذه الحملة، وكان يعرف عن محمد بن القاسم خبرته وحنكته القتالية مذ كان يافعاً(٣).

اتجه محمد بن القاسم إلى مكران سنة ٩٣هـ فدخلها وأراح جيشه هناك ثلاثة أيام، وبعدها سار برجاله جهة قنّزبور = بنجبور أو بنجكَور، ومما يثير الانتباه أن البلاذري يضيف قائلاً "واحتلها"(٤) فيختلط علينا الأمر إن كان يقصد دخول المسلمين

(١) فيما يتعلق بموضوع الميد والأكراد انظر BDGS نفس الموضع.

(٢) " الششنامة "، ص ٧١.

(٣) يجب الانتباه إلى أنه من غير المعقول أن يكون عمر محمد بن القاسم ١٧ عاماً عندما عين قائداً للجيش المتوجه إلى السند فمن المعلوم أن محمد بن القاسم كان ضمن جيوش المسلمين قبل ذلك بعشر سنين. إذ نقرأ أن محمد بن القاسم انتدب سنة ٨٣ للهجرة لمحاربة الأكراد في فارس (انظر ابن خياط، "تاريخ ابن خياط"، ص ٢٨٨ وقاضي أطهر، "الهند في عهد العباسيين"، ص١٤٥). ويذكر قاضي أطهر أنه لو كان عمر محمد بن القاسم ١٧ عاماً عندما غزا السند فيجب أن يكون عمره ٧ سنوات خلال الحملة التي شنت على أكراد فارس وهذا ما لا يقبله أي منطق. لذلك فمن المفترض أن يكون عمره ١٧ عاماً عندما أرسل إلى فارس سنة ٨٣ هجرية و٢٧ عاماً عندما أرسل إلى السند (انظر ابن حزم) "جمهرة أنساب العرب"، ص ٢٦٨، وقاضي أطهر، " رجال السند والهند "، ص ٥٠٤.

(٤) البلاذري، "فتوح البلدان"، ص ٤٢٤.

بنجبور لأول مرة أم أنهم سبق ودخلوها فما بين أيدينا من معلومات تفيد أن مكران كانت مركزاً وقاعدة للمسلمين، وذلك قبل مجيء محمد بن القاسم لمدة تزيد عن نصف قرن، فيصبح ما يورده البلاذري عن احتلال المسلمين لهذه البلدة وفرض الجزية السنوية عليها خبراً غريبا، وبعد أن آلت بنجبور إلى إمرة ابن القاسم يتوجه إلى بيلا (أرمائيل) فيحتلها(١)، ثم ينضم إلى الحملة هذه محمد بن هارون النميري - والي مكران آنذاك - الذي أوعز إليه الحجاج بأن يدمج قواته مع قوات ابن القاسم، ثم يلقى ابن هارون حتفه أثناء الشروع في المسير نحو "ديبل" ويدفن في قندابيل(٢).

ويروي اليعقوبي أن ابن القاسم سار من شيراز إلى مكران على رأس ستة آلاف فارس ومكث هناك قرابة الشهر، ومن ثم شق طريقه باتجاه بنجبور حيث واجه مقاومة عنيفة من قبل سكانها أعاقت تحرك جيوشه إلى أجل، حتى تسنى له أخيراً احتلال البلدة وجمع الكثير من الغنائم، ومن بنجبور، انطلق إلى أرمابيل وبعد أيام من المعارك الطاحنة استطاع أن يحتلها أيضاً، حيث مكث فيها عدة شهور ليتوجه بعدها إلى ديبُل(٣). ومن رواية اليعقوبي نستنتج أن ابن القاسم لن يندفع فوراً إلى السند، بل كان يتريث قليلاً في كل مكان يحتله ليتمكن من إحلال الأمن والنظام وتوفير المؤن والسلاح لرجاله، ويعني هذا أنه كان يضمن طريق عودته ويضمن أيضاً سلامة طرق الاتصال مع السلطات العليا في العراق وسوريا، وأخيراً بقي أن نقول أنه لم يصل إلينا خبر موثق فيما إذا كان محمد بن القاسم يخلف حاميات في المناطق التي كان يغادرها إلى غيرها ولكنه أمر متوقع.

وعلاوة على ذلك يخبرنا ابن خياط أنه تم تعيين محمد بن القاسم والياً على جميع البلاد الجديدة التي فتحها إضافة لبلوتشستان ومكران فيرد أن ابن القاسم

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) المصدر السابق، و" فتحنامة السند"، ص ٦٨، و" الششنامة"، ص ٧١ وابن خياط، "تاريخ"، ص ٣٠٤-٣٠٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٢٨٨.

تلقى رسالة من الحجاج تعلمه : " إنك والٍ على كل ما تفتحه من بلاد " . ويظهر من هذه المعلومات أن الحكومة في مكران وبلوتشستان (السند القديمة) تمددت آنذاك لتشمل حوض وادي السند بأكمله .

بعدئذ تطغى أوصاف ميادين المعارك على كل الأحداث فتشد انتباه معظم المؤرخين، فقد أصبحت مكران والأصقاع الشرقية من بلوتشستان بوابة الوصول إلى ثروات الهند مع الإغراءات الموجودة في حوض وادي السند، ونتيجة لذلك يصمت المؤرخون ويعرضون عن ذكر مكران وقيقان وبدهة وقندابيل وطوران لمراحل طويلة نسبياً إلى درجة يتساءل فيها المرء هل خلت تلك المناطق من السكان أم لا ؟ .

وبعد رحيل الخليفة الأموي الوليد الأول سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م خلفه أخوه سليمان وأول ما بادر إليه أن بدّل جميع الولاة على كافة الأقاليم، فعيّن يزيد بن أبي كبشة السكسكي والياً على السند، ثم استبدله بعد وفاته بحبيب بن المهلب، وكتب سليمان أيضاً إلى صالح بن عبدالرحمن (واليه على العراق والمشرق) آمراً إياه بالقبض على بني عقيل واستحلال دمهم ومن بينهم محمد بن القاسم[١] . وحسب ما يورده ابن خياط فإن يزيد بن أبي كبشة قبيل وفاته عين أخاه عبيد الله خلفاً له بشكل مؤقت، ولكنه استبدل بعمران بن نعمان الكلاعي الذي أرسل من العراق ولم يمكث طويلاً هو الآخر، إذ سرعان ما استبدله صالح بن عبدالرحمن بحبيب بن المهلب[٢] منوطاً به مسؤولية شؤون الحرب والخراج في السند .

وإبان خلافة عمر بن عبدالعزيز (٩٨ -١٠١هـ/ ٧١٦ - ٧١٩م) أوكلت شؤون السند إلى واليين اثنين هما عبدالملك بن مسمع بن عبدالملك وعمرو بن مسلم الباهلي، ويروى أن كليهما كرسا جهودهما في خوض المعارك المتتالية لإخضاع (السند)[٣] .

---

(١) ابن خياط، تاريخ، ص٣١٨ وقاضي أطهر، " رجال السند والهند "، ص٥٠٤ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) ابن خياط، نفس المصدر، ص ٣٢٢ والبلاذري، نفس المصدر، ص٤٢٩ وقاضي أطهر، "الهند في=

شاركت بلوتشستان في الأحداث الدامية التي أعقبت تمرد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ـ الوالي السابق على العراق والشـرق بما في ذلك إيران وبلاد ما وراء النهر ـ على الخليفة يزيد بن عبدالملـك سنـة ١٠١هـ/٧١٩م، فيورد الطبري ومصادر أخرى أنه بعد استيلاء يزيد سير قائده وداع بن حُميد الأزدي إلى قندابيل، وقد أخبره عن نيته في قتال جيوش الخليفة ووعده مستقبلاً زاهياً إن هو انتصر، كما طلب منه أن يؤمن ملجأً يلوذ إليه أفراد عائلته إن انهزم في المعركة.. والحق أنه لم ينجح يزيد في تحقيق ما نوى عليه(١)، إذ انهزمت قواته وانتهى الأمر بقتله. وعلى إثر ذلك لاذت عائلته بالفرار إلى قندابيل لكن سوء طالعهم كان لهم بالمرصاد عقب تخلي وداع عنهم ورجوعه إلى طاعة الخليفة وسرعان ما قبض عليهم هلال بن أحوز التميمي، وأفناهم عن بكرة أبيهم باستثناء القليل منهم فيرسلون إلى دمشق ليقتلوا أمام ناظري الخليفة(٢).

خضع إقليم السند لحكم العديد من الولاة خلال تولي يزيد بن عبدالملك الخلافة. فأزاح ابن هبيرة ـ والي العراق وبلاد الشرق هلال بن أحوز عن منصبه وعين بدلاً منه عبيد الله بن علي السلمي، ويبدو أنه أزيح عن منصبه هو الآخر، وتم تعيين الجنيد بن عبدالرحمن المري(٣).

ثم تولى هشام بن عبدالملك الخلافة بعد موت يزيد بن عبدالملك سنة ١٠٥هـ/٧٤٣م وامتدت فترة خلافته لأكثر من عشرين عاماً (١٠٥ ـ ١٢٥هـ /٧٢٣ ـ ٧٤٣م)

= عهد العباسيين"، ص ١٨١ وابن حزم، "جمهرة أنساب العرب"، ص ٢٤٦ وابن قتيبة، "المعارف" ص ٤٠٦.

(١) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٢٨ واليعقوبي، نفس المصدر، جزء ٢ ص ٣٧٢ والطبري، نفس المصدر، جزء ٦ ص ٦٠٠ ـ ٦٠٣ والمسعودي، "مروج الذهب"، جزء ٤، تحقيق تشالز بيلا (بيروت ١٩٧٣) ص ٣٤ ـ ٣٧.

(٢) اليعقوبي، نفس المصدر، جز ٢، ص ٣٧٣.

(٣) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٢٣٣.

وخلال توليه الحكم نفقد أي أثر لذكر بلوتشستان، لكن بمقدور المرء أن يفترض أن بلوتشستان بقيت جزءاً تابعاً لولاية السند بما تعنيه الكلمة من التبعية الكاملة، ونعلم أيضاً أن أماكن إقامة ولاة إقليم السند وتوابعه اختلفت وانتقلت من مكان إلى آخر ضمن بلاد السند، ويرد أن الحكم بن عوانة الكلبي (١٠٦ - ١٢٠هـ / ٧٢٤ - ٧٣٨م) أنشأ مدينة جديدة تسمى "المحفوظة" على أن تكون حصناً لقوات المسلمين في حال تعرضهم لهجوم مباغت[(١)]، وهناك مدينة أخرى أسسها نائبه ومعاونه عمر بن محمد بن القاسم - الذي أصبح والياً على كامل الإقليم - على ضفة نهر السند وسميت المنصورة حيث أصبحت مركز إقامة حكام السند منذ إنشائها حتى أيام البلاذري ٢٥٥ هـ[(٢)]، وما من شك أن المسلمين العرب وجدوا في حوض السند ما كانوا يطمحون له من ثروات وخيرات أغرتهم بنقل مقراتهم ومراكزهم وأتباعهم إليه، ويروى أنه عندما أرسل الخليفة هشام بن عبدالملك كتاباً إلى جنيد ابن عبدالرحمن يخبره فيها عن المستجدات التي تحققت في مناطق البيزنطيين وعن المكاسب والغنائم التي أحرزتها جيوش المسلمين هناك، رد عليه جنيد مفاخراً ومبالغاً في النتائج التي حققتها حملاته في السند، ولو استطاع المرء أن يلقي نظرة على ديوان جنيد لوجد أرقاماً لا تعد ولا تحصى للسبايا والأموال التي غنمها المسلمون فمثلاً نجد ٥٠٠٠٠ سبية و ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم أرسلت إلى بيت مال المسلمين إلى جانب الأضعاف التي وزعت على قواد وأجناد جنيد المقيمين هناك[(٣)].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٠ وابن الأثير، الكامل، جزء ٥ ص ٨٦ والقاضي أطهر " الهند في عهد العباسيين " ص ١٩٣.

(٢) البلاذري، نفس المصدر، ص٤٣١ وابن الأثير، نفس المصدر، وقاضي أطهر نفس المرجع، ص ١٩٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢٩ واليعقوبي ،" تاريخ اليعقوبي "، جزء ٢ ص ٣٧٩ وقاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين " ،ص ١٩٣.

ويبدو أيضاً أن المسلمين استطاعوا توطيد علاقاتهم مع ملك الهند فيروي المدائني أن ملك الهند أرسل هدية إلى جنيد بن عبد الرحمن عبارة عن نموذج لناقة مشغولة بعناية ودقة حيث رصعت بالألماس وحشيت أقدامها باللآلئ وغشيت رقبتها بطبقة من الياقوت، وقد ثبتت على عجلات فضية دوارة، فأرسلها جنيد إلى الخليفة الذي سر بها كثيراً، ويقال أن الشخص الذي جلبها نزع أقدامها واستبدلها بطبقة مذهبة فتناثرت اللآلئ، وعندما تم نزع رقبتها انسكب الياقوت وكأنه قطرات الدم فأدهشت الخليفة وحاشيته[١].

ثم خلفه محمد بن عرار الكلبي الذي بدوره ترك كرسي الولاية ليخلفه عمرو ابن محمد بن القاسم (١٢٢-١٢٥هـ/٧٣٩-٧٤٣م). ثم تم تنحية عمرو من قبل الوليد بن يزيد، وعين بدلاً منه يزيد بن عرار ويقال أن ابن عرار بقي في منصبه ٤سنوات (١٢٦-١٣٠هـ/٧٤٣-٧٤٧م) وأنه شن ما يقارب ثماني عشرة حملة بجميع الاتجاهات[٢]، ولكنه مني بسوء الطالع إذ قتل على يدي المتمرد منصور بن جمهور بعيد عزل هذا الأخير عن منصبه في العراق من قبل الخليفة يزيد الثالث ومغادرته إلى السند حيث بقي مناوئاً للخلافة الأموية حتى ظهور سيادة العباسيين[٣].

٣- بلوتشستان خلال حكم العباسيين:

خضعت السند ومكران وبلوتشستان لنفوذ العباسيين بعد تسلمهم زمام السلطة في الدولة الإسلامية، ونعلم أن مؤسس السلطة العباسية في إيران أبا مسلم الخُراساني أرسل حملتين إلى هناك لإقصاء والي السند آنذاك منصور بن جمهور، ويروى أن منصور استطاع هزيمة القوات العباسية في المرة الأولى، ولكنه فشل في

(١) انظر ابن حزم، " جمهرة أنساب العرب "، ص ٢٥٢ والدنيوري، " الأخبار الطوال " ص ٣٣٣ والرشيد بن الزبير، "كتاب الذخائر والتحف "، (الكويت، ١٩٥٩م) ص ١٤.

(٢) اليعقوبي، " تاريخ اليعقوبي "، جزء ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠٧، والقاضي أطهر "، الهند في عهد العباسيين " ص ٢٠٥.

(٣) اليعقوبي، نفس المصدر، وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

التصدي للحملة الثانية التي قادها موسى بن كعب التميمي(١)، حيث استطاع هذا الأخير قتل ابن جمهور، وأسر بقية رجاله في معركة جرت في قندابيل(٢).

ولما تميز عهد الخلافة العباسية برعاية الفنون والعلوم في شتى المجالات، فقد قابل ذلك تقليص النشاطات العسكرية الرامية إلى فتح بلدان جديدة، فكانت جهود العباسيين في جانب الفتوح لا تقارن مع تلك النشاطات التي تمت إبان العصور السابقة، وبقيت كل من مكران وأجزاء أخرى من بلوتشستان بما فيها قيقان وقصدار وقندابيل والبدهة تابعة للخلفاء العباسين، كما كانت خلال العقود الأربع التي سبقت الخلافة العباسية، وراح العباسيون يوفدون ممثليهم وأمراءهم واحداً تلو الآخر ليحكم كلا من مكران وقيقان وقندابيل وغيرها من البلاد.

وأحياناً كانت كرمان تتبع سلطة والي السند، فنعلم أن إبراهيم بن عبد الله المهلبي تسلم ولاية السند ومكران وكرمان مدة عشرين عاماً(٣). ويروي اليعقوبي أن الرشيد (١٦٩-١٩٣هـ/٧٨٥-٨٠٨م) عين حاجب ابن صالح والياً على السند وحين وصوله إلى مكران قابل إبراهيم المهلبي، وطلب منه أن يتنازل عن مكران فما كان من إبراهيم إلا أن أجابه "لست عاملاً لديك فأنا اتبع بشر الوالي الشرعي لبلاد السند المقيم في المنصورة فإن أوعز بعزلي، تنازلت عنها لك"(٤).

ومما نلاحظه فيما يتعلق بشؤون السند خلال المراحل الأولى للدولة العباسية هو ميل الخلفاء العباسيين الأوائل إلى تغيير ممثليهم في السند باستمرار. وبعبارة أخرى كانوا لا يدعون الأمير في منصبه فترة طويلة خشية أن يؤسس سلطة ينفرد بها

(١) يرد عند ابن خياط (ص ٤١٣) موسى بن كعب المرادي.

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع، والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٣١، واليعقوبي، "تاريخ اليعقوبي" جزء ٢ (بيروت ١٩٨٠م) ص ٣٥٨.

(٣) الطبري، "تاريخ الرسل والملوك"، جزء ٨ ص ٥١ و٥٣ وانظر ابن حزم "جمهرة أنساب العرب"، ص ٣٧٠ وقاضي أطهر، "الهند في عهد العباسيين"، طبعة ثانية (القاهرة ١٩٧٩) ص ٤٥.

(٤) اليعقوبي، نفس المصدر والموضع، وقاضي أطهر، نفس المرجع، نفس الموضع.

تغريه بالتمرد على الخليفة نفسه. وتبين فيما بعد مدى جدوى هذا الإجراء الاحترازي ـ ويورد أنور الرفاعي أن الخلفاء العباسيين كانوا يشرفون مباشرة وباستمرار على ولاتهم، وهكذا كانوا يسارعون إلى عزل كل أمير يشعرون بأنه متقاعس أو ظالم أو مهيأ لعصيان الأوامر، فيروى مثلاً أنه بعد ما كتب أمير أرمينيا إلى أبي جعفر المنصور يخبره عن تمرد جنوده واستيلائهم على بيت المال، أجابه أبو جعفر المنصور: "قد عزلناك وطردناك من أعمالنا، فلو كنت متعقلاً لما اضطرب أتباعك ولو كنت حازماً وقوياً لما تمردوا عليك(١) "، وهناك قصة مشابهة تتعلق بحاكم مكران والسند الذي تعرض لظروف مماثلة، فكان رد المنصور آنذاك: "لو كنت عادلاً ومنصفاً لما تمكنوا من أحداث البلبلة، ولو كنت مخلصاً لما كانوا تمردوا "(٢). ولعل هذه التغييرات المستمرة للأمراء تدل على مدى نفوذ سلطة الخليفة أو مدى الارتياب والشك الذي يشعر به الخليفة تجاه ولاته.

يقسم الماوردي نظام الإمارة إلى ثلاثة أنواع(٣)، من بينها "الاستكفاء"، وهو نظام يعتمد على وجود سلطة دائمة لوكيل الخليفة تتضمن الإشراف على الشؤون العسكرية والمحاكم والقضاة وجمع الضرائب والجزيات وحماية الدين وحفظ النظام والأمن في المجتمع وإمامة الناس في الصلاة وتنظيم أمور حجاج الإقليم التابع لهذا الوكيل(٤)، ونعلم أنه كان للأمير أو الوالي أعوان يساعدونه في تنظيم أمور ولايته مثل إدارة شؤون بيت المال والقضاء والشرطة وبعض المراكز الإدارية الأخرى، وكان من واجب الأمير أو الوالي إمامة الناس في الصلاة وقيادة الحملات العسكرية(٥).

---

(١) النظم الإسلامية، (دمشق ١٩٧٢م)، ص ٧٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٣) يمكن الحصول على معلومات مفصلة من كتاب، "الأحكام السلطانية"، (القاهرة ١٩٠٩م) ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الرفاعي، نفس المرجع، نفس الموضع، وحسن إبراهيم حسن "، " النظم الإسلامية "، الطبعة الرابعة (القاهرة ١٩٧٠م). ص ١٧٨ - ١٨٠.

وهل كان هذا النظام مطبقاً في مكران وبلوتشستان (السند) وتوابعهما؟ يخبرنا الطبري أنه سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م قام عيينة بن موسى بالتنكر لأوامر الخليفة من جراء سوء فهم نجم عن مكيدة دبرها المسيب بن زهير ـ رئيس شرطة عيينة آنذاك ـ خشية أن يطرده عيينة ويعين شخصاً آخر بدلاً منه(١)، ولعل هذه الرواية والرواية الأخرى المتعلقة بجواب إبراهيم المهلبي إلى حاجب بن صالح المذكورة سابقاً تدلان على مدى ثقة أمير السند بنفسه فيما يخص التصرف بشؤون الإمارة.

بيد أن هذا النظام بدا عليه التطور حالما شرع الخليفة العباسي بجمع العديد من الأقاليم والمناطق تحت إمرة شخص واحد من الثقاة والمفضلين لديه، وكان هذا الآمر المطلق يقيم في بغداد ومن صلاحياته تعيين مفوضاً شخصياً له. ويروى أن المهدي الخليفة العباسي الثالث (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) أوكل شؤون البصرة إلى محمد بن سليمان الهاشمي ـ والد زوجته ـ ومن ثم أتبعها بالأهواز والبحرين وعمان والسند بما فيها بلوتشستان، وكذلك في عهد الرشيد فقد تم توكيل شؤون أرمينيا والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة إلى سعيد بن سلم الباهلي، الذي بدوره أوكل شؤون السند إلى أخيه كثير بن سلم ـ ويذكر أن كثير هذا كان ظالماً وسيء المزاج(٢)، ومن جهة أخرى يستطيع المرء أن يتخيل مدى الفقدان والهدر الذي سببه هذا النظام على بيت مال الدولة بشكل عام، وكيف أثر بشكل خاص على مناطق كانت بأمس الحاجة للمعونة مثل مكران وقيقان وقندابيل من بلوتشستان، فها هو الطبري يقول عندما توفي محمد بن سليمان سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩-٧٩٠م "رفعوا من بيت ماله الخاص العطايا والهدايا التي قدمت له من بلاد

(١) الطبري، نفس المصدر، جزء ٧ ص ٥١٣ وأيضاً ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٥ ص ١٨٩، وابن خلدون، " تاريخ ابن خلدون "، جزء ٣ ص ١٨٧، وقاضي أطهر "، الهند في عهد العباسيين"، ص ١٤.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٤٦٣ واليعقوبي "تاريخ اليعقوبي" جزء ٢، (بيروت ١٩٨٠م) ص ٤٠٩.

السند ومكران وفارس وأقاليم أخرى: تحف وزيوت من عدة أنواع وسمك وحبوب وجبن والكثير الكثير مما استطاع مصادرته"(١)، وهناك وصف للموجودات في بيت مال عمر بن موسى الخاص بعد أن قتل في السند، فيرد أن ثروته كانت تقدر ب"٥ملايين" بالإضافة إلى ٢٠٠ قارورة عطر والكثير من الذهب الذي حوله الخليفة الواثق إلى طاولة مصمتة(٢).!!

شهدت مكران وبلوتشستان والسند ـ كأقاليم ـ نوعاً آخر من أنماط الإمارة يشابه إلى حد ما نظام الإقطاعية، فقد كان الخليفة يعين شخصاً ـ سبق له إدارة شؤون الإمارة ـ مسؤولاً مطلقاً شريطة أن يلتزم بدفع مبلغ معين يتفق عليه الطرفان وكان هذا المبلغ يدفع إلى بيت مال الخليفة، فمثلاً يرد في كتب التاريخ أنه سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢١م أوكل الخليفة المأمون شؤون السند إلى بشر بن داود المهلبي على أن يدفع بشر سنوياً للخليفة مليون درهم(٣).

عند مقارنة هذا المبلغ مع ما جمعه الجنيد بن عبد الرحمن في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (انظر ما سبق) يبدو جلياً مدى نمو ثروات هؤلاء الأمراء أو الولاة، ويبدو أيضاً مدى تأثير هذا سلباً على مجتمع السند، مع أن ما من مؤرخ أورد ذلك، بل هو افتراض توصلنا إليه من خلال المعلومات التي بين أيدينا.

ويمكن الإشارة إلى أنه خلال فترة ضعف الخلافة بدأً من سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م كانت سلطة الخليفة عبارة عن سلطة فخرية. فقد ورد أن الخليفة المقتدر عين ولده هارون سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م كحاكم فخري على فارس وكرمان وسيستان ومكران(٤)،

---

(١) الطبري، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٥٧، والبلاذري، "أنساب الأشراف"، تحقيق عبدالعزيز الدوري (فسبادون ١٩٧٨م) ص ٩٤ ـ ٩٧ وقاضي أطهر، "الهند في عهد العباسيين"، ص ٣٠.

(٢) الرشيد بن الزبير، " كتاب الذخائر والتحف " ص ١٨٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، جزء ٦ ص ٣٦٢. وابن الأثير، " البداية والنهاية " جزء ١٠ (بيروت ١٩٦٦م) ص ٢٥٥، وقاضي اطهر، " الهند في عهد العباسيين "، ص ٣٩.

(٤) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٢٢٣. وانظر:

E.Bosworth, " Banu Ilyaas of Kirman " (320 - 357/932- 968). In Idem (ed.) Iran and Islam In memory of thelate . Vladimir Minorsky (Edinburgh, 1971) p. 109 .

ومع هذا لا يرد عن تلك الفترة أية معلومات تفيد أن أحداً من الحكام هناك ـ السند ومكران ـ انفرد بالسلطة.

بيد أن المرء يستنتج ـ من خلال ما آلت إليه الإدارة من سوء ـ نشوء تربة خصبة أدت إلى بزوغ ونمو بذور العصيان والتمرد، فيروى أن الخليل قاد تمرداً في قندابيل واستأثر بالسلطة في أواخر أيام الخليفة المعتصم سنة ٢٢١-٢٢٢ هجرية، فما كان من الخليفة إلا أن أوعز إلى واليه على مكران والسند، عمران بن موسى البرمكي، أن يقضي على تمرد الخليل ويسلبه السلطة[١]. وسابقاً لذلك كان بشر بن داوود المهلبي قد رفض طاعة الخليفة لكن غسان بن عباد المهلبي سرعان ما قضى عليه[٢].

ولعل أكثر ما ميز حكم العرب في بلوتشستان العداء القبلي الذي ظهر علناً خلال فترة ولاية سُفيح بن عمر التغلبي سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠ ـ ٧٨١م[٣]، فأصبح المعضلة المستعصية، وتفاقم هذا العداء في زمن الرشيد، إذ أثاره محمد بن طيفور الحميري فاستمر ليصل إلى أسوأ حالاته زمن تولي محمد بن عديّ التغلبي الذي استغل منصبه في إثارة العصبية والتفرقة والعداوة بين القبائل، وسرعان ما نجم عن ذلك مقتل أمير السند عمران بن موسى سنة ٢٢٧ / ٨٤١ ـ ٨٤٢م إثر الصراع الذي نجم بين اليمانيين والنزاريين[٤]، ونتيجة لذلك استطاع الهبّاريون تأسيس إمارة لهم في المنصورة من أعمال السند[٥]. ولاحقاً ـ حسب ما يورده ابن الأثير ـ يعاود

---

(١) البلاذري، "فتوح البلدان"، ص ٤٣٢، وابن حزم، " جمهرة أنساب العرب "، ص ١١٨، وقاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين "، ص ٥٣.

(٢) اليعقوبي جزء ٢ ص ٤٥٨. كذلك كانت الحال في منطقة " المهانية " التي أسسها الفضل بن مهان في سندان على نهر السند (انظر البلاذري) واستأثرت أسرة الهبارية أيضاً بالسلطة الذاتية سنة ٢٢٧هـ. انظر فيما بعد.

(٣) ابن خياط، نفس المصدر، ص ٤٤١، واليعقوبي، نفس المصدر، جزء ٢ ص ٣٩٨، وقاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين "، ص ٢٥ و٣٠.

(٤) اليعقوبي، نفس المصدر، جزء ٢ ص ٤٠٩، وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٥١ و٥٥.

العداء ليتمكن من اليمانيين والنزاريين في زمن المتوكل ويبلغ ذروته بمقتل هارون ابن أبي خالد المروزي حاكم السند آنذاك[١]، فيتسلم رجل يدعى عمر بن عبدالعزيز الهبّاري ـ أحد وجوه العرب هناك ـ زمام السلطة، ويعترف بخلافة المتوكل فيعترف له هذا الأخير بالسلطة على السند، ولا نعلم عما إذا استطاع عمر مد نفوذه إلى بلوتشستان ومكران وربما كان ذلك. وبعد وفاة الخليفة المتوكل تؤول الخلافة إلى مجموعة من الخلفاء الذين بدا عليهم الضعف فيعلن الهبّاريون استقلالهم بالمنصورة وما حولها ويؤسسون بها دولة لهم[٢]، وتتناوب على السند سلطات محلية فيصمت المؤرخون عن ذكر مكران وقيقان وقندابيل وقصدار زهاء قرنين من الزمن.

ويرد أيضاً أن الزُّط ثاروا وتمردوا عدة مرات إبان الخلافة العباسية لكن المصادر التاريخية لم تورد تفصيلاً عن هذه الثورات والتمردات، ويفترض أن هذا العصيان كان يعتمد على وضع العقبات في أقنية الاتصال بين الولاة وتابعيهم المحليين، ومما يثير الفضول حول هذه الثورات أنها بدت وكأنها تتزامن مع الثورات القبلية، وكثيراً ما خلع الخليفة الولاة وحكام المناطق وجردهم من مناصبهم لعدم تعاملهم بحزم وشدة مع هذه الأحداث، ومثال على ذلك ما ورد حول عزل الخليفة المهدي لروح بن حاتم المهلبي من منصبه في السند[٣]، وفي بعض الأحيان يخطئ الوالي في التعامل مع هذه الاضطرابات، مثلما ورد عن الليث بن طريف مولى المهدي كيف سل سيفه محارباً الزُّط حتى فتك بهم[٤] معتقداً أن هذا هو الحل الأمثل للقضاء عليهم نهائياً جاهلاً أن أجيال الزُّط اللاحقة لن تنسى ذلك. وها هي بعد خمسين عاماً تثور ضد عمران بن موسى البرمكي في قيقان، وبعد معارك ضارية

(١) اليعقوبي، نفس المصدر، جزء ٢ ص ٤٩٠.

(٢) انظر ابن حزم، نفس المصدر، ص١١٨، وقاضي أطهر، نفس المرجع، ص ٥٥.

(٣) اليعقوبي، نفس المصدر، جزء ٢، ص ٢٩٨.

(٤) المصدر السابق، نفس الموضع، وقاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين "، ص ٥٥.

استنفذت الكثير من طاقاته، أخمد ثورتهم وتمكن من السيطرة عليهم. بقي أن نذكر أن عمران بن موسى البرمكي هو من أسس مدينة تدعى "البيضاء" في منطقة تواجد الزُّط وعين نائباً عليها لحفظ الأمن والنظام(١).

أما البلوتشيون والقفص فقد خضعوا لسلطة الخلافة منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلا ترد أية معلومات تتعلق باضطرابات أو ثورات قام بها البلوتشيون أو القفص وكأنهم صمتوا حتى نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس (القرن العاشر والحادي عشر الميلادي)، وعلاوة على ذلك لا يرد أي ذكر لاشتراكهم في نسيج المجتمع الإسلامي، ويعزو خدا بخش ذلك إلى عدم تمكنهم من تأسيس سلطة قوية مركزية تتزاوج من عاداتهم التقليدية(٢)، ولعل الحياة البدوية التي عاشها واضطلع بها البلوتشيون في تلك الأزمنة هي المسؤولة عن استمرارهم في طرق معيشية قاسية ومتوحشة يكتنفها الجهل والتخلف، فلذلك أداروا ظهورهم للعلم والمدنية والثقافة.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٣٢. وأيضاً: BDGS, VOL.VIA. p. 15.

(٢) انظر: Khuda Bakhsh, " Search lights On Baloches and Balochistan", p. VIII.

الفصل السادس
بلوتشستان في مرحلة انحسار نفوذ الخلافة

يكاد يتفق معظم الدارسين على اعتبار سنة ٢٣٢هـ/ ٨٦٤م[١] - نهاية خلافة هارون الثاني (الواثق) - السنة الفصل بين نضوج السلطة العباسية وبداية انحطاطها، فقد بدأ هذا الانحطاط بالظهور جلياً في كثير من الجوانب وخاصة تنامي ضعف الخليفة وتلاشي سطوته وهيبته إلى درجة شجعت الموالي (العبيد) الأتراك مثلاً على قتل خليفتهم المتوكل وتنصيب ابنه المنتصر مكانه، والحقيقة تقال أن الخلفاء العباسيين كانوا قد وصلوا إلى أدنى درجات الضعف والوهن مما جعل الناس يديرون ظهورهم لصرخة الخليفة المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠م) : "يا أيها الناس........ داروا خليفتكم" وذلك بعد طرده من منصبه وتعذيبه وإهانته من قبل العبيد الثائرين عليه[٢]، عند هذه النقطة غدت الخلافة ميراثاً دينياً من الماضي وأصبح الخليفة مجرد زعيم صوري للحكومة المركزية، وأصبحت قراراته تمرر أولاً على القواد الأتراك المحيطين به من أمثال وصيف وبُغَا وأشناس وغيرهم، الذين كانوا يتحكمون بسلطة الخليفة، وكانت قراراتهم هي النافذة، كما كان هناك فشل في الإدارة جراء أساليبها التي لم تؤد إلى الاستقرار والاستمرارية[٣]، وسرعان ما عمت

---

(١) انظر: C. Brockelman, History of the Islamic Peoples , tra . J. Caemichael and M. Perlman (Newyork , 1947) p. 131ff; p: K Hitti, History of the Arabs, 10 th th ed (London, 1970) p. 484ff: E.A.Belyaev, Arabs, Islam , and the Arab Caliphate, tr. A. Gourevitch (London, 1969) p. 202 .

(٢) اليعقوبي، " تاريخ اليعقوبي "، تحقيق هوتسما، جزء ٢ ص ٥٠٢ - ٥٠٤ .
عريب بن سعد القرطبي، " صلة تاريخ الطبري " ص ٢٥ و ١٥٧ و ١٧٢ .
ابن الجوزي، " المتنظم في أخبار الملوك والأمم " جزء ٦ (حيدر آباد ١٩٣٩م) ص ٢٦٤ .
ابن كثير، " البداية والنهاية " جزء ١١ ص ٢٢ .

(٣) فيليب حِتّي، نفس الجزء، نفس الموضع.

الفوضى واستطاع بعض المتنفذين إرساء سلطات محلية خاصة بهم في بعض القرى والمدن[١].

وهناك سمة أخرى ظهرت خلال هذه الحقبة وهي ظهور طبقة من الأمراء الفخريين، فقد كان الخليفة يعين أحد أقاربه أو قواده والياً على بعض الأماكن والبلاد لكن دون ممارسة أي سلطة فعلية، فعلى سبيل المثال عين الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) أخاه أبا أحمد الموفق بالله ـ المعتضد بالله فيما بعد ـ والياً على جميع الأقاليم الشرقية، ومن بينها كرمان ومكران والسند، مع أن الموفق بالله كان يعلم افتراضياً أن الصفاريين لن يسمحوا لأي شخص، كائناً من كان، التصرف بشؤون مملكتهم[٢]، وبنفس الأسلوب قسم الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م) الأقاليم الشرقية والغربية بين ولديه أبو جعفر وأبو الفضل[٣].

كما تميزت هذه الحقبة بتجزئة الإمبراطورية الإسلامية نتيجة ولادة العديد من الدول والدويلات المستقلة التي كانت تتمتع بحكم خاص بها لا يرتبط بأحد، فكانت هناك على سبيل المثال دولة الطاهريين (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢١-٨٧٥م) في خراسان ودولة السامانيين (٢٠٤-٣٩٥هـ/ ٨١٩-١٠٠٥م) في خراسان وبلاد ما وراء النهر ودولة الصفاريين (٢٣٥-٢٩٩هـ/ ٨٦٧-٩١٢م) في سيستان ودولة

(١) هناك العديد من الأمثلة على ذلك حيث يرد أن رجلاً عادياً من بني عبد القيس ادعى نسبه إلى الحسين بن علي. وهناك أيضاً ثورة الزنج التي هزت أركان الخلافة وقوضت الأمن والنظام (ابن كثير، "البداية والنهاية"، جزء ٢١ ص ١٨) كما أن السواد قادوا سلسلة من الثورات في بغداد سنة ٢٥٥هـ إضافة إلى ظهور الخوارج وإلى قيام الآخرين بالثورة في مرو حيث شكلوا حكومات متمردة هددت أمن الشعوب. انظر ابن الأثير، الكامل، جزء ٧ ص ٢٦٦ وانظر محمد بن عبدالملك الهمذاني، " تكملة تاريخ الطبري " تحقيق اس واي. كنعان (بيروت ١٩٦١م) ص ١٠١ وابن الجوزي، "المنتظم"، جزء ١٠ (حيدر آباد الدكن ١٩٣٩م) وانظر CHIr. VOL.IV, p. 78.

(٢) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، جزء ٧ ص ٢٧٨، وابن كثير، "البداية والنهاية"، جزء ١١ ص ٣٢.

(٣) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٣١٢.

القرامطة (٢٨٠هـ/ ٨٩٤م) حتى نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في شرق شبه الجزيرة العربية وبالذات في الأحساء والبحرين؛ وفي منطقة الهلال الخصيب كان هناك الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م) والدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩م) والدولة الحمدانية (٢٣٩-٣٩٤هـ/ ٩٠٥-١٠٠٤م) . وكان هناك أيضاً في منطقة بحر قزوين الجنوبية دولة الزيديين (٢٥٠-٢٨٧هـ/ ٨٦٤-٩٠٠م) ودولة الزياريين (٢٨٣-٣١٥هـ) وغيرها الكثير من الدول المستقلة ذاتياً، وكانت مجموعة هذه الدول تتمتع بقوة أهلتها للصدام مع قوات الخلفاء عدة مرات[١]، وفي حالات كثيرة كان الأمراء المستقلون يظهرون الولاء للخليفة شكلياً وليس فعلياً من أجل كسب رضى أولئك الذين يتعاطفون مع الخليفة من أتباعهم، وكان معظم الأمراء يحاولون الإبقاء على علاقات طيبة مع الخليفة من خلال تقديم الهدايا والعطايا، وبدوره يمنحهم الصبغة الشرعية ويمكنهم من ممارسة صلاحياتهم في أماكن نفوذهم.

وكان يحدث أحياناً أن يمارس الخليفة سياسة "فرق تسد" بين هؤلاء الأمراء الثانويين من أجل الاحتفاظ بنوع من السلطة المطلقة[٢]، وهكذا أصبحت كل المناطق التي تخضع لظروف الفوضى هذه مسارح للصراعات والنزاعات بين أولئك الذي يطمحون للنفوذ[٣]، ويفترض بأن يؤدي هذا التصرف إلى اهتمام المتنفذين بشؤونهم الخاصة وتحقيق أهدافهم الشخصية، فبدلاً من حماية حقوق ومصالح أتباعهم كانوا يؤثرون العمل بما يتوافق مع غاياتهم الذاتية، وكانوا

(١) نذكر أمثلة على ذلك الصفاريين والحمدانيين والقرامطة وغيرهم. انظر ابن الأثير، الكامل، جزء ٧ ص ١٣٠ و١٨٤ و٢٠٥ و٤٩٣ و٥٣٨ وابن مسكويه، " تجارب الأمم"، جزء ١، تحقيق هـ. ف. أميدروز (بغداد ١٩٧٠م) ص ١٦١ و٢٧٥، وابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون "، جزء ٣ ص٧٧٠.

(٢) ابن الأثير، "الكامل"، جزء ٧ ص ١٩١ و CHIr. VOL.IV, 81, 83

(٣) اليعقوبي،" تاريخ اليعقوبي "، جزء ٣، ص ٥٠٤.

يصادرون عائدات الدولة من أجل زيادة ثرواتهم، كما فعل الصفاريون وبنو الياس[١]، وكنتيجة حتمية لمثل هذه التصرفات لا بد لسلسلة المساوئ المتلاحقة هذه أن تفرض نفسها على شكل نزعات انفصالية وانشقاقية، ومن جملة المناطق المتأثرة بهذه العواصف السياسية كانت الأراضي البلوتشية في النصف الجنوبي من كرمان ومكران وقصدار وقيقان وقندابيل.

ومن خلال نظرة على خريطة بلوتشستان نستطيع أن نكوّن صورة عن الوضع السياسي في تلك البلاد خلال العصور الإسلامية الأولى (منتصف القرن الثالث - أوائل القرن السابع الهجري). فبدءاً من كرمان نعلم أن القفص والبلوتشيين واجهوا الجيوش العربية في سني ما بين ١٩ و٢٣ للهجرة[٢] وكان المؤرخون ينظرون إلى الجزء الجنوبي من مكران على أنه الموطن الرئيسي للقفص والبلوتشيين[٣]، ومما يثير الدهشة والتساؤل في آن واحد هو عدم ورود ذكر القفص والبلوتشيين وبلادهما في القرنين الذين تليا ذلك، ويبقى أمر انصياعهما أو تمردهما على الخليفة محض افتراض وتخمين.

ويبقى الوضع كذلك حتى مجيء الصفاريين، إذ يقال أن سكان "جيرُفت" قاوموا يعقوب بن الليث الصفار أثناء محاولته احتلال كرمان[٤]، ويرد في سجلات التاريخ أن كرمان كانت سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م موكلة إلى أبو الحسين عامل الخليفة على فارس. وبنفس الوقت يطلب يعقوب الصفار من الخليفة المعتز أن

---

(١) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٧ ص ٢٧٦. و. C.E.Bosworth, Banu I lyas, p. 119

(١) أحمد علي خان وزيري، " تاريخ كرمان (سلارية)، تحقيق عباس إقبال باريزي (طهران ١٩٦١م) ص ٢٨.

(٣) ناصر الدين منشي كرماني، " سمط العلا للحضرة العليا " تحقيق عباس إقبال، طبعة ثانية (طهران ١٩٨٣م) ص ١٣.

(٤) أفضل الدين أحمد بن حميد كرماني، " عقد العلا للموقف الأعلى " تحقيق علي محمد أميري نائيني (طهران ١٩٣٢م) ص ٦٥.

يقطعه كرمان ليلحقها بمملكته فيوافق الخليفة على ذلك، وفور علم أبو الحسين بذلك أرسل قائده طوق بن المفلّس من أجل التشبث، بكرمان(١). وعندما وصل يعقوب إلى كرمان عسكر مع قواته على مسافة فرسخ من بلدة كرمان، ومكث هناك شهرين، وبعد ذلك ادعى أنه ينوي الانسحاب لكي يخدع طوق ويأخذه على حين غرة، واقتنع طوق أن يعقوب لا ينوي القتال فآثر الشراب والطعام، فما كان من يعقوب إلا أن شن هجوماً صاعقاً وساحقاً عجز طوق عن صده فأصبحت كرمان في قبضة قائد الصفاريين(٢).

وحسب ما أورده أفضل الدين الكرماني فإن شعوب جيرُفت وقواد من الباريجان والقفص وبعضاً من الزمر الأخرى ثاروا ضد يعقوب، لكنه استطاع أن يخمد ثورتهم ويردهم لسلطانه بعد أن أسر قوادهم وأودعهم السجن في " بَمْ " إلى أن ماتوا هناك(٣)، ويضيف الاصطخري أنه على الرغم من مناعة جبل البارز (باريجان) فإن الأخوين الصفاريين يعقوب وعمرو توغلا في المنطقة وقبضا على قادتها كرهائن وطردا عائلاتهم منها، وهناك من يعتقد أن الإسلام دخل رسمياً مع دخول الصفاريين حيث كانت المنطقة حتى ذلك الوقت جيباً تعيش فيه الزرداشتية(٤).

ويذكر كتاب "تاريخ سيستان" أن مكران كانت خاضعة أيضاً للصفاريين، فيقال أن غلام عمرو بن الليث ـ أحد القادة الصفاريين المشهورين ـ سبك السُّبْكَري(٥)،

(١) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٧ ص ١٩١.

(٢) المصدر السابق،ص ١٩١ و " تاريخ سيستان " ترجمة ميلتون غولد (روما ١٩٧٦م) ص ١٦٩ والطبري، نفس المصدر، جزء ٩ ص ٣٨٢.

(٣) أفضل الدين كرماني، عقد العلا، ص٦٥ وانظر أيضاً :
C.E Bosworth , " The Qufs or Kufichis , " p. 12 .

(٤) الاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٦٤، وافضل الدين كرماني، نفس المصدر، ص ٦٦ و
J . Marquart, Catalogue of the Provincial capitals of Eranshahr, p.79. C.E. Bosworth , loc.cit .

(٥) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٥٤، والقرطبي، " صلة تاريخ الطبري " ، ص٣٢ و ٣٤.

سير جيشاً تحت إمرة ليث بن علي (ابن أخ يعقوب) لاحتلال مكران وتولي إمارتها، وعندما وصل ليث إلى مكران استقبله حاكم مكران عيسى بن معدان بالحفاوة، ودفع له ضريبة ثلاث سنين متأخرة، ثم قدم له رشوة قوامها مبلغ كبير من المال من أجل ثنيه عن المكوث في مكران، وما انفك عيسى يخبر ليث عن الأحوال المتردية للبلاد وثرواتها المعدمة وحالة الجدب التي تعانيها ووعده بأنه لن يتوقف عن دفع الخراج (الضرائب السنوية)(١)، وقد تم هذا خلال العقد الأخير من القرن الثالث الهجري، وتبقى مسألة تولي حاكم مكران الصفاري شؤون باقي بلوتشستان وقصدار وقندابيل وقيقان وبعض المناطق الأخرى طي المجهول(٢)، ومن جهة أخرى من الممكن أن نفترض أن الصفاريين لم يولوا السند ومكران اهتماماً يذكر، بل كان هناك حكام محليون مستقلون في بعض المدن والمناطق مثل مشكي، وقصدار، وطوران، ومكران، وعلى أي حال فإن إدارة الصفاريين لكرمان ومكران انتهت خلال وقت قصير عقب انهزام عمرو بن الليث أمام دولة السامانيين المتطورة والقوية إبان حكم أميرها نصر بن أحمد سنة ٢٩٨هـ/ ٩١١م(٣).

وحالما زالت سلطة الصفاريين عن فارس وكرمان آلت أماكن نفوذهم إلى الخليفة، فيرد أنه عقب موت قَنْبَج حاكم كرمان سنة ٢٩٨هـ/ ٩١١م عين الخليفة المقتدر عبدالله بن إبراهيم المسمعي والياً على فارس وكرمان، وبعد سنتين طرد المسمعي من منصبه، وعين بدلاً منه بدر الحمامي المعتضدي، وبعد موت بدر

(١) تاريخ سيستان، ص ٢٣٤ و . BDGS, VOL.VII, p.30

(٢) عبدالحي حبيبي، " تاريخ أفغانستان بعد الإسلام "، (طهران ١٩٨٤م) ص ٤١١ والقرطبي، ذيل، ص ٣٢ .

(٣) ابن الأثير، نفس المصدر، ص ٦٠، وابن خلدون، نفس المصدر، جزء ٣ ص ٧٧٦، والطبري، نفس المصدر، جزء ١٠ ص ١٤٤ و

C.Brockelman, Op.cit., p.135, 137; C.E. Bosworth, Islamic Dynasties (Edinburgh 1967) p.103, 106; CHIr. VOL.IV, p. 122, 124 .

خلفه ابنه محمد، ومرة أخرى يعاود الخليفة فيرسل عبدالله المسمعي ليشن هجوماً على منطقة جبال القفص في كرمان سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م، الذي تمكن من سبي ٥٠٠٠ فرداً من سكان المنطقة. وقد يدل هذا على مدى السلطة الفعلية للخليفة التي تم فرضها على بلاد بلوتشستان في بعض الأوقات أثناء خلافة المقتدر. ومن المحتمل أن يكون القفص حينذاك على خلاف دائم مع ممثلي الخليفة كما ستبين الأحداث لاحقاً، وبعد سنتين من توليه منصب كرمان يموت المسمعي فيخلفه أبو طاهر محمد بن عبدالصمد[١] بأمر من الخليفة، وفي عام ٣١٨هـ / ٩٣٠م يعين الخليفة ابنه هارون والياً فخرياً على فارس وكرمان وسيستان ومكران، ولا نعلم عن مدى نفوذه هناك.

ومن ناحية أخرى يقال بأن أبا جعفر أحمد بن محمد بن خلف بن ليث والي سيستان كان لديه المقدرة سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م على إرسال جيش إلى كرمان قيل عنه أنه تمكن من جمع مبلغ مليون درهم من هناك[٢]. وخلال العقدين الثاني والثالث من القرن الرابع الهجري شهدت كرمان أزمات حادة أوجعت كل القوى المحيطة بما فيها القوى البويهية والسامانية والصفارية، حتى وصلت آثارها إلى الخليفة نفسه، وقد نجم عن هذه الأزمات فترة تتصف بالريبة والشك هيمنت على كرمان وفارس[٣] وربما بلوتشستان.

انتهت هذه الحالة بعد أن استطاع أبو علي محمد بن إلياس إقامة دولة مستقلة في كرمان، ووفق ما جاء في المصادر المتعددة فإن ابن إلياس كان أحد المستشارين الثقاة لدى الأمير الساماني نصر بن أحمد، لكن ابن إلياس أثار ضغينته فأودع السجن، ولكن وساطة الوزير الساماني محمد بن عبيدالله البلعمي له لدى نصر

(١) المرجع السابق، ص ١٧٩ وما بعدها.

(٢) تاريخ سيستان، ص ٣١٣ و C.E. Bosworth Banu Ilyas, p. 109

(٣) المصدر السابق. ص١٠٩.

ابن أحمد نجحت في الإفراج عنه وأرسل إلى جُرجان، وبحلول سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م تمرد يحيى بن أحمد في بخارى على الأمير السعيد نصر بن أحمد(١)، فذهب ابن إلياس ليؤازر المتمردين. وبعد أن فشل التمرد فر محمد بن الياس إلى كرمان سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م كي يؤسس لنفسه سلطة مستقلة وبنفس الوقت يتفادى العقاب، لكن الأمير الساماني نصر بن أحمد أرسل سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ماكان بن كالي حيث طرد ابن إلياس إلى الديَنَور.

وعقب سنة من ذلك أمر نصر قائده "ماكان" بالإسراع إلى نجدة ومؤازرة محمد ابن المظفر في شمال إيران ضد وشمكير بن زيار في جرجان والري، وحالما علم ابن الياس بذلك اتجه نحو كرمان، ولكن نصر بن أحمد عاود سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥-٩٣٦م إرسال أميره على خراسان إبراهيم بن سيمجور الدواتي للحفاظ على كرمان(٢)، وعلم إبراهيم أثناء محاصرته لابن إلياس أن جيشاً تابعاً للبويهيين الديناميكين على أهبة الدخول إلى كرمان من فارس تحت قيادة أحمد بن بويه الأخ الأصغر بين الأخوة الثلاثة، فانسحب إبراهيم بن سيمجور إلى خراسان تاركاً كرمان وابن الياس لقدرهما. وسرعان ما غادر ابن الياس قلعته في بَمْ ودخل إلى سيجستان بعيد دخول البويهيين لكرمان بانتظار ما ستؤول إليه الأحداث هناك، في البداية تلقت القوات البويهية الهزيمة على يدي القفص والبلوتش، لكنها تمكنت من إخضاع كامل البلاد بعد ذلك، وحالما علم ابن إلياس بالهزيمة الأولى للبويهيين عاود أدراجه إلى كرمان ودخل في معركة ضد البويهيين في مكان يدعى جنابه فاستمرت عدة أيام لتنتهي بعدها بهزيمة ابن الياس، وبعد فترة قصيرة تلقى أحمد ابن بويه رسالة من شقيقه الأكبر علي بن بويه (عماد الدولة) يأمره هو وجيشه

(١) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٢٠٨ و ٢١١.

(٢) مسكويه، "تجارب الأمم"، جزء١، ص ٣٥٣ وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨، ص ٢٣٤ و C.E. Bosworth, " Banu Ilyas " , p.110

بمغادرة كرمان والعودة إلى فارس، وبعد انسحاب البويهيين من كرمان بقي ابن الياس دون أي منافس له في كرمان فتمكن من بسط نفوذه، وأسس دولة خاصة به لعقود لاحقة(١).

ومن ناحية ثانية يبدو أن بني الياس قوبلوا بالرضا من قبل الخليفة ومن قبل سكان مكران أنفسهم بما فيهم القفص، ويذكر أن الخليفة العباسي المطيع أرسل إلى أبي علي محمد بن الياس "الراية والبردة وهما شارتا السيادة السياسية المستقلة"(٢)، ولعل اعتراف الخليفة ورضاه عن الالياسيين أو بني الياس. يعكس مدى حقيقة مشاعر الرضا بين البويهيين وابن الياس، إذ أن الخليفة حينذاك كان خاضعاً لنفوذ البويهيين(٣).

أما فيما يتعلق بالقفص فيبدو أنهم رحبوا بابن الياس، وقد يكون السبب وراء ذلك هو اندماج ابن الياس بأعمالهم السلبية، ويلاحظ سي. إي. بوزورث أن أفضل الدين الكرماني يدعو ابن الياس: "عيّار وقاطع طريق، ويقول أنه أسس دخلاً ثابتاً له من خلال سلبه للقوافل المسافرة من فارس إلى كرمان"، ويؤكد بوزورث "توحي المعلومات الواردة حول حصيلة عوائد عضد الدولة جراء احتلاله النهائي لكرمان أنه اعتاد تسلم جزء من المكاسب التي كان يحققها القفص من خلال ما يقومون به من أعمال نهب وسلب"(٤).

ويورد أبو علي مسكويه أن محمد بن الياس جمع خلال سنوات سلطته مقداراً

---

(١) انظر مسكويه، نفس المصدر، جزء ١ ص٢٧٧ وجزء ٢ ص ٢٣٢ و ٢٤٠ و٢٤٩ - ٢٥٣ و٢٩٨ وابن الأثير، الكامل، جزء ٨ ص٢٧٨ و٣٠٤ و٣٠٨ - ٣١١ و٣٢٤ - ٣٢٦ و ٣٢٦ و٥٨٥ - ٥٨٧ والعتبي، " تاريخ اليمني بشرح أحمد بن علي المنيني "، جزء ٢، (القاهرة ١٨٦٩) ص ١١٦ وأفضل كرماني، " عقد العلا "، ص ٦٦.

(٢) الهمداني، " تكملة تاريخ الطبري "، ص ١٧٦ وابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٥٢٧ و C.E. Bosworth, p. 113 .

(٣) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٤٥٢ .

(٤) انظر: C.E. Bosworth, The Kufichis or Qufs, p.15

هائلاً من الثروة أودعها في العديد من قلاعه المنتشرة في كرمان وأهمها قلعة بردسير، ولعل هذه الثروة هي حصيلة أعماله السلبية، وقد "سلك مسلك قاطع طريق، وتحالف مع عصابات القفصيين والبلوتشيين، وتقاسم معهم ما كانوا يكسبونه من أعمال السلب(١)، ويضيف مسكويه أنه في سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م شن القفص هجوماً على قافلة تجارية ضخمة، حيث سلبوا ثروة هائلة من تجارها، وانطلق ابن الياس ليحصل على نصيبه من القافلة المنهوبة، لكنه أصيب بالفالج في الطريق(٢)، ونتيجة لما ألم به من مرض كان ابن الياس مجبراً على التخلي عن الحكم، فرتب شؤون إمارته بين أولاده، فعين حينها اليسع قائداً على الجيش ووليا للعهد ويليه بالخلافة الياس، أما سليمان ثالث أولاده فقد كان على خلاف مع اليسع فارتأى ابن الياس إرساله إلى "صُغْد" موطنهم الأصلي محملاً إياه قائمة بالكنوز المودعة هناك. فانطلق سليمان إلى هناك لكنه عرج في طريقه على القفص مطالباً بحصة أبيه التي كان بصدد الحصول عليها عندما ألم به المرض؛ وبعد أن تحقق له ذلك أسس قوة من القفص واتجه بها نحو سيرجان التي سبق له وأن كان حاكماً عليها، وأرسل محمد بن الياس جيشاً تحت قيادة اليسع ليتصدى له فإما إجبار سليمان على المضي باتجاه الصغد أو العودة به أسيراً. وقد لاذ سليمان بالفرار إلى خراسان بعد معركة عنيفة فاستولى اليسع على سيرجان واستمر في نهب خيراتها إلى أن قام قاضيها وأعيانها بطلب الصفح والعفو(٣).

يبدو في تلك الأثناء وجود علاقة وطيدة بين الإلياسيين وبين القفص

---

(١) مسكويه، " تجارب الأمم "، جزء ٢ ص ٢٤٩ والعتبي، نفس المصدر، ص ١١١ و١١٧، وأفضل كرماني، نفس المرجع، ص٦٧، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٤٣٢.
و C.E. Bosworth, Banu Ilyas p. 114.

(٢) مسكويه، نفس المصدر، جزء ٩، ص ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٩، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٥٨٥
و C.E. Bosworth, Banu Ilyas p. 114

والبلوتشيين، وقد تجلت هذه العلاقة واضحة عندما آزروا سليمان وعاضدوه أثناء تمرده في كرمان بعيد القضاء على الدولة الإلياسية على يدي عضد الدولة سنة ٣٥٧هـ، وخلال لجوئه في خراسان سنة ٣٥٩هـ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠م تمكن سليمان من إقناع أمير السامانيين منصور بن نوح لمساعدته في تهيئة جيش يؤلب من خلاله القفص والبلوتشيين ومجموعات أخرى في كرمان ضد البويهيين، وخلال تنفيذ خطته تقابلت قوات سليمان مع قوات نائب عضد الدولة في كرمان ـ كركير بن جستان ونشبت معركة في موضع بين جيرُفت وبَمْ انتهت بهزيمة المتمردين وبمقتل سليمان مع اثنين من أقاربه يدعيان بكر والحسين ـ ابنا اليسع بن محمد بن الياس ـ بالإضافة إلى العديد من القواد القفصيين(١).

وتتشابه هذه الأحداث مع ما قام به الحسين بن محمد بن الياس لاحقاً سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤ ـ ٩٧٥م، فبعد أن علم بأمر الاضطرابات التي برزت في كرمان أسرع قادماً من خراسان إلى كرمان، وهناك حشد عدداً لا بأس به من الأتباع بما فيهم الجروميّة الذين ضموا في صفوفهم بعض البلوتشيين والقفصيين، إلا أن التمرد لم يحقق ما كان يصبوا إليه الحسين، بل على العكس، فبعد أن تم اعتقال الحسين شهدت الدولة الإلياسية أو دولة بني إلياس أفول نجمها للأبد بينما بدأت سلطة البويهيين توسعها شيئاً فشيئاً حتى شملت مكران وكرمان(٢).

---

(١) مسكويه، نفس المصدر، جزء٢ ص ٢٩٠، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٦٠٩.

(٢) مسكويه، تجارب الامم، جزء٢ ص٣٥٩ و٣٦١ والعتبي، تاريخ اليميني، ص١١٦ وابن الأثير، الكامل، جزء٨ ص٦٥٥ وعندما نقرأ (C.E. Bosworth Banu Ilyas p.118) نجد ملخصاً للأحداث على النحو التالي: "آخر ظهور للإلياسيين كان سنة ٣٦٤هـ. فبينما كان عضد الدولة مشغولاً بالأحداث التي وقعت في العراق وعمان حيث فقد الكثير من قواته قاد طاهر بن الصمة عصياناً في كرمان معتمداً على الجروميين، وكان طاهر على اتصال مع قائد السامانيين التركي يوز تيمور الذي غدر به أبو الحسن السيمجوري في خراسان. وهكذا اتحدت القوتان الطاهرية واليوزية مع إقصاء طاهر عن القيادة. وصلت أخبار هذه الأحداث مسامع الحسين بن (محمد؟) إلياس فجاء إلى كرمان وترأس الجروميين وأتباعاً آخرين. وفي غضون ذلك كان=

البلوتشيون والقفص والنفوذ البويهي:

تعود العلاقات بين القفصيين والبلوتشيين من جهة وبين البويهيين من جهة أخرى إلى عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م عندما جند علي بن بويه (عماد الدولة) جيشاً قوامه ١٥٠٠ رجلاً من الديليميين و٥٠٠ رجلاً من الترك، وأولى قيادته إلى أخيه أحمد بن بويه يساعده في ذلك أبو الحسين أحمد بن محمد الرازي الملقب كوردبير أو كوردفير[١] ـ ذون العين الواحدة ـ وكانت الخطة تقضي بالزحف نحو كرمان والاستيلاء عليها ثم إعلانها منطقة تابعة للدولة البويهية[٢]، ويذكر مسكويه أن أحمد بن بويه وصل إلى سيرجان ـ من أعمال كرمان الغربية ـ فاستولى عليها واستباح ثرواتها ووزع غنائمها على قواده وأفراد جنده، وفي تلك الأثناء ـ كما ذكرنا سابقاً ـ كان إبراهيم بن سيمجور الدواتي يحاصر محمد بن إلياس لصالح السامانيين، وحال علمه بدخول الديلميين كرمان انسحب إلى خراسان، وكذلك فعل أبو علي بن إلياس فأخلى قلعته في بَمْ للبويهيين وغادر إلى سيجستان، فاستولى أحمد بن بويه بعدئذ على قلعة بَمْ، وبعد أن ولى أمرها لأحد قواده انطلق قاصداً جيرُفت، العاصمة الإقليمية لكرمان، وعندما بات على مشارفها استقبله موفد من قبل علي بن كُلْويَه ويعرف أيضاً بـ (ابن الزنجي) القائد العام للقفص والبلوتشيين ـ كما كان آباؤه وأجداده من قبل، إذ كانوا يمثلون الهيئة

= أبو القاسم المطهر وزير عضد الدولة قد انتهى من عملياته في عمان وعاد أدراجه إلى فارس فأمره الأمير أن يواجه المتمردين حيث غادر شيراز في رجب من سنة ٣٦٤هـ. أخذ يوز تيمور على حين غرة فأجبر على الفرار إلى قلعة بَمْ حيث حاصره هناك أبو القاسم المطهر إلى أن استسلم أخيراً، وفي هذه الأثناء جمع الحسين الإلياسي ١٠٠٠٠ رجلاً تحت قيادته لكنه هزم في جيرُفت واعتقله الوزير البويهي لينتهي ذكره في أعقاب ذلك وعلى افتراض أنه مات في تلك الفترة فيعني هذا انتهاء محاولات الإلياسيين لاستعادة كرمان".

(١) مسكويه، " تجارب الأمم " جزء١ ص ٣٥٢
و C.E.Bosworth, Banu Ilyasp. 111

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.

الحاكمة على عموم المنطقة[١] - وقد اعتادوا استقبال أية قوة من القوى المتنفذة إن شعروا بتهديدها لهم، فيعملون على إظهار فروض الطاعة ودفع الجزية علماً بأنهم ما دخلوا يوماً مركزاً من مراكز هذه القوى، وفي البدء لم يوافق أحمد بن بويه على ما عرضه علي بن كلويه لاقتناعه بأنه إذا تمكن من دخول جيرُفت أصبح قادراً على إملاء شروطه وأصبح قادراً على إبرام الاتفاقيات والمعاهدات ضمن بنود تحقق مصالحه ومصالح البويهيين، وبناء على ذلك قبل ابن الزنجي شروط أحمد بن بويه فأخلى المدينة وسلمها للبويهيين وقصد هو وأتباعه منطقة تبعد ١٠ فراسخ عن جيرُفت ليعسكر فيها، وسرعان ما بدأت الوفود مساعيها بين الطرفين فأسفرت المفاوضات عن اتفاق يلزم علي ابن الزنجي إرسال رهينة وخراجاً سنوياً يبلغ مليون درهم إضافة للجزية والدعوة للبويهيين في خطبة الجمعة دلالة على الانصياع والطاعة لهم[٢].

لكن كوردبير ما انفك يهمس بإذن أحمد بن بويه مزيناً له المكاسب المحققة إن هو أغار على ابن الزنجي بهجوم مباغت وصاعق فيتخلص منه للأبد . وعملت الفكرة برأس ابن بويه المفتقر للحنكة السياسية والتجارب العسكرية نظراً لصغر سنه، وهكذا بدأ يتملص من اتفاقه وراح سراً يجهز لهذا الهجوم، وبما أن ابن الزنجي كان مشهوراً بالحيطة والحذر، فقد عمل على بث عيونه وجواسيسه ضمن صفوف البويهيين وحول قائدهم أحمد بن بويه فاستطاع كشف ما يبيته ابن بويه نحوه، وهكذا سارع إلى درء الخطر فنظم دفاعه وأمر جماعة من قواته أن تكمن خفية على جانبي أحد الشعاب[٣] - ويسميه أفضل الدين الكرماني شعب دار فريد[٤] - وفور وصول أبو الحسين أحمد بن بويه إلى الشعب مع قواته في ظلمة الليل فاجأهم

(١) مسكويه، نفس المصدر، جزء١ ص ٣٥٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٣ و . C.E. Bosworth's

(٣) مسكويه، نفس المصدر، جـ١، ص ٣٥٣.

(٤) تورد المصادر أن دار فريد إقليم من ضمن المناطق الحارة (السرودية) ويقع شمال غرب كوهي هَزَاز، في أعلى نقطة في جبال كرمان C.E. Bosworth , the Kufichis or Qufs , p. 15 لكن=

البلوتشيون والقفص وانقضوا عليهم واعملوا فيهم القتل والفتك فما نجا منهم أحد إلا قلة استطاعت الفرار، وتلقى الأمير البويهي العديد من الطعنات وفقد ذراعه اليسرى وبعضاً من أصابع يده اليمنى، ولم يستطع المقاومة أكثر فسقط مغشياً عليه يحيط به البلوتشيون، أما "كوردبير" ومن بقي من الحامية في جيرُفت فلاذوا بالفرار حال سماعهم أنباء المجزرة(١)، وفي صبيحة اليوم التالي أمر ابن الزنجي جنوده بتفحص القتلى والبحث عن ابن بويه ليجدوه يصارع الموت فيحملونه إلى "جيرُفت"، حيث أمر ابن الزنجي بمداواة جروحه، وبعد أن استعاد أحمد بن بويه شيئاً من وعيه قدم له ابن الزنجي الاعتذار عما آلت إليه الأمور(٢).

وفور علم عماد الدولة علي بن بويه بالحادث ألقى القبض على كوردبير وعين مكانه أبا العباس الحنّاط القمي وأرسل قوة مؤلفة من ألفي رجل تحت قيادة حاجبه خُطلُخ ليساند أحمد بن بويه وقواته المقهورة، وفي هذه الأثناء أرسل علي بن كلويه بن الزنجي رسولاً إلى اصطخر يحمل رسالة اعتذار ويشرح فيها ماهية الأمر ويعترف بالطاعة، وبدوره أرسل علي بن بويه وفداً مؤلفاً من قاضي شيراز وأبو الفضل العباس الحناط وأبو الفضل العباس بن فَسانَجَس وأعياناً آخرين يحملون رسالة منه إلى ابن الزنجي مفادها أن علي بن بويه قبل اعتذار قائد البلوتشيين على أن يؤدي ما اتفق عليه ويردون الرهينة إلى ابن الزنجي ويجددون المعاهدة على أن يلتزم كل طرف بها، وبالمقابل أطلق ابن الزنجي سراح أحمد بن بويه ومن معه بعد أن عاملهم بكياسة ولطف وحملهم بالهدايا والأموال الطائلة(٣).

لكن الأمور لا تهدأ لمعاودة أحمد بن بويه شن هجوم انتقامي ضد ابن الزنجي

= ابن حوقل يورد أن شعب دار فريد ماهول بالسكان وهو واد خصيب فيه الساتين والقرى بالهواء النقي (صورة الأرض، ص ٣١٠).

(١) مسكويه، نفس المصدر، جزء١، ص ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

لكي يثأر للأذية والإهانة اللتين تلقاهما على يدي القائد الوطني للقفص والبلوتشيين، فانطلق ابن بويه من سيرجان، وعلم ابن كلويه بذلك الهجوم فجهز نفسه وجمع قواته وتحرك لملاقاة أحمد بن بويه، وبعد أن وصل على مسافة فرسخين من جيوش ابن بويه، أغار ابن كلويه ليلاً مع مجموعة من المشاة المتمرسين فأعملوا القتل والذبح متخفين تحت جناح الليلة الماطرة التي يعجز الناس فيها عن تمييز بعضهم إلا باللغة، وبعد أن أمعن البلوتشيون والقفص في قتل قوات بن بويه انسحبوا وتركوهم بقية الليل. وفي الصباح الباكر لملم البويهيون شتاتهم وتجمعوا ضمن قوة هاجمت ابن الزنجي في معركة نزيهة قتل فيها الكثير من البلوتشيين والقفص، وانتهت بهزيمة ابن كلويه(١)، وحسب ما يسَجِّله مسكويه فإن القائد البويهي الشاب رغم هذا الانتصار لم يهنأ له بال، فيورد قائلاً: "وبعد أن تهيأ له الظفر بجزء مما كان يريده يعتزل أبو الحسين علي بن بويه شؤون الدولة وتظل الضغينة تغلي في صدره"(٢).

وبعد أن يطمئن عماد الدولة ويقتنع بأن الهدوء عاد إلى كرمان إثر الاستيلاء على سيرجان، وبعد أن يدرك عدم ضرورة تشتيت موارد البويهيين على قاطني الجبال والمجموعات القبلية البلوتشية والقفصية يستدعي أخاه معز الدولة وبقية جيشه إلى اصطخر(٣)، وقد يكون هناك سبب آخر يكمن وراء استدعاء الجيش إلى اصطخر وهو مسألة الحفاظ على قوة الجيش من أجل حملات تبدو في غاية الأهمية والضرورة مثل الحملة على الأهواز أو الحملة على خراسان اللتين حدثتا لاحقاً سنة ٣٢٦هـ(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: . C.E. Bosworth , "Banu Ilyas" , p. 112 ; Idem , " The Kufichis or Qufs, " p.15

(٤) مسكويه، تجارب الامم، جزء ١ ص ٣٧٨ وابن الأثير، الكامل، جزء٨ ص ٣٤٠ وابن كثير، "البداية والنهاية "، جزء١١ ص ١٨٩.

بيد أن الأحداث اللافتة للنظر والتي جرت بين القفص والبلوتشيين والبويهيين تثير فضولنا لمعرفة ما الذي حدا بسكان القسم الجنوبي من كرمان لإظهار العداوة تجاه البويهيين، هل كان السبب شعور الكراهية التي يكنها السكان المحليون تجاه سلطة الديلميين؟ أو أن السبب يعود لشعور الوطنية المتأجج والذي نما مع توسع دولة البويهيين؟ أم كان السبب يكمن في ميل هؤلاء الناس الطبيعي نحو حكم ذاتي والتمتع بحياة هادئة وآمنة بعيدة عن سلطة أية قوة أجنبية تسيطر على كرمان؟ ومهما يكن فإن معلوماتنا تعتمد على الاستدلالات الافتراضية المستقاة من المصادر التاريخية المبكرة، يذكر مسكويه ويتبعه ابن الأثير أنه عندما استولى إبراهيم المسمعي على منطقة القفص (من المعلوم أن البلوتشيين كانوا يقيمون في هذه المنطقة أيضاً)[(١)] احتجز ٥٠٠٠ أسيراً وقادهم إلى فارس وباعهم هناك، ويرد أيضاً أنه عندما اقترب أحمد بن بويه من جيرفت قابله هناك رسول من علي بن الزنجي القائد العام للبلوتشيين والقفص الحاكم المطلق لتلك الأقاليم كما كان أجداده من قبل، ومما نعلمه فإنهم كانوا يؤثرون التعامل بلطف وكياسة مع القوى الأجنبية التي كانت تحكم كرمان، وكانوا يبدون فروض الطاعة ويخضعون لنفوذهم ويدفعون الأتاوات، لكنهم ما كانوا يطأون مراكز حكمهم[(٢)]، وكان القصد من الرسول هو تفادي الاشتباك مع قوات أحمد بن بويه، لكن الأخير أصر على دخول جيرفت حتى بعد توقيع المعاهدة التي لم يلتزم بها، ومن جهة أخرى فإن المقدسي يؤكد على أن البويهيين "يقهرونها (المنطقة الجنوبية من مكران) بعد سلسلة من المذابح الجماعية ويخضعون سكانها لسلطتهم ويخربون الإقليم بكامله فلا ينجم عن أعمالهم سوى الدمار[(٣)] " لعل كل ما ورد أثار المشاعر السلبية تجاه

(١) الاصطخري، "مسالك الممالك" ص ١٦٤، وابن حوقل، "صورة الأرض" ص ٣٠٩، والمقدسي، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص ٤٧٠.

(٢) مسكويه، "تجارب الأمم"، جزء ١ ص ٣٥٣ وابن الأثير، "الكامل في التاريخ"، جزء ٨ ص ٣٢٥.

(٣) نفس المصدر، ص٤٧٢.

البويهيين بين القفصيين والبلوتشيين.

وفي ظل تلك الظروف آنذاك يغض البويهيون الطرف عن شؤون كرمان خلال العقود الثلاثة التالية وبعض السنين التي ستأتي، لكن الأمور تختلف بعد تولي اليسع بن محمد ابن الياس حكومة كرمان خلفاً لوالده مما يثير حفيظة واهتمام عضد الدولة (البويهي)، فيقرر العودة إلى كرمان فور انتهائه من أمور عمان سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م، وحسب ما يورده العتبي فإن اليسع يظهر حماقة مطلقة في نزاعة مع البويهيين حول منطقة تقع على الحدود بين فارس وكرمان، ويتكلم العتبي مستشهداً بالمثل القائل "فقد حمار الوحش أذنيه مقابل سعيه للحصول على قرنين"(١)، ليشير إلى الوضع الخطر الذي وضع اليسع نفسه فيه، وقدم اليسع الملجأ والملاذ لمجموعة من أتباع عضد الدولة الذين تخلو عنه، وقدم لهم العطايا وزينهم ببرد الشرف اللماعة لكنه سرعان ما غير موقفه منهم عندما عاد بعضهم إلى أكناف عضد الدولة فارتاب بأمر الباقيين خشية أن يكونوا جواسيس للبويهين، وهكذا تحول الود والوئام إلى عداء كان نتيجته أن أنزل بهم العقاب فقطع أعضاء من أجسادهم وبالمقابل تصرف عضد الدولة بحكمة وذكاء فاستطاع أن يتألف عدداً لا بأس به من اتباع اليسع بإغداق الأموال عليهم ليتخلى زهاء ألف رجل من الديلميين مع العديد من الترك عن اليسع ويلتحقوا بعسكر عضد الدولة.

وعلى أثر ذلك غزا عضد الدولة كرمان واحتل مدينة بردسير الهامة وحاصر المناطق ذات النفوذ التابعة لها (رمضان ٣٥٧هـ/ أغسطس ٩٦٨م). وبعد أن وجد اليسع نفسه معزولاً مع بعض عبيده لاذ بالفرار إلى بخارى حاملاً ما استطاع من كنوزه وممتلكاته. وهنا ثبت عضد الدولة ونفوذه وسلطته في كرمان وعين ابنه أبا الفوارس شيرزيل حاكماً على كرمان وتوابعها وعين قائده كوركير بن جستان

---

(١) العتبي، "تاريخ اليميني بشرح احمد بن علي المنيني" ص١١٧. والترجمة الإنجليزيـة لـ:

J. Reyrolds (London, 1858) p. 356.

ممثلاً له، وفي تلك الأثناء استقبل عضد الدولة رسولاً من قبل أمير الصفاريين أبي أحمد خلف بن أبي جعفر أحمد (ويعرف أيضاً بابن بانويه حسب ما يذكره مسكويه)(١).

وبعيد غزوات عضد الدولة في كرمان شرع البلوتشيون والقفص في مقاومته، وقد لاحظنا مسبقاً تآمرهم مع سليمان بن محمد بن الياس أثناء محاولته إعادة الاستيلاء على كرمان سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م والتي باءت بالفشل، وفي السنة التالية تجسدت هذه المقاومة عندما شكل المنوجانيون (نسبة إلى إقليم منوجان بين جيرفت وهرمز على الخليج) تحالفاً مع البلوتشيين والقفصيين، وكان من بين قوادهم أبو سعيد البلوشي ـ للثورة ضد البويهيين. وعندما علم عضد الدولة بذلك أرسل عبيد بن علي على رأس قوة لمؤازرة كوركير بن جستان الذي اتجه إلى جيرفت حيث وقعت معركة في العاشر من صفر سنة ٣٦٠هـ/ ديسمبر ٩٧٠م أسفرت عن هزيمة القفص والبلوتشيين بعد مقتل ٥٠٠٠ رجل من مقاتليهم واعتقال أبو الفوارس المنوجاني وابن أخيه وآخرين من أتباعهم(٢)، ولكي ينتهي من أمرهم ظل عبيد بن علي في أثرهم حتى وصل إلى هرمز التي أخضعها لسلطانه، كما أنه وسع من مناطق عملياته على طول ساحل بيابان ومكران حتى انتهى إلى "تيز"، حيث استطاع أسر ٢٠٠٠ فرد من الرجال والنساء والأطفال. وبأعقاب ذلك طلب البلوتشيون والقفص السلم وتنازلوا عن قلاعهم ومدنهم فتوقفت الحرب واتفقت الأطراف على العمل ضمن شروط المعاهدة التي تمت بينهم(٣)، ويذكر أن عبيد بن علي أثارت انتباهه مجموعات أخرى تعرف باسم

---

(١) " تجارب الأمم " جزء ٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٣، والعتبي، " تاريخ اليميني " ص١١٧ ولنفس المؤرخ ترجمة ج. رينولدز (لندن ١٨٥٨م) ص٣٥٦
و . C.E.Bosworth, "the Kufichis or Qufs," p.16

(٢) مسكويه، نفس المصدر، جزء٢، ص ٢٩٨، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٦١٣.

(٣) مسكويه، نفس المصدر، جزء٢، ص ٢٩٩، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٦١٤.

الـخُرّميّة والجاشكية ـ سكان جاسك (أوجاشك) وجوارها[١] ـ التي كانت تسيطر على الطرقات البحرية والبرية، واستطاع عبيد بن علي قتل الكثير منهم بما فيهم قائدهم أبي علي بن كلاب، وأرسل من اعتقل منهم إلى شيراز[٢].

وعلى الرغم مما مر من أحداث دموية استهدفت البلوتشيين والقفصيين، فقد استطاعوا أن يستردوا قوتهم ويعيدوا تنظيم أنفسهم تحت إمرة محمد بن علي البارزي، فنشروا الرعب بين القوافل المتحركة ضمن كرمان وسيستان وخراسان وعانى الناس الكثير من جراء أعمالهم المروعة، وبالتالي قرر عضد الدولة البويهي في شهر ذي القعدة سنة ٣٦٠ هجرية أن يقود حملة ضدهم يرأسها هو بنفسه، وهكذا انطلق إلى كرمان وعند وصوله سيرجان أرسل عبيد بن علي مع جيش من المشاة المبارزين يتضمن ديلميين وجيليين وترك وعرب وكرد وزط إلى جبل البارز، حيث كان البلوتشيون على جبل البارز واستبدلهم بمقيمين جدد من الفلاحين والمزارعين[٣].

وحسب ما يذكره مسكويه فإن عبيد بن علي يلتفت بعد تلك الأحداث إلى مقارعة الجاشكيين وجماعات أخرى اتخذت من الجاشكيين مثالاً، فأثارت القلاقل

---

(١) ما من شك أن الجشكيين ينسبون إلى مكان يدعى جاشك (جاسك) وقد أورد مسكويه مكان إقامتهم خلف جبال القفص وبجوار تيز ومكران. (انظر، تجارب الأمم، جزء٢ ص ٣٠١). وتقع جاشك الحديثة في نفس المنطقة وما تزال تحمل الاسم ذاته انظر:

J.G. Lorimer , GPGOCA, Pt ii, p. 914 - 931 .

وابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٦١٣ حيث يرد خطأً واضحاً في إدراج الاسم وانظر أيضاً خدابخش، " أضواء على بلوتشستان " ص١٠٥ وأيضاً :

C.E.Bosworth, "The Kufichis or Qufs," p. 15 .

(٢) مسكويه، نفس المصدر، جزء ٢، ص ٢٩٩، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٦١٣ - ٦١٤.

(٣) مسكويه، نفس المصدر، جزء٢، ص٢٩٩، وابن الأثير، نفس المصدر، جزء ٨ ص ٦١٤، و

C.E.Bosworth, " Banu Ilyas " , p.118 .

C.E.Bosworth, " Kufs " , EI2 , VOL.V, p. 353.

والبلبلة خلف جبال القفص المجاورة للتيز ومكران على طول الساحل حتى حدود عمان، حيث نشرت الرعب وأمعنت في القتل وانتهكت حرمة سكان تلك المناطق، كما أرسل أخاه على رأس فرقة قوية من الديلم والترك والعرب وآخرين يحملون المؤن والزاد على جمال سريعة براً وعلى متن القوارب بحراً من سيراف إلى مكان يدعى مكلا هرمز وساحل كرمان، ومن ثم اجتاز أخو عبيد الكثير من الأصقاع والمضائق حتى وصل إليهم وأخذهم على حين غرة فتمكن من إخضاعهم بعد أن أعمل في رجالهم القتل وفي نسائهم وأطفالهم الأسر فأفناهم عن بكرة أبيهم[١]، ويؤكد سي. بوزورث، أن سلسلة الأحداث هذه هي التي أشار إليها ابن حوقل باعتبارها لم ترد في أعمال الاصطخري وبناءً عليه فهي أحداث أكثر معاصرة، يقول ابن حوقل عن البلوتشيين: "استأصل القائد هذا الألم المستمر وكسر شوكتهم، وبحث عن مواضعهم ودمر بلادهم وبعثرهم، ثم اتخذ منهم عبيداً لخدمته وأعاد توزيع انتشارهم في مناطق متفرقة من المملكة"[٢] لاحقاً، وبعد عشرين سنة، يورد المقدسي أن الحملات البويهية ضد البلوتشيين والقفص والطلب منهم إرسال رهائن عنهم، كان لها تأثير كبير، فأصبحت القوافل التي تعبر الصحراء الكبيرة تمر بسلام وطمأنينة إن كانت ترافقها طلائع من قوات الأمير البويهي في فارس[٣].

ويبدو أن البلوتشيين والقفصيين لم يذعنوا لسلطة البويهيين، فأصبحوا يعملون وينشطون ضمن الذين ثاروا لاحقاً بقيادة أميرهم المحلي طاهر بن الصِّمَّة الذي تحالف مع يوز ـ تيمور القائد التركي للسامانيين الذي وقع في خديعة أبي الحسن السيمجوري أمير خراسان، لكن تحالفهم لم يستمر طويلاً بسبب صراعهم ضد الفوضى التي اندلعت بين الجروميين أنفسهم، زعيمهم طاهر الذي اتهم يوز -

(١) مسكويه، " تجارب الأمم " جزء ٢ ص ٣٠١، وخودابخش، نفس المرجع، ص١٠٥ - ١٠٧.

(٢) الاصطخري، " مسالك الممالك " ص٣١٠.

(٣) " أحسن التقاسيم... " ص ٤٨٨ و C.E.Bosworth, Banu Ilyas, p. 118

تيمور بأنه هو سبب البلبلة. وأدىّ هذا الصراع والعداوة إلى معارك طاحنة بين أطراف الحلف وانتهت باقتياد طاهر أسيراً. ثم بعد ذلك نجد الجروميين يجتمعون حول الحسين بن محمد بن الياس الذي كان في خراسان، ومن ثم نزل إلى كرمان، فبعد سماعه خبر تمرد الجروميين، أراد أن يكسب تأييد القفص والبلوتشيين له لكي يعيد أمجاد عائلته الماضية، لكن أحلامه انتهت بكوابيس؛ إذ قتل في معركة على باب جيرفت ضد قائد البويهيين قاسم المطهر بن عبد الله سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م، وأما طاهر بن الصمة ويوز ـ تيمور فكانا قد أسر سابقاً وحكم عليهما بالموت(١).

ويبدو بعد تلك الأحداث على مكران وأجزائها الجنوبية أنها دخلت فترة من الاستقرار والأمن الداخلي، لذلك لم تورد المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة أية أحداث عدائية قام بها البلوتشيين والقفص، ولكن ابن الأثير يورد أنه سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠-١٠٠١م وفي أعقاب خلاف بين طاهر بن خلف بن أحمد مع والده في سيستان، رحل طاهر إلى كرمان ليبحث عن إمارة له هناك، فيصعد إلى الجبال التي تحوي العصاة والمتمردين ويعزز قواته بتحالفات معهم، ومن ثم يتجه إلى جيرفت فيستولي عليها كما يستولي على بَم أيضاً، لكن الغازي الصفاري لا يستطيع المكوث طويلاً لأن البويهيين هاجموه وأجبروه على الفرار إلى سيستان(٢)؛

---

(١) مسكويه، نفس المصدر، جزء٨، ص٣٥٩ ـ ٣٦١ وابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٦٥٥ و C.E.Bosworth, Banu Ilyas

(٢) يذكر ابن الأثير أن حاكم كرمان كان حينئذ أبو موسى سياه جيل (بينما يذكر ابن خلدون سياه حشم انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص١٠٠). ويضيف بأن سياه جيل هذا أخطأ في تقدير خطورة وقوة طاهر بن خلف وذلك على الرغم مما قد بلغه عنه من قوته، ولذا فقد جمع طاهر قوة من الجند تمكن بها من فتح "جيرُفت" وإيقاع الهزيمة بأبي موسى سياه جيل، فما كان من سياه جيل إلاّ أن فزع إلى عضد الدولة يستمده فأمده بقوة يقودها أبو جعفر أستاذ هرمز. وإثر ذلك وقعت بينهما معركة حول مدينة "بَمْ" انتهت بهزيمة طاهر بن خلف وأتباعه وفرارهم إلى سيستان. انظر "الكامل في التاريخ"، جـ٤، ص ١٦٦ وما بعدها.

ومما ورد نستطيع القول أن سكان الجبال هؤلاء ـ وبما كان بينهم من قفص وبلوتش ـ لم يكونوا على وئام مع البويهيين فلذلك آثروا التعاون مع طاهر بن خلف وغيره ضد البويهيين(١).

ومن المعتقد أن تكون غارات البويهيين المؤلمة والمتتالية سبباً في هجرة البلوشيين، وربما القفص أيضاً إلى مكران، ومن ثم باتجاه الشرق إلى ما يعرف ببلوشستان(٢)، وعندما زار المقدسي بنجبور سنة ٣٧٠ هجرية تقريباً، ومن ثم أكبر بلدة في مكران لاحظ أن اللغة البلوشية كانت هي المهيمنة(٣)، وقد يوحي هذا بأن البلوشيين كانوا في تلك المنطقة منذ أزمنة بعيدة سبقت مجيء البويهيين إلى السلطة، إذ أن انتشار لغة على نطاق واسع يتطلب أجيالاً، وبهذا تكون بنجبور ـ حالياً بنجگور ـ إحدى أماكن استيطان البلوشيين ضمن سياق التاريخ قبل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي).

مرحلة السلاجقة:

يرد في سمط العلا أنه في شعبان من سنة ٤٤٢هـ/ ديسمبر ١٠٥٠م تمكن القائد السلجوقي الملك قاورد بن تشغري ـ بيك من السيطرة على كرمان بشكل كامل بما فيها بلاد القفص والبلوتشيين(٤).

وتذكر المصادر أن قاورد جهز جيشاً من أجل اجتياح البلاد التي هي أساس موارد وعائدات كرمان، ولعلمه استحالة الوصول إلى معاقل القفصيين الجبلية باستخدام أساليب الهجوم المباشرة، لجأ إلى الحيلة والخداع فأرسل رسولاً إلى قائد

(١) ابن الأثير، "الكامل في التاريخ" جزء٩ ص ١٦٦، وابن خلدون، "تاريخ ابن خلدون" جزء٤ ص ٧٠٩.

(٢) انظر: . C.E.Bosworth, " The Kufishis or Qufs , " , p. 16
R.N. Frye , " Remarks on Baluchi History, " CAJ. VOL.VI (1961) p.47 .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٧٨.

(٤) انظر ناصر الدين المنشي، "سمط العلا"، ص ٧٧ وأحمد علي خان وزيري، "تاريخ كرمان سالاريّه"، ص٧٩.

القفص محملاً إياه عباءة الشرف والهدايا الجزيلة، ومنحه سلطة رسمية تخوله إدارة شؤون البلاد الممتدة من وادي دار فريد وسري بيزان إلى الساحل، قائلاً: "إنني تركي فلا مياه ولا طقس (الجروم) يلائمان تكويني الجسدي ولا أتباعي، ولا بد لي من نائب يعمل لصالحي، فهل يوجد نائب أفضل منك؟(١)" ويذكر أن مركز إدارة القفص كان في جبال بارجان (جبال البارز). يعين قارود بعد ذلك أحد مستشاريه الثقاة الذي سبق له وذهب في مهمة عند القفص مدعياً أنه جاء ليحرر جبل البارز من ظلم قاورد، فاندمج مع القفصيين على أنه ألد أعداء قاورد، وبعد أن تمكن من كسب ثقة القفصيين، وبعد أن أصبح ضليعاً بتضاريس المنطقة برمتها، انسل إلى بلاط الملك قاورد وأعلمه عن اجتماع بين قادة القفصيين وذكر له الزمان والمكان، وقد سبق لقائد القفصيين أن قال مخاطباً قادته: "إن كان (قاورد) يخفي خططاً دنيئة، فسنتعامل معه مثلما تعاملنا مع معز الدولة، فأنا لست أقل حنكة من جدي"، لكن قاورد انقض على قادة القفصيين في اجتماعهم وذبحهم حتى آخر رجل(٢).

ومن المحتمل أن تكون هذه المحن بداية تنحي البلوتشيين والقفص عن مجريات الأحداث في سياق تاريخ كرمان، إذ أن المؤرخين يحجمون عن ذكرهم في أعمالهم، ولكن تبقى قضية بقائهم في كرمان أو ترحيلهم عنها في عهد السلاجقة في دائرة الاستفهام إلا أن بعض المستشرقين يميلون إلى القول بأن البلوتشيين عانوا الكثير من السلاجقة مما دفعهم إلى هجرة بلادهم في كرمان واتجهوا ضمن مجموعات إلى مكران أو سيستان، ومن ثم إلى ما كان يعرف حينئذ

(1) C.E.Bosworth, " The Kufichisor Qufs ", p.17 .

(٢) انظر المرجع السابق، وأيضاً أفضل كرماني، "عقد العلا"، ص ٦٦ ولنفس المؤلف انظر "تاريخ أفضل بدائع الزمان في وقائع كرمان"، تحقيق مهدي بياني (طهران ١٩٣٧م) ص ٥ ـ ٨، وانظر محمد بن إبراهيم، "تاريخ السلاجقة في كرمان" تحقيق ام. ث. هوتسما (لايدن ١٨٨٦م) ص ٥ ـ ٨.

بخانية كلات[١]. ومع ذلك هناك إشارة في كتاب محمد بن إبراهيم " تاريخ سلجوقيان كرمان "[٢] تدل على وجود القفص والبلوتشيين حتى نهاية القرن السادس الهجري في كرمان، كما يرد كيف انصاعوا لقائد الغز التركمان - الذين جاؤوا بعد السلاجقة - الملك دينار الذي مد نفوذه على بلاد الكوج والبلوتش بعد أن استولى على جيرُفت، ولم يلق مقاومة إلا من المانوجانيين، حيث أخمد تمردهم بالكامل. ويرد ذكر البلوتشيين والقفص مرة ثانية وهم يقيمون بجوار هرمز، حيث اتخذوا تاج الدين شاهنشاه أمير هرمز، مثالاً لهم حينما عقدوا الصلح مع الأمير نظام الدين حوالي سنة ٥٩٠هـ[٣].

ومن ذلك الحين تغيب معالم القفص والبلوتشيين نهائياً أو تكاد، ويكتنف الغموض أخبارهم إلى أن يزور بوتنغر باشكرد (جبال القفص سابقاً) في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حيث التقى ببعض البلوتشيين هناك، ومرة أخرى يرد ذكرهم على لسان الإيراني "فارمان فارما" عندما طاف سنة ١٨٧٢م إقليم كرمان، وفي بيجن آباد - قرية في وادي جيرُفت - استقبله إبراهيم خان سرتيب مع زعماء من البلوتشيين، ويورد أيضاً أن إبراهيم خان كان رجلاً صاحب نفوذ إذ أعدم أربعاً من البلوتشيين الخارجين عن القانون[٤].

---

(١) انظر: M. Lingworth-Dames , the Baluch Race (London, 1904) p.33; idem, " Baloci-stan " , EI 1st. ed. p. 636; M. The Houtsma, " Recueil de Textes relatifs a L' Histoire de seld-joucides, VOL.I, p.5 -7, cited In EI 1st. ed. , art. cit; R.N. Frye, " Remarks on Baluchi His-tory , " p.47; P.M.Sykes , Ten Thousand Miles in Persia, p. 100ff, C.E. Bosworth, loc.cit .

(٢) انظر الصفحة ١٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٨١. ومن الجدير ذكره هنا أن بيرسي سايكس يقول بأن " قد أبرم الكوج والبلوتش معاهدة سلام مع تاج الدين شاهنشاه " لكنه لم يورد أي سند. انظر:
Ten Thousand Miles in Persia, p. 101 .

(٤) انظر "سفرنامه في كرمان وبلوتشستان" ، طبعة فارسية (طهران ١٩٦٣م) ص ٥٥. ومن جهة أخرى فإن البرفسور بوزورث يميل إلى الرأي القائل أن مقداراً ضئيلاً من شعوب القفص ما تزال موجودة في الدراسات الإحصائية لكرمان الشرقية ومكران.

الأسرات الحاكمة المحلية وبلوتشستان:

من خلال عملنا على إعادة تركيب خريطة مكران والسند السياسية وجدنا معلومات قليلة متناثرة هنا وهناك تفيدنا في تخمين تاريخ المنطقة خلال القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري.

بعد موت أمير السند هارون بن خالد سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، استلم عمر بن العزيز الهبّاري السلطة سلمياً، وسرعان ما فوضه الخليفة المتوكل والياً رسمياً. وبعد أن استقرت له الأمور نزع إلى الاستقلال، وشرع يؤسس حكماً خاصاً به وبسلالته مع احتفاظه بالدعاء للخليفة العباسية في خطبة الجمعة[١]، وأما فيما يتعلق بتوسع نطاق نفوذ الهبّاريين ليشمل مكران وأجزاء أخرى من بلوتشستان فلم يتبين بعد.

وأثناء حكم الصفاريين (٢٥٥ - ٢٨٨هـ/ ٨٦٨ - ٩٠١م) أوكل الخليفة العباسي المعتمد شؤون إقليم السند[٢] ومناطق أخرى إلى يعقوب الصفار[٣]، وبعد موت يعقوب سنة ٢٦٥هـ /٨٧٨ - ٨٧٩م أوكل الموفق، بالنيابة عن الخليفة المعتمد، شؤون الأقاليم إلى عمرو بن الليث الصفار[٤].

ومع ذلك، يبدو أنه تم استثناء إقليم السند إبان ولاية مصعب بن عمر

---

(١) ابن حزم، "جمهرة أنساب العرب"، ص ١١٨ حيث يضيف المؤلف أن السلطان محمود قضى على وجودهم، لكن هذا الإيراد يبدو غريباً لأننا لا نجد في هذه الفترة ذكراً لسلطان بهذا الاسم. انظر أيضاً قاضي أطهر، "الهند في عهد العباسيين"، ص٥٥ ولنفس المؤلف، بالأردية "هندوستان مي عربون حكومتين"، (دلهي ١٩٦٧م) ص ٧٧ وأيضاً "تاريخ اليعقوبي" جزء ٢ ص٤٩٠.

(٢) يجب ملاحظة أن مكران صارت تذكر ضمنياً مع اسم السند إن لم يتم تحديدها اسمياً.

(٣) ابن الأثير، نفس المصدر، جزء٧ ص ٢٧٤ وابن كثير، "البداية والنهاية"، جزء ١١ ص ٢٨ وقاضي أطهر، "الهند في عهد العباسيين"، ص ٥٦.

(٤) القلقشندي، "مآثر الإنافة في معالم الخلافة"، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، (طبعة مكررة) جزء١ (الكويت ١٨٨٥م) ص ٢٥٩. وانظر:

H.G. Raverty, Notes on Afghanistan and Beluchistan, repr. (Lahore, 1976) p.570 .

الهبّاري، إذ تورد المصادر أنه أرسل سنة ٢٧١هـ هدية نفيسة للخليفة المعتمد(١)، وبعد انحسار نفوذ الصفاريين في إيران أصبحت البلاد الشرقية مسرحاً لنزاعات وصراعات المغامرين الباحثين عن النفوذ والسلطة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وقد عانت المناطق من الفوضى جراء الصراعات بين السامانيين والخارجين عليهم من القادة المتمردين في جُرجان وطبرستان والري وكرمان من جهة وبين الصفاريين في سيستان ومناطق أخرى. من جهة ثانية وبدا أنه في خضم هذه الفوضى أصبحت مكران وأجزاء أخرى من بلوتشستان لا تثير شهية أحد لذلك تم إهمالها، وقد يعني هذا من منظور آخر أن شعوب تلك المناطق استطاعوا تطوير نوع من الملكيات الفردية المحلية والصغيرة في مشكي وقصدار وفي كيج مكران ـ تحت حكم بني معدان.

ولنبدأ من مكران إذ يذكر الاصطخري وجود حاكم مستقل في ماشكي يتمتع بحكم مطلق على سائر المنطقة يدعى مطهر بن رجاء وبلغت إمارته ٣ فراسخ عرضاً، ولم يعترف بأية سلطة سوى سلطة الخليفة في بغداد(٢)، ولسوء الحظ أن يستشهد الجغرافيون الذين جاؤوا بعد الاصطخري بما ذكره دون إضافات تذكر(٣)، ويميل القاضي أطهر إلى افتراض زمن ازدهار هذه الإمارة سنة ٣٤٠هـ(٤).

ومن المعتقد أن حكم الأسرة المعدانية لمكران بدأ تقريباً منذ العقود الأخيرة للقرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كما نوهنا سابقاً، ولكن الاصطخري الذي كتب عن المنطقة سنة ٣٤٠هـ ـ معتمداً في معلوماته على كتاب البلخي

---

(١) الرشيد بن الزبير، "الذخائر والتحف" ص ٣٧، وقاضي أطهر، الهند في عهد العباسيين، ص ٥٧ ولنفس الكاتب، "هندوستان مي عربون حكومتين" ص ٩٩.

(٢) الاصطخري، " سالك الممالك"، ص ١٧٨.

(٣) ابن حوقل، "صورة الأرض"، ص ٣٢٥، والمقدسي، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ص ٤٧٥، وياقوت الحموي، " معجم البلدان "، جزء٤ ص ٦١٢ ـ ٦١٤.

(٤) " رجال السند والهند "، ص ٢٣٥.

المؤلف سنة ٣٢٤هـ - يؤكد أن عيسى بن معدان كان حاكماً على مكران وكان يدعى في لغتهم مهراج[١]، ويورد ياقوت الحموي أن عيسى بن معدان حكم مكران حوالي سنة ٣٤٠هـ[٢]، ويضيف ابن حوقل أن عيسى بن معدان يعود بأصوله إلى عشيرة عربية من عرب الشام - الشاميين - وكان يقيم في كيز (أيضاً كيش أو كيج)[٣]، أما المقدسي الذي زار البلاد حوالي سنة ٣٧٠هـ، فيثني على حاكمها لعدله وإنصافه[٤].

ومن اللافت للنظر ألا يؤكد أحد في البداية على أن المعدانيين اعترفوا بقوة أجنبية قبل الغزنويين ما عدا التلميح الوحيد للصفاريين، وبالمقابل يورد بعض جغرافي العصور الوسطى أن معظم رستاقات (مجموعة قرى) في مكران كانت مأهولة بالشراة (الخوارج)[٥].

ويشير أبو علي مسكويه - المصدر الرئيس حول عمليات عضد الدولة في كرمان ومكران - إلى عبيد بن علي، وقد هزم البلوتشيين في جيرُفت في صفر من سنة ٣٦٠هـ/ ديسمبر ٩٧٠م وظل يطاردهم حتى وصل إلى تيز ومكران، ومع ذلك لا يمدنا بأي معلومات إضافية وتفاصيل أخرى، فيما إذا واجه عبيد بن علي

---

(١) الاصطخري، نفس المصدر، ص١٧٧ علينا ألا ننسى أن الاصطخري اعتمد في كتابه على كتاب أبو زيد البلخي الذي ألفه سنة ٣٢٤. ومن هنا قد يجرؤ المرء على القول بأن المعدانيين أنشأوا سلطتهم في الربع الأول من ذلك القرن - الثالث الهجري - أمر قبله بكثير انظر:
M.G.De Goeje, Biblotheca Geogrphorum Arabicorum, IV, 2nd ed. (Leiden 1967) p.62.

(٢) ياقوت الحموي، نفس المصدر، جزء٤ ص ٦١٤ وقاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين " ص٦٢.

(٣) المصدر السابق، ٣٢٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٨٤.

(٥) ابن حوقل، نفس المصدر، ص٣٢٥، وياقوت الحموي، نفس المصدر، جزء ٤ ص٨٦، وقاضي أطهر، " رجال السند والهند "، ص ١٨٣ ولنفس المؤلف " هندوستان مي عربون حكومتين " ص ٢٥٩، والمسعودي، " مروج الذهب "، جزء ٥، ص ١٤٢.

المعدانيين، وفيما إذا خضع المعدانيون للبويهيين أم لا[١].

وعلى الرغم من خضوعها للغزنويين الأوائل[٢]، فإن مكران تبدو وكأنها مكان لم يثر اهتمام أحد حتى أوقات لاحقة في أواخر عهد السلطان محمود، وحسب المصادر فإن معدان بن عيسى بن معدان مات سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م[٣]، واختلف ولداه عيسى وأبو العسكر الحسين[٤]، وتنازعا على اعتلاء العرش، وقد نجم عن هذا الصراع الاعتراف بعيسى أميراً على البلاد، إذ أن الجيش والشعب كانا يؤيدانه[٥]. وأما أبو عسكر الحسين ففر إلى سيستان حيث طلب اللجوء والمساعدة فاستقبله حاكمها الغزنوي خواجه نصر الخوافي، وبطبيعة الحال أدرك الغزنويون أن لجوء أبي العسكر الحسين إليهم لهو فرصة ذهبية لا بد من استغلالها لإلحاق مكران بمملكتهم دونما عناء، ولذلك أمر السلطان محمود، بدهاء، أن يعامل أبو العسكر الحسين بحفاوة وإجلال وأن يدخلوه بلاطه في غزنه متى شاء[٦]، ويورد أبو الفضل البيهقي - فور علم عيسى بذلك اللجوء والاستقبال فشعر بالخوف وأرسل قاضي مكران بمهمة مع لفيف من وجهاء مكران يحملون

(١) مسكويه، نفس المصدر، جزء ٢ ص ٢٩٩. وحسب ما يرد في (كامبريدج: تاريخ إيران) جزء٤ ص ١٧٣ فإن الولاة في مكران كانوا تابعين للبويهيين لبعض الفترات دون أن يرد متى كان ذلك.

(٢) البيهقي، "تاريخ البيهقي" ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت (القاهرة ١٩٥٦م) ص ٢٤٤ وأيضاً النسخة الفارسية لتاريخ البيهقي تحقيق علي أكبر فياض (مشهد ١٩٧١م) ص ٣١٤. وانظر أيضاً: . C.E. Bosworth , " Makran " , EI 2nd , VOL.VI. p. 193

(٣) انظر: . CHIr., VOL.IV, p. 173

(٤) الغرديزي، "زين الأخبار" تحقيق عبدالحي حبيبي (طهران ١٩٨٤م) ص ٤٢٥ (يجب الإشارة أن اسم عيسى اختلط على المؤلف مع اسم أخيه الحسين) وانظر ابن أبي أصيبعة "طبقات الأطباء" تحقيق عبدالسلام هارون حيث تم ذكره من قبل قاضي أطهر في كتابيه " رجال الهند والسند"، ص ٩٧، و"هندوستان زمن الحكومات العربية"، ص ٦٤.

(٥) "تاريخ البيهقي"، النسخة العربية ص ٢٦٤ والنسخة الفارسية ص ٣١٤.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

الرسائل والوثائق التي تثبت شرعيته لخلافة والده في المنصب، وأنه لولا نزاع أخيه معه لكان ينعم بحياة هادئة ثم يعلن الولاء للسلطان محمود ويتابع قائلاً:

" وإن ارتأى سيدي (السلطان محمود) وجوب بقاء هذه البلاد تحت إمرتي فله أن يطلب ما يشاء كما فعل الأمير العادل مع والدي من قبل، وسوف أرسل ما يريد سيدي دون انقطاع في مناسبات النيروز والمهرجان، وأما في غضون ذلك فسأرسل لأخي كل ما يريده مما قد يطلبه السلطان كي أوقع عليه صاغراً مطيعاً لكم، كما أناشد السلطان أن يرسل مبعوثاً يحمل البردة وصك الإمارة، وإني على يقين أن سيادتكم تقدرون أننا دعونا لكم في الخطبة، وهكذا تكون سلطتي معززة مما يحفظ أمن هذه المنطقة"(١). من هنا بدا وكان السلطان محمود قد اقتنع بعرض عيسى ووافق عليه رسمياً، فأعلن شروطه لموفدي مكران وأعادهم إلى بلادهم ثم أرسل بردة فاخرة وصك الإمارة إلى عيسى بن معدان مع الحسين الأصفهاني الجمال وكانت توجيهاته إليه أن يجمع الخراج من مكران وقصدار ويعود فوراً. ثم عاد الأصفهاني بعد فترة إلى سيستان بصحبة رسول من مكران يحمل الكنوز والهدايا المؤلفة من الذهب واللآلئ والعنبر وكل نفيس جمع من مكران، تقدمة للسلطان محمود وأعوانه من الأعيان، كما عقب عيسى ابن معدان بأنه سيرسل لأخيه خراجاً سنوياً مقداره ١٠,٠٠٠ دينار هواري إلى جانب الثياب واللوازم الأخرى، ولم يكن أمام الغزنويين إلا أن استقبلوا هداياهم بالرضا والسرور(٢).

بيد أن أبا العسكر بقي في البلاط الغزنوي وأمر السلطان محمود أن يصرف له مبلغ ٥٠٠٠ درهم شهرياً بالإضافة لبردتين سنوياً، ومن الممتع أن نذكر هنا أن البيهقي قدم وصفاً فريداً ودقيقاً لشخصية أبو العسكر، فهو متين البنية جدي

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

See also Muhammad Nazim, The Life and Times of Sultan Mahmud of Gazna, 2nd. imp. (Lahore , 1973) , p. 80 .

(٢) تاريخ البيهقي، الترجمة العربية ٢٦٣ ـ ٢٦٥، والترجمة الفارسية ص ٣١٣ ـ ٣١٨.

وهادئ، وأنه ما شوهد قط يشرب الخمرة أو يلعب الصولجان (البولو) ويتابع البيهقي : "كانت عاداته تشابه عادات أبي طاهر السيمجوري......... واعتادوا دائماً دعوته للحفلات الكبيرة التي كانت تقام على الدوام، وإن حضر أياً منها كان يؤذن له بالانصراف حالما يرفع الطعام كما أنه اعتاد مرافقتنا عندما كنا نسافر"(١).

ويبدو أن أبا العسكر خطط لاستغلال إقامته في غزنه وتقربه من السلطان، لكي يكسب تأييد الغزنويين لخلع أخيه عيسى خاصة بعد أن أظهر هذا الأخير موقفاً عدائياً بإعلانه الاستقلال عن نفوذهم(٢)، وحسب ما يورده البيهقي فإن السلطان محمود، في أواخر أيام حكمه، وعد بمساعدة أبي العسكر مرتين وكذلك فعل خليفته السلطان محمد ولكن بسبب موت الأول وبسبب قصر فترة حكم الثاني فلم تنفذ هذه الوعود، لكن السلطان مسعود كان قادراً على مد يد العون(٣)، ويعلمنا البيهقي أنه حالما انتهى السلطان مسعود الأول من شؤون هرات أمر الجامه دار(٤) يارق تِغْمُش بتجهيز حملة قوامها جيشه الخاص وتضم أفراداً من القيزيل والبوقه وقبائل الكوكتاش التركمانية الذين انضموا لخدمته مع العديد من القادة الذين عملوا تحت إمرته، وبعد أن تم تجهيز هذا الجيش أصدرت الأوامر بالتحرك نحو سيستان ومن ثم إلى مكران من أجل إخضاع عيسى بن معدان وخلعه عن منصبه وتعيين أخيه أبو العسكر الحسين مكانه(٥)، وحال علمه بذلك شرع عيسى ابن معدان يجهز قواته لصد هذا الهجوم، وسرعان ما حشد ٢٠٠٠٠ مقاتل من

---

(١) البيهقي، نفس المصدر، الترجمة العربية ص ٢٦٥، والترجمة الفارسية ص ٣١٥.

(2) M.Nazim, op.cit., p. 80 .

(٣) البيهقي، نفس المصدر، ص ٢٦٥ رقم ١ والغرديزي، نفس المصدر ، ص ٤٢٥، و C.E.Bosworth, " The Ghaznavids : their Empire in Afghanistan and Eastern Iran , 1040; 2nd. ed. (Beirut 1973) p. 54, 127 , CHIr . VOL.IV, p. 189 .

(٤) الجامه دار : المسؤول أو القيم على خزانة السلطان بما تتضمنه من ملابس وحلي إلى آخره.

(٥) البيهقي، نفس المصدر، الترجمة العربية ص ٢٦٦، والترجمة الفارسية ص ٣١٦.

الكيجيين والريكيين والمكرانيين وآخرين من أماكن متعددة بالإضافة إلى ٦٠٠٠ خيال[١]، وفي مكران، وتحديداً في كيج، أظهر الحاجب الجامه دار حنكته وشجاعته فأخفى ٢٠٠٠ من رجاله بين أشجار النخيل ليكمنوا للمعدانيين، وهكذا أصبح الطرفان مهيئان لخوض الحرب وما أن قرعت طبول الحرب حتى ظهر المكرانيون بفيلتهم المقاتلة وانخرطوا في قتال دموي مع القوات الغزنوية، حيث أظهر كل طرف مواهبه وجلده في هذه المعركة، وكان عيسى بن معدان على وشك إيقاع الهزيمة بالجامه دار، لكن الأخير حث قواته على متابعة القتال وأمر كمينه أن يغير على المعدانيين فتفرقوا ولاذوا بالفرار حتى أن عيسى وقع في قبضة الغزنويين إذ أمسكوا به في أحد الشعاب وهو يحاول الفرار ومن ثم قتلوه. وبأعقاب ذلك ظلت مدينة كيج وتوابعها عرضة للنهب والاغتصاب ثلاث ليال إلى أن نصب أبو العسكر والياً على مكران، وبعد أن هدأت الأحوال، وبعد أن استتب الأمن والاستقرار في الإقليم، عادت القوات الغزنوية أدراجها إلى غزنة[٢].

ولعل المساعدة التي قدمها السلطان مسعود إلى أبي العسكر الحسين تؤكد امتداد نفوذ الغزنويين على كافة أنحاء مكران من جهة وبداية انحسار الاستقلالية والحكم الذاتي الذي كان يتمتع به المعدانيون من جهة أخرى[٣]، وبالمقابل سارت العلاقات بين غزنة وكيج أو كيز على أحسن وجه، ويذكر أنه عندما احتفل السلطان مسعود بالمهرجان في رمضان من سنة ٤٢٢هـ / سبتمبر ١٠٣١م حضره وفد من قبل الأمير المعداني أبي العسكر الحسين، وشاركوا في الاحتفالات مع

---

(١) البيهقي، النسخة الفارسية، ص ٣١٧.

(٢) البيهقي، الترجمة العربية، ص ٢٦٥ والنسخة الفارسية، ص ٣١٥ وأيضاً ابن الأثير، " الكامل في التاريخ "، جزء٩ ص ٤١٢، وابن خلدون، " تاريخ ابن خلدون "، جزء٤ ص ٨١٢.

(٣) يستنتج البروفسور بوزورث أن أبو العسكر الحسين أصبح فيما بعد تابعاً للغزنويين انظر:

C.E. Bosworth , " The Later Chaznavids : splendour and Decay, the Dynasty in Afghanistan and Northern Indian , 1986 (Edinburgh, 1977) p. 7.

النبلاء الآخرين من أرجاء السلطنة(١)، وخلال حكم مسعود بدت مكران خاضعة كلياً للغزنويين، إلا أنه لا يرد الكثير عن أخبار مكران إبان الأيام الأخيرة من حكم أبي العسكر الحسين وخلفائه لاحقاً والذين جاؤوا تحت حكم الغزنويين اللاحقين.

وفي الحقيقة فإنه بعد الأحداث الدامية التي أوصلت أبا العسكر الحسين إلى السلطة، تبدو المصادر التاريخية وكأنها غفلت عن ذكر مكران وتوابعها لأكثر من قرن، ولا يجيء ذكر المعدانيين إلا في كتاب "رجال السند والهند" للقاضي أطهر حيث يرد أن أبا العسكر أرسل طبيبه الخاص إلى نظيره المصري، ابن رضوان، يستعلم عن الفالج الذي ألم بأبي العسكر، ويستشهد قاضي أطهر بما كتبه ابن أبي أصبيعة عن سيرة ابن رضوان حيث يقول: "نسخة الاستفسار التي أرسلها أبو العسكر الحسين ابن معدان، ملك مكران، حول مرض الفالج الذي أصاب طرفه الأيسر وجواب ابن رضوان عليه"(٢)، قد يوحي هذا النص أن موت أبي العسكر الحسين كان بسبب الفالج الذي أصابه.

ومن المحتمل أن مكران استمرت خاضعة لنفوذ الغزنويين لعقود تلت موت السلطان مسعود، فهناك إشارة في "ديوان" مسعود سعد سلمان، أن الحاجب نعمان استطاع بسهولة ـ ربما حوالي سنة ٤٦٠هـ /١٠٦٧ ـ ١٠٦٨م في زمن السلطان إبراهيم بن مسعود الأول الاستيلاء على مكران(٣)، لكن لم يذكر من كان يحكم مكران، علاوة على ذلك، وبعد قرن من الزمن، يشير أحمد علي خان وزيري،حسب ما أورده سايكس، إلى أن مكران خضعت لسلطان سلاجقة كرمان في عصر طغرل شاه (٥٥١ ـ ٥٦٣هـ / ١١٥٦ ـ ١١٦٧م) ويقول إن الضرائب على الحرير في مكران بلغت ٣٠٠٠٠دينار في الوقت الذي كانت فيه "تيز" تدفع نصف

(١) البيهقي، الترجمة العربية، ص ٣٠١ و C.E. Bosworth, The Ghaznavids, p. 77.

(٢) ابن أبي أصيبعة، "طبقات الأطباء"، تحقيق أ. موللر، جزء ٢ (كنغزبرج، ١٨٨٢م) ص١٠٤ و C.E. Bosworth, The Ghaznavids, p. 97.

(٣) مسعود سعد سلمان، " ديوان "، تحقيق، أكلي رشيد يا سامي (طهران ١٩٣٩م).

هذا المبلغ رسوم مينائها. وبناء على ما أورده الوزيري استنتج سايكس أن بلوتشستان في تلك الفترة كانت خاضعة بشكل مباشر لحكومة كرمان[١]، وبعد سنوات قليلة تم تجزئة المملكة إلى قسمين، حيث وزعا على ولدين من أولاد الشاه، فاستلم أرسلان شاه "بردسير" وسيرجان وجيرُفت وخبيص، بما قيمته أربعة أسهم، واستلم بهرامشاه بَمْ ومكران وقيمتها سهمين[٢].

أما المؤرخ أفضل الدين كرماني الذي ألف أعماله نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والذي لم يذكر أوضاع بلوتشستان بالتفصيل فيورد أن تيز كانت إقطاعية تابعة لكرمان[٣]، مما يوحي بأن هذا الجزء من مكران كان تابعاً للقائد الغزي عماد الدين دينار - يدعى أيضاً الملك دينار - سيد مكران، الذي اعتلى العرش سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧ - ١١٨٨م[٤]، ويذكر أفضل كرماني أن تيز تمكنت من تجميع ثروات هائلة من وراء الضرائب التي فرضتها على التجارة والميناء، حيث شغلت مركزاً مهماً يتردد عليه التجار من مختلف البلاد مثل السند والهند وأثيوبيا والزنج (شرق إفريقية) ومصر وشبه الجزيرة العربية وعُمان والبحرين، تنوعت بضائعها ما بين المخمليات الناعمة والشالات والأوشحة وما شابه من المنتجات النادرة، حيث وجدت أسواقها هناك في الميناء، وبالقرب من كيز نشأت مراكز تصنيع السكر النباتي (البلوري) والسكر الناعم، حيث تم تصديره إلى جميع البلاد بما فيها بلاد الكفار وبلاد المسلمين[٥]، وإضافة لذلك، فإن

---

(١) وزيري، " تاريخ كرمان (سالاريه) "، حيث استشهد به
P.M. Sykes, Ten Thousan Miles in Persia, p.100 .

(٢) أفضل كرماني، " تاريخ "، ص٤٧ ومحمد بن إبراهيم، " تاريخ السلاجقة في كرمان "، ص٥٥، و P.M. Sykes, op.cit, p. 101 .

(٣) ابن بطوطة، " تحفة النظار في عجائب الأمصار "، ص ٢٣١
و H.G. Raverty, " Notes on Afghanistan and Baluchistan , p. 572 .

(٤) أفضل كرماني "عقد العلا.... " ص ٧٠.

(٥) انظر: P.M. Sykes, op.cit, p. 101 .

الإدريسي وجد تيز معمورة ومزدهرة ووصفها بالميناء الصغير الذي يقصده التجار(١)، أما محمد بن إبراهيم فقد ذكر أن القوافل القادمة من العراق اعتادت الوصول إلى البحر عند "تيز" كلما كان طريق هرمز غير آمن، وبناء عليه فإن المرء قد يستنتج انكفاء مكران عن التطور، إذ اندثرت الصناعات التي اشتهرت تلك الأيام مثل صناعة السكر وصناعة الحرير(٢).

ومن ناحية أخرى، فقد تم تأكيد خضوع مكران لسيطرة الغوريين الذي خلفوا الغزنويين على السلطة في غزنة سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م، وقد عين السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن سام (٥٥٨ - ٥٩٩هـ / ١١٦٣ - ١٢٠٣م) ملك تاج الدين حاكماً على مكران(٣)، إلا أن الزمن الذي تم فيه التعيين بقي مجهولاً، كما أن مدى شمولية حكم تاج الدين على مكران بقي مجهولاً أيضاً، لكننا نستطيع افتراض وجود حكم جزئي في القسم الباكستاني من قبل الأمير الغوري ملك تاج الدين، وافتراضنا هذا يعتمد على علمنا المطلق بخضوع مكران وربما الجزء الفارسي المجاور لكرمان، سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م لسلطة الأمير السلجوقي بهرام شاه بن طغرل شاه بن محمد شاه.

وقبل اندلاع جيوش جنكيزخان في أواسط آسيا بقليل، وحوالي عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢ - ١٢١٣م تمكن الأمير شجاع الدين الزوزني - أحد قادة آخر سلاطين خوارزم - من الاستيلاء على "بمبور". ثم تقدم في السنة التالية إلى كيج فالتيز ليخضعها للنفوذ الخوارزمي. ومنذ عهد طغرل شاه بن محمد شاه سلطان كرمان أي منذ حوالي خمسة وأربعين عاماً لم تكن بلوتشستان خاضعة لسلطة كرمان، ولكن كانت كل ناحية مستقلة بنفسها عن الأخرى(٤).

---

(١) الإدريسي، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "، ص ١٧٣.

(٢) انظر: . P.M. Sykes, loc.cit

(٣) انظر منهاج الدين الجوزجاني، " طبقات ناصري " ترجمة
H.G.Raverty. repr. VOL.I (NewDelhi, 1970) . p. 390 , 490 .

(4) P.M. Sykes , op.cit. p.101 .

ويذكر أن جلال الدين المنكبرتي، شاه خوارزم، اجتاز مكران في طريقه من الهند إلى كرمان سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م في سبيل استرجاع نفوذ مملكته بعد سقوط خيوه بأيدي المغول وليشيد خط دفاع يوقف تدفق حشودهم[١]، وبعد تدمير هرات سنة ٦٢٠هـ /١٢٢٣م أرسل جنكيز خان قوة قوامها زهاء ٣٠٠٠٠ مقاتل بإمرة تَشَغَتاى[٢] وذلك من أجل تدمير مكران وقطع خطوط الإمدادات بين جلال الدين وبين مراكز مملكته والوصول إلى كرمان وفارس ثم العراق، بيد أن جروف مكران الصخرية الصلدة عرقلت جيش المغول مرتين، المرة الأولى في تلال "غوكبرش" والثانية في مكان يقع شمالي مرتفعات سامي، حيث أطلق عليه اسم مغلي غات (جرف المغول)[٣] كتذكار لهذا اليوم حيث هزم الجيش هناك نتيجة وباء استفحل فيه فقتل الكثير وأعطب من نجا فلم يعد بمقدوره متابعة مهام الحرب[٤].

المناطق البلوتشية الشرقية (قيقان وطوران وقصدار، والبُدهة إلخ):

تضم هذه المناطق البلوتشية أقاليم متعددة من بلوتشستان الحديثة تمتد فيما بين زهوب في الشمال وجلوان في الجنوب. وخلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى كانت تضم عدة أقاليم تعرف باسم قيقان وقصدار وقندابيل البدهة وطوران (انظر الفصل الرابع)، ولو عدنا إلى سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢-٨٤٣م زمن إنشاء عمران بن موسى مدينة " البيضاء " في قيقان - لوجدنا أن المعلومات حول هذه

(١) المرجع السابق، نفس الموضع، والجويني، " تاريخ جهانكشاي "، جزء ٢ تحقيق محمد بن عبدالوهاب القزويني (لايدن ١٩١٦م) ص ١٤٩
و . " H.G.Raverty , " Notes on Afghanistan and Baluchistan , p. 668

(٢) انظر: . H.G. Raverty, " Notes on Al-Juzjani's Tabaqat-I Nasiri, voi. Ii, p. 1020

(٣) انظر: . BDGS, VOI. VII, p. 46

(٤) منهاج الدين الجوزجاني، "طبقات ناصري"، جزء٢ ص ١٠٢٠ و١٠٧٥ وانظر الجويني، نفس المصدر، ص ١٤٩ حيث يتكلم الكاتب أيضاً عن المعاناة التي مر بها جيش جلال الدين انظر أيضاً :
Longworth- Dames, " Baluchistan " , EI1. VOI.I, p. 635; IGI2, VOI. VI, p. 275 .

المنطقة ضئيلة لذلك من الأسلم القول إن ذكرها كان يجيء ضمن السياق العام لذكر السند[1]، ويرد أنه سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٩م منح الخليفة المعتمد الأقاليم الشرقية بما فيها السند إلى عمرو بن الليث الصفار، ومن هذا المنطلق يبدو أن الأجزاء الشرقية من بلوتشستان قد انضوت تحت لواء الإمبراطورية الإسلامية، ولكننا لا نعلم بدقة إن كان عمرو بن الليث حكم هذه الأجزاء أم لا. ومن ثم قرابة ٣٤٠هـ /٩٥٢م يذكر الاصطخري أن قصدار كانت عاصمة طوران (من المحتمل أن تكون سروان وجلوان هما نفس إقليم طوران) وأنها كانت تحت ولاية رجل يدعى مغير بن أحمد[2]. وكان هذا الوالي يقيم في كيزكانان، وكان لا يعترف بسلطة أحد سوى سلطة الخليفة العباسي.

وبعد عقود لاحقة يجدها ابن حوقل وقد قسمت إلى إقليمين وهما قصدار التي كانت شؤونها تدار من كيزكانان، كما ذكر ذلك الاصطخري وطوران التي كانت عاصمتها تحمل نفس الاسم، ومن الواضح أنها كانت تخضع لولاية حاكم مستقل، وقد دعاه ابن حوقل بأبي القاسم البصري الذي يرد أنه كان يعني بجمع شؤون طوران التشريعية والأمنية والضرائبية، ولعل مسألة جمع الضرائب التي أنيطت بأبي القاسم أثارت انتباه ابن حوقل، إذ ذكر أن أبا القاسم لم يكن متخصصاً بل كان "رجل قرآن، لا يستطيع التفريق بين رقم ٣ و ١٠"[3]، وأما المقدسي فقد ذكر سنة ٣٧٠هـ/ ٨٩١م أن حاكم قصدار كان عادلاً ومتواضعاً[4]، ومن نافلة القول أن

(١) ابن الأثير، " الكامل في التاريخ "، جزء ٧ ص ٣٢٦ .

H.G.Raverty , Notes on Afghanistan and Baluchistan , p. 560.

(٢) في مصادر أخرى كان يدعى معين وأيضاً معمر انظر الاصطخري، "مسالك الممالك"، ص ١٧٧، وابن حوقل " صورة الأرض "، ص ٣٢٤.

(٣) انظر قاضي أطهر، " الهند في عهد العباسيين "، ص٦٣ ولنفس المؤلف، " هندوستان في زمن الحكومات العربية "، ص ٢٨٣.

(٤) المقدسي " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، ص ٤٧٨، وقاضي أطهر، " هندوستان... " ص ٢٨٣.

نذكر أن هذا الحاكم قد لا يكون هو نفسه الذي ذكره الاصطخري بسبب الفارق الزمني الواسع بين المؤلفين، كما أن هذا الاستنتاج قد ينطبق على الحاكم الذي أشار إليه العتبي ـ المؤرخ الغزنوي لاحقاً.

ومن الجلي أن قصدار وطوران وقيقان(١) خضعت لسيطرة الغزنويين، ومن المحتمل حدوث ذلك قبل إعلان سبكتكين أميراً مستقلاً لغزنه وتوابعها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، وهاهو العتبي المؤرخ الغزنوي يخبرنا أن ناصر الدين سبكتكين هاجم قصدار بعد أن بدأ حاكمها عصيان الأوامر لثقته بأن ما من أحد يستطيع النيل منه بسبب قلعته الحصينة وبسبب طبيعة بلاده المنيعة، ولكن سبكتكين استطاع أن يهزمه ويأسره في عقر داره بعد أن استخدم عنصر المفاجأة، وبعد ذلك قرر الأمير الغزنوي نظراً للطفه وإنسانيته أن يبقى أمير قصدار في منصبه بعد أن يلتزم هذا الأخير بدفع الضرائب السنوية المقررة(٢).

ويرد لاحقاً أن أمير قصدار تمرد مرة أخرى سنة ٤٠٢هـ/١٠١٢م، وتوقف عن دفع الضرائب وأظهر العداء للغزنويين فما كان من السلطان محمود إلا أن قاد حملة لمعاقبته ورده إلى حظيرة طاعته، فأخذ والي قصدار الذي لم يذكر اسمه على حين غرة وحاصره هو واتباعه أمداً حتى استسلم والي قصدار (دون شرط أو قيد لسلطان غزنة، وانتهى الحصار بتوقيع معاهدة يلتزم بها أمير قصدار بدفع جزية تبلغ ١٥,٠٠٠,٠٠٠ درهماً تعويضاً عن السنين التي مضت بالإضافة إلى عشرين فيلاً حربياً ضخماً، وبموجب هذه الشروط سمح السلطان محمود لوالي قصدار البقاء

---

(١) من الجدير ملاحظته هنا أن قيقان اختفت من بين سجلات المؤرخين وقتاً طويلاً قبل حلول القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي" مع أنها ظلت ترد في أدلة الرحالة على مدى ثلاثة قرون أخرى.

(٢) العتبي، " تاريخ اليميني بشرح أحمد بن علي المنيني "، جزء١ ص ٧٢ ـ ٧٤ وانظر أيضاً
S.J. Reynold translation of the later persian translation by Jurbadhqani : The Kitab -I-English Yamini (London , 1868). p. 32f .

وابن الأثير، نفس المصدر، جزء٨ ص ٥٨٥، وابن خلدون، نفس المصدر، جزء٤ ص ٧٧٣، والجوزجاني، " طبقات ناصري "، جـ١، ص٧٤.

في منصبه[١]، ومما نستنتجه من هذه المبالغ التي دفعت أن قصدار حينذاك كانت في حال أفضل وغنى أكثر مما هي عليه الآن.

وبعد ذلك تصبح كل من قصدار وطوران وقيقان وكأنها إرثاً ينتقل بين الغزنويين حتى آخر أيامهم في غزنة، وفي بداية حكمه أرسل مسعود الأول سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٤١م جيشاً بأمرة قائده الموثوق عمه يوسف بن سبكتكين ليس من أجل إخضاع قصدار كما يذكر البيهقي، بل من أجل إبعاد يوسف نفسه عن غزنة كي ينفرد مسعود الأول بالحكم، فأوصاه أن يجمع الضرائب المترتبة على والي قصدار، وبنفس الوقت أن يؤازر جيش السلطان أثناء توغله في مكران لمحاربة عيسى بن معدان[٢].

وفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٨م وخلال فترة حكم شهاب الدولة مودود تتمرد قصدار مرة أخرى، فيسارع شهاب الدولة إلى إرسال جيش يخمد ثورتها، ويحصل منها على الضرائب المتأخرة[٣].

ومما يجب ذكره هنا أنه لقرن أو أكثر يلي ذلك وتحت حكم الغزنويين، تصبح المعلومات قليلة حول ما كان يجري في المناطق الشرقية من بلوتشستان، ولكننا نستطيع أن نقول افتراضياً أنها بقيت خاضعة للغزنويين كما يلمح إلى ذلك بعض المؤرخين[٤] حتى آخر أيام حكمهم سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، ومما نأسف له أننا نتملك معلومات متناثرة حول اسم الوالي الغزنوي في قصدار، فقد كان يدعى سرهنك محمد خطيبي أو محمد بن خطيب هروي وظل في منصبه في قصدار حتى نهاية القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي)، ويروى أنه كان

---

(١) العتبي، نفس المصدر، جزء٢ ص ١١٦.

(٢) البيهقي، "تاريخ البيهقي" الترجمة العربية ص ٨٦ - ٢٦١ - ٢٦٦ وانظر أيضاً :
CHIr. VOL.17, p. 184.

(٣) انظر:. BDGS, VOL.Vib, p. 36; h.g. Raverty. Op.cit., p. 571

(٤) انظر: . C.E. Bosworth, the later Chaznavids, p. 86

شاعراً وقد أثنى عليه عثمان مختاري وهو شاعر غزنوي آخر، ذاكراً إياه بصدر عميد سرهنك والعامل على السند[١]، وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض المصادر التاريخية تزعم أن السلطان الغزنوي وخلال حكم علاء الدين مسعود الثالث (٤٩٢-٥٠٨هـ/١٠٩٩-١١١٥م) ضم كابول وبست وقصدار ومكران وربما كامل بلوتشستان الباكستانية[٢]، وبعد سقوط الدولة الغزنوية آلت قصدار وتوابعها إلى الغوريين الذين ورثوا المملكة عن سابقهم، ومن ثم ومع بدء ضعف الغوريين أصبحت البلاد تحت حكم مولى الغوريين ناصر الدين قباتشه الذي أعلن استقلاله في السند عقب هزيمته لشمس الدين ايلتتمش حاكم دهلي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م[٣].

هزم جلال الدين منكبرتي خوارزم شاه جيوش جنكيز خان مرتين بالقرب من نهر جيحون أو اكسس، ولكن نتيجة لنزاع بين جيوشه من أجل الغنائم فقد سيطرته، مما أتاح المجال لجنكيز خان أن يهزمه في المعركة الثالثة، وبعد أن انهزم جلال الدين قصد الهند لكي يلملم شتات جيشه ويعمل على تهيئة جيش جديد، لكن ناصر الدين قباتشه اعترض طريقه ووقف في وجهه؛ وبعد ثلاثة أشهر لاذ جلال الدين بالفرار إلى كرمان عبر مكران ومن ثم إلى العراق[٤]، وفي غضون ذلك كان ملك السند الشاب القوي ناصر الدين قباتشه يقاوم المغول بضراوة مما منعهم من دخول الهند[٥]، وفي المقابل يروى أن جنكيز خان اجتاز بلاد

(١) انظر أبو المجد مجدود سنائي " الديوان "، تحقيق مدرِّس رضوي (طهران، ١٣٢٠هـ/١٩٤١-١٩٤٢م) الصفحات م، ت، ن Waw-nun-mim-taوانظر أيضاً مسعود سعد سلمان "ديوان"، الصفحات ل.ت. م و ص ١٥٥.

(٢) انظر: CHIr. VOL.vp. 157

(٣) انظر:-BDGS. Vol. Vi, p. 36. cf. H.G. Raverty , Notes on Afghanistan and Beluchistan ,p. 572 ; Elliot and Dowson , History of India, vol. 11, p. 42; IGI2 , vol. Raverty Notes on Tapaqat-j- Nasiri, vol. I. P. 616; vol. 2, p. 1020, Vi. 275 .

(٤) الجويني، " تاريخ جهانكشاي "، جزء ٢ ص ١٤٩ وابن الأثير، جزء ١٢ ص ٣٠٣.

(٥) الجوزجاني " طبقات ناصري "، جزء١ ص ٥٣٩ و H.G.Raverty Notes on p. 533 .

بلوتشستان الشرقية؛ وهناك رواية شعبية محلية تذكر أن قصدار (الآن خزدار) خلال غزو المغول كان يحكمها ملك بهرام شاه، الذي يقال بأنه ينحدر من أصل الأسرة الصفارية التي كانت تحكم إقليم خاران وسيستان، وقد غلبه على ملكه قائد مغولي يعرف بملك تشاب وقتله، وقبره الآن في "واشوك" إقليم خاران. وحسب الرواية فإن وريثه ملك تشاب المغولي كان فاسقاً قتله السكان المحليون بسبب تحرشه بنسائهم(١).

الخاتمـة

على الرغم من أن بلوتشستان ليست بالمكان الذي يتوق المرء للعيش فيه فهي ليست بالأسوأ، وها هو سي. إم. مكريغور ـ عند وصوله بلوتشستان ـ يصف جاسك بأنها أسوأ مكان على وجه الأرض، إذ يجد الفرد بالغ الصعوبة في العيش هناك، ولكنه ما يلبث أن يتراجع معترفاً بإمكانية الحياة هناك ومعلقاً على قول الناس عنها"، قد لا تبلغ جاسك نصف درجة السوء" قائلاً: "لا يوجد مكان سيء بالمطلق ليحجم الناس عن العيش فيه مثلما لا يوجد رجل سيء بالمطلق إلى درجة لا يمتدحنه النساء ولا يقبلن بالحياة معه" ويقول أيضاً "ليست (جاسك) مكاناً سيئاً ! لا يوجد مكان سيء إذا عرف المرء كيف يعيش به" ومن ثم يعلق على الجملة التي أوردها من قبله الميجر موكلر حول "غوتر"، "لقد كانت (غوادر) مكاناً جميلاً جداً بقوله: "لم أندهش بتاتاً، فما من شك لو أن ألد الأعداء عاشوا معاً مدة أربع سنوات لانتهى بهم الأمر ليتحولوا إلى أصدقاء حميمين، إذ عندما يعجز أحدهم عن قتل الآخر في البداية ـ كما حدث مع غوادر حينما فشلت عن قتل الميجر موكلر طوال أربع سنوات فبالتأكيد لا بد لذلك الضابط من الثناء عليها"(٢). وما هي إلا فترة وجيزة حتى يكتشف مَكْرِيغُورْ بذاته مزايا غوادر

---

(١) انظر: . BDGS, VOL. VIB., p.36

(2) C.M. Mc Gregor, Wandering im Baluchistan (London, 1892) , p. 6 .

الفريدة فيقع في هواها هو الآخر. وهذا الإحساس هو الذي وقع في نفس ذلك الصحابي من قبل عندما زار مكران من بلوتشستان لأول مرة. ثم يتابع مَكْريغور قوله: "وما يميز بلوتشستان هو جبالها العالية العصيّة التي تهيمن على معظم المنطقة، فتارة تمتلك حوافاً جرفية حادة وتارة تمتلئ بالشعاب والممرات الوعرة ومع ذلك ورغم تنوع الجبال في تلك البلاد لم تؤثر ولم تغير يوماً من الحياة فيها. فمثلاً تخضع أجزاء من البلاد لتأثيرات الأمطار القادمة من البحر المتوسط في فصل الشتاء كما تخضع أجزاء أخرى لتأثيرات المناخات الموسمية لشبه القارة الهندية في الصيف، ومع ذلك لا توجد منطقة في بلوتشستان إلا واستعانت بنظام الري الاصطناعي، ولعل الأمر يتعدى ذلك فتلجأ بعض المناطق للاحتفاظ بالثلوج الشتوية في مرتفعاتها كي تؤمن منها مياه شربها(١)، وبدون ذلك تغدو البلاد عرضة دائمة للجفاف، ومما تؤثر به هذه المرتفعات أيضاً هو تعديلها لحرارة الصيف اللاهبة وحفظ ديانها للدفء في الشتاء، وما يمكن قوله هنا أن هذه الجبال والمرتفعات تشكل أساساً لتنوع الحياة النباتية المنتشرة في العديد من المناطق، وقد ذكرنا سابقاً تنوع أشجار الفاكهة مثل المشمش والدراق والتفاح والرمان والأجاص والكرز وغير ذلك من الأشجار المثمرة كالفستق واللوز والتوت والزيتون والعرعر والتمر الهندي وغيرها الكثير، ونعلم أن هذه الأنواع لا تعيش سوى في المناطق المعتدلة، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الجبال لها القدرة على تأمين جو يساعد أنواعاً أخرى من الأشجار على النمو مثل ما نجد في قويطة ومستنكَكْ وتفتان والقرى المجاورة(٢)، ونستطيع القول أن صلادة صخور هذه المرتفعات تشكل مخازن صالحة لحفظ المياه التي تستخدم لأغراض السقاية والري".

(1) IGI2 vol. Vi, p. 244 ; C.P. Skrine , art.cit. p. 325, 340 .

(٢) انظر:

C.E.D. Black, " Baluchistan and its possibilties , ARQR, vol. Xx, nos, 39- 40 (1404) p.18 ; C.P. Skrine , art.cit., p. 525, 329, 331, 333f .

وبرغم مما قيل عن وعورة هذه المرتفعات واستعصائها فهي لا تخلو في الواقع - من العديد من الممرات والدروب السالكة في كل مكان تقريباً، وعلى الرغم من عدم التمكن من إحصاء الممرات والدروب التي ورد ذكرها في "سلسلة موسوعة أقاليم بلوتشستان" سواء التي تصل بين المناطق الداخلية ضمن المرتفعات أو بين المدن والعالم الخارجي، ونعرف بالتأكيد الطرق والمسالك والدروب التاريخية التي تشق أراضي بلوتشستان من الشرق إلى الغرب ومن بولان في الأصقاع العليا ومن مكران في الجنوب. وبإمكاننا في هذا السياق أن نذكر الطريق الهام الذي يصل بلوتشستان بالعالم الخارجي حيث يعرف باسم ممر "مُولا" ويربط كَنداوا (قندابيل القديمة) مع خزدار (قصدار القديمة) ومن ثم يصل خاران، ومن هناك يتجه عبر منخفض مشكيل جنوباً إلى " بمبور" وأخيراً إلى بلاد فارس(١)، وإن سخرت إمكانيات هندسية لشق الطرقات وإنشاء الجسور المتوفرة حالياً لكان بالإمكان تخيل كل الممرات والدروب التي ذكرناها تتحول إلى طرقات فسيحة ورحبة.

وبما أن المظهر العام لبلوتشستان يهمنا، فإنه يقال الكثير عن الواحات المزدهرة والمنتشرة بين المرتفعات وعن الجبال الجميلة المنتشرة هنا وهناك والتي "تريح الناظر وتسعد الحواس، ولا يمكن لأحد أن يدرك ذلك إلا المسافرون هناك"(٢) ففي داخل مكران على سبيل المثال والتي تعد أسوأ الأصقاع "يوجد فيها العديد من الوديان الجميلة والظليلة، التي يندر وجودها حتى في كشمير"(٣) وعلاوة على ذلك يجد كل من سي.أم. مكريغور وموكللر جمالاً ما بعده جمال في غُوادَر(٤).

وبشكل عام فإن بلوتشستان تعد منطقة قاحلة، وذلك نتيجة لثلاثة عوامل

(١) انظر ما سبق من هذا الكتاب حول تفاصيل أكثر هن هذه الممرات في الفصل الأول.

(٢) انظر:. A.H. Mc Mahon, art.cit., p.394

(3) GJ, vol. Vx (1897) p. 420 . see also " The perso Baluch Bondaries, " T.H. Hodich, C.E.D. Black, art.cit., p.11 .

(٤) انظر: C.M. Mc Gregor, op.cit., p. 6

جبالها العارية التي تغطي معظم أجزاء البلاد مما يمنع تواجد الوديان العريضة والرمال التي تغطي العديد من الأقاليم، وفوق كل ذلك سكانها الذين ينبذون الزراعة مما يحير المراقبين، فبعض المختصين يقولون بأن السبب يمكن في تجذر كراهية السكان المحليين للزراعة بأي شكل من أشكالها، بينما آخرون يعزون السبب إلى حالة عدم الاستقرار التي يعيشها السكان هناك(١)، ويمكن للمرء أن يضيف هنا سمة التخلف المتفشية بين السكان وانعكاسها على اهتمامهم بالزراعة وأمور حياتية أخرى، وعلى الرغم من ذلك فإن بلوتشستان تحتوي على العديد من السهول والوديان سواء كانت واسعة أم ضيقة، قصيرة أم طويلة، منتجة أم عقيمة، ويرد إلينا أنه إبان التواجد العربي في تلك المنطقة فإن سيستان كانت واحدة من أهم المناطق الزراعية في العالم، وكما يرد إلينا مدى ازدهار مكران وطوران (جلوان الحديثة) وقندابيل (كاش كَنْداوا الحديثة) في الإنتاج الزراعي، وعلاوة على ذلك، فإن المصادر المائية كانت تستخدم في أمور السقاية والري كما يخبرنا المستكشفون الحديثون مثل إتش. بوتنغر وسي. إم. ماسون، وإي. أي. فلوير، وسي. أم. مكريغور وبي. سايكس وتي. إتش. هولديتش، وآخرون.

وفيما يتعلق بالمعادن فلدينا نص لأحد الخبراء الذي فحص بعض الأجزاء من البلاد، إذ يقول: "تنتج بلوتشستان فحماً رديئاً على هيئة كتل مستطيلة مضغوطة لكن بكميات معقولة، وتنتج أيضاً الكبريت والأثمد والرصاص والنحاس والملح الصخري والحديد بكميات معتبرة، إذ يوجد في مواقع متعددة بين رمال الصحراء"(٢)، وبالإضافة للذهب و"الزيت"، ويضيف إلى ذلك أيضاً "صناعة الحرير التي تعتمد على أشجار التوت التي تتغذى على دودة القز المنتجة للخيوط الحريرية وهي تتواجد بوفرة في بعض مناطق بلوتشستان، وما ينتج من

(١) انظر: C.E.D. Balack , art.cit., p. B; A.H. Mc Mahon, loc.cit .

(2) Art.cit., p. 17 .

حـرير حـاليـاً في كـلات يعـد من أفـضل الأنواع"(١). ومن الجـديـر بـالذكـر أن بلوتشستان تحتوي على كميات من الغاز الطبيعي مهمة حتى أنها المصدر الوحيد أو الأول اليوم لإمداد الدولة الباكستانية من هذا المنتج.

أما أهميتها الإستراتيجية فتعزى إلى تحكم البلاد في الطرق التاريخية التي تربط شبه القارة الهندية بإيران وبلدان الشرق الأوسط. فهناك الممرات الهامة الثلاثة؛ مكران وبولان ومولا. وتشكل مكران بوابة جغرافية هامة ليس فقط بين فارس والهند، بل أيضاً بين الهند وشبه الجزيرة العربية بلدان الشام والعراق وأوروبا. وقد وصف هذا الطريق الدولي من قبل المستكشفين على أنه "من أفضل الدروب التجارية المطروقة التي شهدها العالم، وما يزال طريقاً برياً عملياً يصل الهند هن طريق الغرب"(٢)، ويمكن استخدام هذه الطرق من أجل أهداف تجارية وسياسية واستراتيجية.

ولعل ممر بولان يعد من أقدم الطرقات التاريخية التي كانت البوابة المؤدية إلى الهند، وهو يربط الهند بقندهار ومن ثم مع آسيا الوسطى، وها هي قوافل التجار والغزاة والبدو الرحل قد عبرتها وما زالت تعبرها على مر العصور، وها هي أيضاً تحمل سكة الحديد العابرة إلى تشامان لتربط أفغانستان بوادي الهندوس.

وبمناقشة ما قيل عن أصول البلوتشيين فتبدو مسألة بالغة الصعوبة، وهي ما تزال تثير الكثير من الخلافات بين الدارسين، وإن نحن سلّمنا بحقيقة ما ورد في النصوص المسمارية الآشورية، فإن اشتقاق اسم بلوش من الكلمة الآشورية، بلوخّو يصبح وارداً وبذلك يتهيأ للمرء أن هذه الشعوب (بلوخّو-بلوش) قد استقبلت

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦. بعد أن ذكر تي. إتش. هولديتش دور هذا الطريق في بحثه "Peeso-Baluch boundary" يعلق فيقول "في الحقيقة هو الدور ذاته الذي لعبته مكران في الماضي، وإن تمكنت من لعبه حالياً فإنها بلا شك ستكون من أكثر البلدان اللافتة للنظر عسكرياً" .. art.cit. p. 418

على مر التاريخ موجات متواصلة من الهجرات التي انطلقت من البلدان المجاورة. ومن هنا تساهم هذه الأقوام الغربية مثل الكلدانيين وعبدة بيلوص (بعل) والفارسيين والعرب بشكل فعّال في بنية الهيكل العام للبلوتشيين مما لا يمكن تجاهله، وبالطبع لدينا ما يكفينا من الأدلة التاريخية، النصوص المسمارية الآشورية، عن التبادل التجاري والعلاقات السياسية بين بلاد ما بين النهرين (قد تشمل عبدة بيلوص) وبين البلوتشيين خلال الأزمنة التاريخية البعيدة.

وبعد قرون لاحقة نعلم من النصوص الفارسية أن ماكا (مكران القديمة) خضعت بمساعدة الإله "آهورا مازدا" لسلطة الإمبراطور داريوس وخليفته أكسرزيس الأول، وتم التأكيد فيما بعد في الملحمة الشعرية الفارسية الشاهنامة أن البلوتشيين والكوج (القفص أو القفصيين) خدموا في القوات العسكرية التابعة للإمبراطورية الفارسية العظمى خلال قرون عديدة قبل الميلاد وبعده، وكانت أراضيهم وأماكن إقامتهم تابعة للإمبراطورية الفارسية، ومما لا شك فيه أن هذا التمازج كان له الأثر الواضح لغوياً وأنثروبولوجياً.

كما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار كيف أن العرب امتزجوا واختلطوا مع البلوتشيين في العصور القديمة، ونذكر هنا ما أكده تي. إتش. هولديتش خلال البحث الذي قدمه إبان انعقاد مؤتمر الجمعية الأنثرولولوجية سنة ١٨٩٩م بعنوان "عرب الثغور الشمالية الغربية" حول التشابه الكبير بين العرب والبلوتشيين من ناحية الشكل والشخصية، ونستطيع أن نذكر أيضاً كيف تم تأكيد التشابه بين الْغَبْرِيبَنْدات "الأبنية الشبيهة بالسدود" وبين السدود القديمة الموجودة في مأرب، وتطابق رحى الطواحين التي اكتشفها الميجور أي. موكلر مع الصناعة والفن الحميري، وهناك أيضاً نهر أرابيوس في بلاد آرابي (متطابقة مع نهر هاب) التي شهد المؤرخون الإغريق على "وجود العرب هناك قبل مجيء محمد ﷺ"،[1] وإن

(١) انظر: "T.H. Holdich". A Retreat From India, p. 118.

عدنا إلى المصادر العربية نجد أن الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" يورد أن شهبور العظيم يطلق عليه العرب ذو الأكتاف عندما غزا شبه الجزيرة العربية أخذ معه العديد العديد من العشائر التابعة للقبائل العربية معظمها من قبيلة بكر بن وائل وأقامها في كرمان(١)، ويضيف باستاني باريزي أنه كان يوجد مجموعات عربية في كرمان قبل شهبور(٢)، ويذكر أحمد علي خان وزيري أن المهلب بن أبي صفرة إبان ملاحقته للأزارقة الخوارج قتل ٥٠٠٠ فرداً، وأن المجموعات المتبقية مثل بنو عيد وبنو زين الدين وكابول هربوا إلى بلوتشستان الكرمانية واختلطوا هناك مع السكان الأصليين ومن ثم فقدوا لغتهم الأم(٣)، ونجد فيما يورده الرُّهَني أن القفص هم أساساً قبيلة يمنية تنسب للأزد التي هاجرت إلى كرمان وأقامت هناك عدة قرون قبل مجيء الإسلام، إن كل الشواهد التي أوردناها هي دليل قاطع على أن العرب كانت لهم علاقاتهم مع البلوتشيين سواء قبل الإسلام أم بعده، وأنهم تركوا الكثير من ميزاتهم وصفاتهم الواضحة والمرئية في كل مكان. وإن قدماء العرب الذين هاجروا إلى كرمان ومكران في فترات ما قبل الإلام، اندمجوا في البلوتش (البلوص) وذابوا تقريباً فيهم، وتشكل منهم مع القبائل المحلية ما يعرف بالبلوتش أو (البلوص). ومع هذا لا بد أن نؤكد أن النظرية التي تزعم أن البلوتشيين من أصل عربي والتي تعتمد على الأسطورة والخيال لا تخلو من الصحة تماماً بل تستحق المزيد من البحث المتصل في ضوء المعلومات التي تجد أو تكتشف بين حين وآخر.

إبان الفتوحات الإسلامية الأولى تم الدخول إلى بلاد بلوتشستان ـ مكران وقيقان وطوران وقندابيل التي كانت ترد تحت اسم السند والهند من خلال طريقين: الطريق البحري والطريق البري، وكان الطريق البحري أول ما تم استخدامه في

---

(١) الطبري "تاريخ الرسل والملوك"، جزء٢ ص ٥٧.

(٢) بستاني باريزي، "تاريخ كرمان"، نسخة فارسية، ص٢٢.

(٣) المصدر السابق.

الحملات التي لم تكن هجوماً كاملاً، بل كانت محاولات لإيجاد قواعد عسكرية، كما أنها كانت محدودة ضمن مناطق معنية مثل توّج في فارس البعيدة عن مكران والسند، ولكنها كانت تتلاشى مع طموحات المسلمين ونواياهم بضم مكران والهند، أما الطريق الثاني فقد كان أكثر تأثيراً حيث تمكن العرب حينها من الوصول إلى مكران والتوغل بشكل أعمق في الأراضي الداخلية، مما مكنهم من السيطرة الكاملة على المنطقة، وخلال الخلافة الراشدية تمكنت جيوش المسلمين من الوصول إلى تخوم وادي السند (مهران) فاصطدمت مع بعض حكام تلك التخوم في مناسبتين إحداهما كانت إثر الحملة البحرية التي قادها المغيرة بن أبي العاص سنة ١٥هـ/٦٣٧م، والأخرى كانت سنة ٢٣هـ/٦٤٦م إثر الحملة التي قادها الحكم بن عمرو التغلبي.

لكن العرب لم يجدوا ضالتهم في مكران، وفي الحقيقة كانت مخيبة لتوقعاتهم كما تبين ذلك في تقرير صحار العبدي إلى الخليفة عمر رضي الله عنه وتقرير حكيم بن جبلة إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه، حيث يصفان فيها قسوة بلاد مكران وبلوتشستان (انظر الفصل الخامس من هذا البحث). وهناك ما يورده أعشى هَمْدان وهو يلوم نفسه على الذهاب إلى هناك:

وأنت تسير إلى مُكُّـــرَان فقد شحط الورد والمصدر
ولم تك من حاجتي مُكُّرَان ولا الغزو فيها ولا المتجر
وحُدِّثت عنها ولم آتها فما زلت من ذكرها أُخبر
بأن الكثير بها جائـــع وأن القليل بها مُعْـــور

وهكذا نجد أن الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفّان لم يجدا طائلاً في إرسال قوات المسلمين إلى البلاد التي يضيع فيها الجيش الصغير ويهلك فيها من الجوع الجيش الكبير، فما كان منهما إلا أن أمرا قوادهما بعدم التوغل خلف حدود مكران من جهة الشرق.

ولعل ما يثير فضولنا هو غموض الحافز الذي كان وراء ذهاب الجيوش الإسلامية إلى مكران والسند، وعدم وروده في المصادر التاريخية الإسلامية المبكرة.

فعندما نقرأ عن الحملات الإسلامية التي قصدت العراق وإيران والهلال الخصيب ومصر نجد أن المسلمين ما شنوا حرباً إلا وسبقوها بدعوة أعدائهم للقبول بخيار من ثلاثة: إما الإسلام أو الخضوع ودفع الجزية أو في حال عدم تحقيق هذين الخيارين يصير الخيار الثالث وهو الجهاد المقدس لازماً وواجباً، وما حدث في مكران وقيقان (كيكانان) كما ورد في المصادر يبدو وكأنه لم يذكر هذه الخيارات، ولم يتم تأكيد البعد الديني الذي وصلت إليه هذه الجيوش في تأثيرها على السكان الأصليين ,ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الغارات والغزوات التي شنها لاحقاً كل من الحارث بن مرة العبدي والمهلب بن أبي صفرة الأزدي وعبد الله بن سوار العبدي وآخرون غيرهم والتي كانت وجهتها قيقان، لم تكن سوى غزوات، فكانوا يلجأون إلى العودة إلى مكران بعد أن يفتحوا مدينة أو بلداً دون أن يتركوا هناك حامية لهم يرأسها حاكم من قبلهم، وكل ما نلحظه ورود إشارات إلى الأحصنة القيقانية التي كانت مشهورة ببنيتها الفخمة وقوتها وجلودها وتحملها لمختلف الصعوبات وفي أحلك الظروف، وحسب ما يرد في فتحنامه سند "فإن الخليفة معاوية كان يرغب كثيراً بهذه الأحصنة مما يجعلنا نستفسر: هل كان معاوية يسير جنوده وجيوشه إلى تلك المناطق ويعرضهم للمخاطر من أجل إثراء شخصي أو إثراء بيت مال المسلمين ؟ فإن كانت المسألة تتخذ هذا المنحى فهناك سؤال لا بد أن يطرح: هل كانت هذه المغامرات تؤتي أكلها ؟ بمعنى آخر، لقد ترك المسلمون الذين تطوعوا لخوض مثل هذه الحملات والغزوات وأدرجوا أنفسهم ضمن قائمة جيوش الخليفة، وكثير منهم تركوا وراءهم الأهل والأزواج والأطفال والأراضي مما يشكل الكثير ليخسروه، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم عانوا الأمرين وخاضوا تجاربَ أليمة، وشهدوا أسوأ ما يمكن مشاهدته في أراضٍ مقفرة وقاتلة،

أيمكن لحفنة من الأموال أو العبيد أو الأحصنة أن تبرد معاناة أولئك المسلمين؟ أم كانت غاياتهم الوصول إلى مراتب عليا في بلاط الخليفة؟ بالطبع سيكون الجواب المنطقي لكل هذه الأسئلة هو "لا" علماً بأننا لا نملك من المعلومات ما يفيدنا وما يضيء لنا هذه القيمة التاريخية. لكننا، ومن جهة أخرى، نستطيع القول إن أولئك المغامرين لم يكونوا يوماً ما تجاراً أو ذوي منافع يعملون لصالح ما يتوقعونه سيؤول إليهم مقابل مغامراتهم تلك، نهاية الأسبوع أو الشهر أو الفصل، ولعل غياب المصلحة النفعية لدى أولئك المسلمين الأوائل دليل قاطع على مدى الشعور العميق بوجوب نشر تعاليم الرسالة الإسلامية التي كانت تتأجج في نفوسهم وفي قلوبهم.

ولا يمكننا ـ والحال هذه ـ إلا أن نقف إجلالاً وإعجاباً بأولئك المسلمين الأوائل الذين عملوا على الوصول إلى غاياتهم الروحية رغم ما عانوه من شظف العيش ورداءة الأحوال وقسوة الظروف ورغم ما واجهوه من أعداء شرسين وهم مزودون بأبسط الأسلحة والعتاد، فعلى سبيل المثال دخل الإغريق الذين كانوا أكثر تنظيماً وأكثر عدداً تحت قيادة الإسكندر المقدوني في متاهات فظيعة قبل المسلمين بمئات السنين، فما كان منهم إلا أن عملوا على النفاذ بجلودهم سالمين نظراً لقسوة الأحوال التي عانوها، فكان العدو الأكبر لهم الأرض وليس السكان، وكان عليهم أن يكافحوا من أجل عبور البلاد التي كانت سبباً في إذلال قادة عظام قبلهم، وهكذا كان حافز الخوض في غمار تلك الأصقاع لدى الإسكندر المقدوني حافزاً شخصياً، وهو نوع من تحقيق ما عجز القادة الذين سبقوه عن تحقيقه، فعرض جيشه إلى أصعب المحن وأكبر المصائب التي عجز جيش الإسكندر عن تحملها وسرعان ما تشرذموا ضمن مجموعات، بل أدى ذلك إلى هلاك معظمهم، إما نتيجة للأحوال الجوية أو نتيجة لنقص المؤن الحاد، وإن نجحوا في اجتياز تلك المناطق القاتلة والظروف المناخية القاهرة والوصول إلى مناطق وفيرة كان عليهم أن يحاربوا قوات شرسة قوامها سكان المناطق المحليين حتى يستطيعوا الحصول على ما يريدون.

ويبقى السؤال الأكبر هو هل خضعت البلاد بكاملها للفاتحين المسلمين حتى كانت كل مدينة أو قرية تحت إمرة حاكم عربي من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار خلال حكم الخلفاء ؟ لا تسعفنا المعلومات المتوفرة في المصادر التاريخية الموجودة حالياً بإجابة شافية عن هذا السؤال، لكن على ضوء دراستنا هذه يستطيع المرء فقط التخمين بأن السكان المحليين لم يكن لهم دور يذكر في تدبير شؤون البلاد أو تطويرها، وعلاوة على ذلك وعلى الرغم من وجود بعض العلماء والدارسين من السكان المحليين، نجدهم قد نشأوا في العراق أو في مكان آخر وليس في بلوتشستان، وبعضهم إن لم يكن معظمهم، لم يذكر بلوتشستان أو مكان سكناهم الأول، ومن أفضل الأمثلة على ذلك عائلة المغُسّم القيقاني التي نشأت وانبثقت من أسرى قيقان (كايكانان)[١].

ولا بد للمرء أن يتعرف على الدور الكبير الذي قامت به القبائل العربية التي كانت تسكن المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، وخاصة بنو عبدالقيس وقبائل من الأزد، إذ كانت أدوارهم فعّالة وهامة في إنجاح الحملات الإسلامية، لقد كانت الأقوام العربية العمانية والبحرينية العمود الفقري الرئيس للجيوش المسلمة العاملة في كامل المنطقة الواقعة شرقي الخليج الفارسي، وما يمكن قوله أن هذه الأقوام كسبت ثقة العديد من الخلفاء لدرجة أنهم أشركوهم في حملاتهم الموجهة إلى كرمان وفارس والمناطق الأخرى مثل صحار العبدي وحكيم بن جبلة والحارث ابن مرة وعبدالله بن سوار وهم في مجملهم من أعيان عبد القيس، وهناك أيضاً راشد بن عمرو الجديدي والمهلب بن أبي صفرة ووداع بن حميد الأزدي وغيرهم من قبيلة الأزد العمانية، ولعل هذا يقودنا إلى الزعم أنه كانت هناك علاقات منتظمة بين السند وشعوب مناطق شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

(١) ابن سعد "الطبقات الكبرى"، جزء٧ (بيروت ١٩٥٨م) ص ٢٣٥ وقاضي أطهر، "العقد الثمين"، ص ٢٢٢ ولنفس الكاتب، "رجال السند والهند"، ص ٦٢ و٦٩ و٨١ و١١٦ و٢٩٨ و٢٣٧.

وأثناء القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي نجد البويهيين وقد لاقوا مقاومة من البلوتشيين والقفص في الجزء الجنوبي من مكران، فقد لقي معز الدولة أثناء دخوله أراضي البلوتشيين والقفص هزيمة مذلة كادت تأتي على حياته. ويبدو لي أن بلوتشي وقفص تلك الأيام كانوا يمثلون الهوية الوطنية لكرمان الجنوبية من خلال مقاومتهم العنيفة للغزاة الديلميين الذين قدموا من جوار بحر قزوين، وكم من مرة بذل البلوتشيون والقفص أرواحهم في سبيل الدفاع عن شعوبهم وبلادهم وحريتهم من أجل صد أي غزو خارجي، وكم من الأفكار الوطنية التي لمعت برؤوس أولئك الرجال الشجعان من أمثال علي بن كلويه المشهور بابن الزنجي وأبي سعيد البلوصي ومحمد بن علي البارزي وغيرهم الكثير، وأكثر من ذلك فإن تلك الوطنية ظلت متأججة إبان سيادة البويهيين وخلال سيادة السلاجقة (٤٣٣ - ٥٨٢هـ / ١٠٤١ - ١١٨٦م) ثم أثناء سيادة الغز عندما أطاح ملك دينار الغزي بالأمير السلجوقي سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م وإبان سيادة العديد من القوى الأخرى، ونتيجة للضغوطات الكبيرة ولعظمة القوى الخارجية التي أثرت في البلوتشيين والقفص فإنه يبدو أن هذه الوطنية قد أصبحت على وشك التلاشي فكانت السبب وراء ترك الكثير من البلوتشيين والقفص لأماكن سكناهم الأصلية والانطلاق في هجرات جماعية كبيرة إلى سيستان ومكران، ومن ثم إلى قصدار وطوران والمناطق الشرقية من بلوتشستان، ولعل تلك الهجرات بدأت في القسم الأخير من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) واستمرت على مدى القرنين التاليين.

وما من شك في أن مكران وقصدار ومجمل المناطق الشرقية من بلوتشستان لفتت انتباه الحكام الأوائل من الأسرة الغزنوية، ومع ذلك فإن سجلاتهم التاريخية لا تحتوي على معلومات وافية حول تلك المناطق، وكل ما تحتويه هو معلومات عن المعدانيين الذين حكموا مكران لفترة زمنية محددة، لكنهم وضعوا أنفسهم تحت سيطرة الغزنويين. ومهما يكن فإن مكران تدخل مرحلة من الغموض والتهميش

بعد فترة حكم السلطان مسعود الأول (٤٢٢-٤٣٢هـ) لمدة قرن ونصف ولا يبقى من معلومات سوى التي تتحدث عرضياً عن قصدار دون أن تأتي على إشارة لأسماء حكامها وتواريخ حكمهم، وقد يكون سبب هذا الإهمال أن معظم المؤرخين كرسوا أنفسهم للحديث عن أعمال ومآثر الملوك والسلاطين وأعيان البلاط دون الالتفات إلى ذكر أعمال تابعيهم وبلدانهم، ولعل هذه النظرة المحدودة جعلت الصورة التي يرسمها المؤرخون غير مكتملة.

ونعلم - حسب بعض المصادر - أن القفص والبلوتشيين كانوا يرعبون المسافرين وكانوا يهددون دروب القوافل التجارية مما شوه صورتهم العامة في التاريخ، وإني على يقين انه ما من شعب بأكمله سيء وعلى العكس من ذلك فإني أعتقد أنه غالباً ما تظهر الجودة من خلال السوء، وقبل أن نحكم على تصرف القفص والبلوتشيين يجب أن نسأل أنفسنا عن العوامل التي كانت وراء معاداتهم لكل ما هو غريب عنهم، فبالنسبة لعامة الشعب قد يكون عامل الجهل هو سبب عاداتهم السيئة، وإلى جانب ذلك يمكن أن تكون طبيعة البلاد القاسية والمتباينة هي التي انعكست سلباً على عادات وشخصية السكان، ومن المؤكد أن الشعوب التي تعيش في كنف المدن هم أكثر وناسة وحضارة وتقدماً من أولئك الذين يعيشون حياة بدوية رعوية أو يعيشون بعيداً عن المراكز الحضارية، وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يكون إهمال السلطات الإدارية المتعاقبة في كرمان آنذاك في تهيئة حياة كريمة لرعاياهم سبباً في ثورة أولئك الأتباع وخروجهم عن الأعراف والتقاليد، فعلى سبيل المثال نعلم من المصادر التاريخية أن ابن إلياس بنى القلاع الضخمة والمنيعة في بَمْ وسيرجان، وكذلك فعل السلاجقة والبويهيون عندما رمموا القلاع القديمة وشيدوا الجديدة وما ذلك إلاّ من أجل تخزين ثرواتهم وكنوزهم وحفظها ضمن تلك القلاع، بينما بالمقابل لم يفعلوا شيئاً لتطوير وتنوير عقول الشعب أو رعاياهم، وبالتالي نشر العلم بينهم، وهكذا بدا أن همّ القادة والأمراء

الوحيد كان تعزيز سلطانهم والحفاظ عليه، وما هي إلا عقود حتى اكتسبت هذه القوات الأجنبية الصيت السيء بتدميرها البلاد ونهبها الخيرات، وها هو المقدسي يتهم البويهيين بإراقة دماء سكان كرمان واغتصاب الأراضي ونشر الدمار في كل عمل يقومون به(١)، وكذلك تبع النموذج ذاته الأمير السلجوقي قاورد في كرمان الذي يروى عنه المكيدة التي نصبها لقتل زعماء البلوتش والقفص مما يشكل وصمة عار تليق به وأمثاله. ولا شك أن هذه الأعمال والمجازر المنافية تماماً للأعراف الإسلامية كانت وراء الثورات العديدة التي قام بها البلوتشيون الأحرار، وهي إنما تعبير عن الرغبة العامة لدى الشعب في البحث عن هويتهم الأصلية.

وأخيراً فإن المقدسي يذكر أن الخوارج كان لهم بعض النفوذ في بَمْ، في المنطقة القريبة جداً من جبل البارز في الأجزاء الجنوبية من دَشْتِ لوط، وهي الأماكن التي كانت ميدان نشاط للقفص والبلوتشيين. ويورد أيضاً وصفاً مرعباً عن القفص الذين يعيشون في الصحراء، والذين يدعون الإسلام مع أنهم أقسى من الترك والبيزنطيين على المسلمين، ونعلم أيضاً أن الخارجين يتصفون بصفات مماثلة، إذ كانت طوائف منهم مما يتلاءم تماماً مع موقف بعض طوائف الخوارج ضد بقية المسلمين. ويبقى السؤال هل كان القفص والبلوتشيون تحت تأثير الخوارج؟ لعل الجواب على هذا السؤال بحاجة للمزيد من الدراسة.

---

(١) "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ص ٢٧٢.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم: طبقات الأطباء، تحقيق: أي. موللر، المجلد الثاني (كوينجز بيرج، ١٢٩٩هـ-١٨٨٢م).

٢) ابن الأثير عز الدين علي بن محمد:

أ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، المجلد الخامس (القاهرة، ١٨٦٣ - ٧٠).

ب) الكامل في التاريخ، المجلد الثالث عشر (بيروت، ١٩٧٩م، ١٩٨٥م).

٣) البلاذري:

أ - أنساب الأشراف، المجلد: الثالث والرابع، تحقيق: عبدالعزيز الدوري وإحسان عباس. (بيروت، ١٣٩٨ - ١٤٠٠هـ/١٩٧٨ - ١٩٨٠م).

ب - فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤) ابن بطوطة: تحفة النظار في عجائب الأمصار (المعروف برحلة ابن بطوطة)، بيروت، (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).

٥) أ) البيهقي خواجه أبو الفضل محمد بن حسين، تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت (القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م).

ب) البيهقي خواجه أبو الفضل محمد بن حسين، تاريخ البيهقي، تحقيق: علي أكبر فياض (مشهد، ١٩٧١م). (باللغة الفارسية).

٦) ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الشيخ الإمام: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، المجلد العاشر (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م - ٤٠).

٧) حبيبي، عبدالحي: تاريخ أفغانستان بعد الإسلام، (طهران، ١٣٦٣هـ / ١٩٨٤ - ١٩٨٥م). (باللغة الفارسية).

٨) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي شهاب الدين أبو الفضل: الإصابة في

تمييز الصحابة، تحقيق: طه محمد الزيني، المجلد الثامن (القاهرة، ١٩٧٠ - ٧٢م).
٩) حسن إبراهيم، وآخرون: النظم الإسلامية، الطبعة الرابعة (القاهرة، ١٩٧٠م).
١٠) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة (القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
١١) الحميدي، سعد بن سعيد: حضارة الدولة الغزنوية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
١٢) الحميري محمد بن عبدالمنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٧٠م).
١٣) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي: معجم البلدان، (طهران، ١٩٧٠م).
١٤) ابن حوقل أبو القاسم النصِّيبي صورة الأرض، تحقيق: إم. جي. دي غويه، الطبعة الثانية (ليدن، ١٩٦٧م).
١٥) ابن خلدون عبدالرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر... الخ. (المعروف باسم تاريخ ابن خلدون) المجلد السابق (بيروت، ١٩٦٧ - ٨).
١٦) ابن خياط، أبو عمر خليفة، المعروف أيضاً بـ "شباب العصفري":

أ) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية (بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

ب) كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بغداد، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م).

١٧) الإدريسي، محمد بن محمد أبو عبدالله الحمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (نابولي، روما، ١٩٧٠م).
١٨) دِهوار، ملك محمد سعيد:

أ) بلوتشستان تاريخ كاروشنى مه (قويته، ١٩٨٥م). (باللغة الأوردوية).

ب) بلوجستان ما قبل تاريخ (قويته، ١٩٧١م). (باللغة الأوردوية).

١٩) الدينوري أحمد بن داود أبو حنيفة : الأخبار الطوال، تحقيق : عبدالمنعم عامر (القاهرة، ١٩٦٠م) .

٢٠) الذهبي محمد بن أحمد الحافظ :

أ) تاريخ الإسلام، المجلد السادس (القاهرة، ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠م) .

ب) العبر في خبر من عبر، المجلد الخامس، تحرير : صلاح الدين المنجد (الكويت، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦م) .

٢١) الرفاعي، أنور : النظم الإسلامية (دمشق، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) .

٢٢) ابن الزبير، الرشيد ، (القاضي) : كتاب الذخائر والتحف، تحقيق : محمد حميد الله (الكويت، ١٩٥٩م) .

٢٣) زكي، محمد أمين : تاريخ الكرد والكردستان، الطبعة الثانية، مجلدان، (١٩٦١م) . بدون مكان نشر .

٢٤) ابن سعد ، محمد : الطبقات الكبرى، المجلد التاسع، بيروت ١٣٧٦ـ ٨٠ / ١٩٥٧ ـ ٦٠) .

٢٥) سلمان، مسعود سعد : ديوان مسعود سعد سلمان، تحقيق : راشد ياسَمِي (طهران، ١٣١٨ / ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠م) . (باللغة الفارسية) .

٢٦) السمعاني، عبدالكريم بن محمد : كتاب الأنساب (لايدن، ١٩١٢م) .

٢٧) سنائي، أبو المجد مجدود ، ديوان سنائي، تحقيق مدرِّس رضوي (طهران، ١٣٢٠هـ / ١٩٤٢م) . (باللغة الفارسية) .

٢٨) سيد عبدالقدوس : أفغانستان وباكستان : دراسة جغرافية سياسية، (لاهور، ١٩٨٢م) . (باللغة الفارسية) .

٢٩) الاصطخري، إبراهيم بن محمد ، أبو إسحاق الفارسي : مسالك الممالك، تحقيق : أم . جي . دي غويه، الطبعة الثانية (لايدن، ١٩٦٧م) .

٣٠) الصولي، محمد بن يحيى، أبو بكر : أخبار الراضي والمتقي، تحقيق : جي

هيورث دوون، (القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

٣١) الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلد العاشر (القاهرة، ١٩٦٠ - ٩).

٣٢) العتبي، أبو نصر محمد: تاريخ اليميني بشرح أحمد بن علي المنيني، مجلدان (القاهرة، ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٠م).

٣٣) ابن العماد عبدالحي الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة، ١٣٥٠ / ١٩٣١ - ٢).

٣٤) أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عمر عماد الدين: تقويم البلدان، تحقيق إم. رينو (باريس، ١٨٤٠).

٣٥) فرمان فرما، فيروز ميرزا، سفرنامه، كرمان وبلوتشستان، بتحقيق، منصوراي نظام مافي (طهران، ١٩٦٣م). (باللغة الفارسية).

٣٦) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم أبو محمد: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثانية (القاهرة، ١٩٦٩م).

٣٧) القرطبي، عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، تحرير: أم. جي. دي غويه (لايدن، ١٩٦٥م).

٣٨) القزويني، زكريا بن محمد بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت)، (د. ت، د. ن).

٣٩) القلقشندي، أحمد بن عبدالله: مآثر الإناقة في معالم الخلافة، تحرير: عبدالستار أحمد فرج، المجلد الثالث، (الكويت، ١٩٨٥م).

٤٠) ابن كثير، إسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية، المجلد الرابع عشر (القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٦٦م).

٤١) الكرديزي، عبدالحي بن الضحاك بن محمد أبو سعيد زين الأخبار، تحقيق: عبدالحي حبيبي (طهران ١٣٦٣هـ/ ١٩٨٤ - ١٩٨٥م). (باللغة الفارسية).

٤٢) كرماني، أحمد بن حامد، أبو حامد، أفضل الدين:

أ) تاريخ أفضل يا بدائع الأزمان في وقائع كِرمان، تحقيق، مهدي بياني (طهران ١٣٢٦/١٩٣٧-١٩٣٨م). (باللغة الفارسية).

ب) عقد العلى للموقف الأعلى، تحقيق: علي محمد عامري (طهران، ١٣١١/ ١٩٣٢-١٩٣٣م). (باللغة الفارسية).

٤٣) كرماني، ناصر الدين منشي: سمطر العلى للحضرة العليا، تحقيق: عباس إقبال، الطبعة الثانية (طهران ١٣٦٢/١٩٨٣-١٩٨٤). (باللغة الفارسية).

٤٤) ابن ماجد، أحمد النجدي: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد، ترجمه إلى الإنجليزية: جي. آر. تِبِتْسْ (لندن، ١٩٧١م).

٤٥) ابن ماكولا، هبة الله علي، الأمير الحافظ، الإكمال، المجلد الأول والسادس (حيدر آباد الدكن، ١٩٦٢-٧).

٤٦) الماوردي، علي بن محمد، أبو الحسن: الأحكام السلطانية، (القاهرة، ١٣٢٧/١٩٠٩).

٤٧) المباركبوري، القاضي أطهر، أبو المعالي:

أ) رجال السند والهند إلى القرن السابع، المجلد الأول والثاني، (القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

ب) العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة التابعيين، الطبعة الثانية، (القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

جـ) الهند في عهد العباسيين، (القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

د) هندوستان مي عربون كي حكومتين، دلهي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٨) محمد بن إبراهيم: تاريخ سلجوقيان كرمان، تحقيق: أم ذا. هوتسما (لايدن، ١٨٨٦). (باللغة الفارسية).

٤٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين:

أ) التنبيه والإشراف، تحقيق: أم.جي. دي غويه، (لايدن،١٨٩٤).

ب) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بيلا، المجلد الخامس، (بيروت، ١٩٦٦ - ١٩٧٤م).

٥٠) مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي: تجارب الأمم، تحقيق: أتش. أف. أميدروز، المجلد الثالث (بغداد، ١٩٧٠م).

٥١) المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبدالله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: أم. جي. دي غُوَيْه، الطبعة الثانية (لايدن، ١٩٦٧م).

٥٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، مؤلف باللغة الفارسية يعود إلى حوالي القرن الرابع الهجري، حققه، وترجمه إلى الإنجليزية وعلّق عليه المستشرق الروسي، فلاديمير مينورسكي، ونشر ضمن سلسلة جب التذكارية (لندن، ١٩٥٤م).

٥٣) مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحرير:أم. جي. دي غويه، بغداد، ١٩٧٠م).

٥٤) الهمداني محمد بن عبدالملك "تكملة تاريخ الطبري"، تحرير: أي واي. كنعان (بيروت ١٩٦١م).

٥٥) اليعقوبي، أحمد بن واضح: تاريخ اليعقوبي، تحرير: أم. ذا. هوتسما، مجلدان (لايدن، ١٨٨٣م).

المراجع الأجنبية:

1. Ahmad, Kazi S., A Geography of Pakistan, 2nd. ed. (Karachi, 1969) .

2. Ahmad,S.M.,India and its Neighbouring Territories (Leiden,1960) .

3. Arrian , The campaigns of Alexander, tr. A. de Selincourt. (Harmondsworth, 1966).

4. Atlas for pakistan, ed. Ferozsons (Lahore, 1986).

5. awan, a.b., Baluchistan: Historical and Political Processes. (London, 1985).

6. Balfour, Edward, The Cyclopedia of India and of Eastern andSouthern Asia vol. 1, repr. (Graz, 1967).

7. Baluch, Mir Khuda Bakhsh Bijarani Mari, Searchlights on Baloches and Balochistan (Karachi, 1974).

8. Baluch, Muhammad Sardar Khan, The Great Baluch: Life and Times of Amir chakar Rind, 1454 - 1551 A.D. (Quetta, 1965).

9. Idem, History of Baluch Race and Baluchistan, 3rd. ed. (Quetta, 1984).

10. Idem, Literary History of the Baluchis, 3rd. vol. (Quetta, 1977 - 84).

11. Baluchistan District Gazetteer series, ed. R. Hughes - Buller. all 8 vols. (Bombay, Allahabad, Karachi, Ajmer, 1905 - 8).

12. Barthold, w., An Historical Geography of Iran, tr. S. Soucek, ed. C.E. Bosworth (Princeton, 1984).

13. Bartholomew, J., World Travel Map: Iran (Edinburgh, 1977).

14. Basham, A.L., The Wonder that was India, 3rd ed. (London, 1985).

15. Bazmee ansari, "Djat", EI 2nd., vol. 1 l, p. 488.

16. Bellow, H.W., Afhanistan and the Afghans. Being a Brief Review of the History of the Country and Account of its People, repr. (Lahore, 1979).

17. Belyaev, E.A., Arabs, Islam, And the Arab Caliphate, tr. A. Gourevitch (London, 1969).

18. Black, C.E.D., "Baluchistan and its Possibilitis, " ARQR, vol. XX, no. 39 - 40 (1905) p. 10 - 18.

19. Bosworth, C.E., The Ghaznavids: their Empire in Afghanistan and Eastern Iran 994 - 1040 2nd ed. (Beirut, 1973).

20. Idem, "Kalat", E1 2nd. vol. IV, p. 101f.

21. Idem, "Las Bela" El 2nd. vol. V, p684.

22. Idem, "Makran, El 2nd. vol. VI, p. 193f.

23. Idem., The Later Ghaznavids: Splendour and Decay, the Dynasty in Afghanistan and Northern India. 1040 - 1186 (Edinburgh, 1977).

24. Idem, Sistan under the Arabs. From the Islamic Conquest to the Rise of the saffarids (30 - 250/651) (Rome, 1968).

25. Brice, William C., An Historical Atlas of Islam (Leiden, 1981).

26. Idem, A Systematic Regional Geography, vol. VIII: South - West Asia (London, 1966).

27. Brocklmann, Carl, History of the Islamic Peoples, tr. J. Carmichael & M. Perlmann (New York, 1947).

28. Cambridge history of inda, 6vols. (Cambridge, 1922 - 53).

29. Cambridge History Iran6vols. (1968 - 86).

30. Cotton, J.S. " Djat " , EI 1st. vol. I, p. 1025 .

31. Cottrell, Alvin J. (ed.), The Persian Gulf States: a General Survey (Baltimore, 1981).

32. Crooke, W., Natives of Northern India (London, 1907).

33. Cunningham, Alexander, Ancient Geography of India, repr. (Varanasi, 1963).

34. Curzon, George N., Persia and the Persian Question, 2 vols. 2nd. imp. (London, 1966).

35. Dales, G.F., "Harappan Outposts on the Makran Coast," Antiquity Journal, vol. XXXVI (1962) p. 86 - 92.

36. De Cadi, B., "Excavation at Bumpur, South East Iran: a Brief Report," Iran: JBIPS, vol. VI (1968) p. 135 - 157

37. Idem , " A New Prehistoric Ware From Pakistan , " Iraq (1951) p. 63-75.

38. De Goeje , M.J. (ed) , Bibliotheca Geographorum Araicorum , vol.IV : Indices , Glossarium et Addenda et Emendanda ad part I_Ill , 2nd ed . (Leiden , 1967)

39. Dessau, G ., " Rock Engravings (Graffiti) from Iranian Baluchistan , "EW , vol.Xl, no . 4 (1961) p.258 - 266.

40. Duka , Theodore , " An Essay on the Brahui Grammar of the Late Dr . Trummpp , of Munich University , " Jras , vol . XIX (1887) p. 59-65.

41. Dupree , Louis , Afghanistan (Princeton, ,1973).

42. Elliot , H.N.& Dowson , J ., History of India as told by its own Historians , 8vols, rep. (Allahabad , Bombay , Delhi , n.d.).

43. Fathnamah -I- Sind : a Persian Translation from the lost Arabic Original by Ali Ibn Hamid al-Kufi , ed. N.A Baluch (Islamabad , 1403/1983).

44. Fathnamah -I- Sind, The Chachnamah : an English Translation from the Persian Book Known as Fathnamah -I- Sind or the Chachnamah , by Mirza Kalichbeg Fredunbeg , repr . (Lahore , 1985).

45. Ferishtah , Muhammad Qasim , Tarikh -I- Ferishta, being translated into English under the Title of History of the Rise of the Mahomedan Power in India till the Year

A.D. 1612 by John Briggs , 3 vol. , repr . (Calcutta , 1966).

46. Ferrand , Gabriel , "Zott" , El 1 , vol . IV, p . 1235.
47. Floyer , Ernest Aysoghe , Unexplored Baluchistan : a Survey with Observations Astrononical , Geographical . Botanical . etc. , repr . (Qquetta , 1977)
48. Frye , Richard N ., "Balucistan " El 2nd. vol .1, p. 1005ff .
49. Idem , The Heritage of Persia , 2nd . ed . (London , 1976).
50. Idem , Iran : a Concise . Authoritative Handbook of Iran and its Position , 2en . ed. (London , 1960).
51. Idem , ' Remarks on Baluchi History , " CAJ, vol. Vl (1961) p . 44- 50.
52. Gabreli , Francesco , " Muhammad ibn Qasim ath - Thaqafi and the Arab Conquest of sind , " EW ,vol.XV , no .3 & 4 (1965) p . 281 -295.
53. Gershevitch , I ., " Travels in Bashkardia , " JRCAS , vol. XLVI (1959) p 131- 225.
54. Gita Shenassi , Map of Islamic Republic of Iran (Tehran , 1985).
55. Grant , N.P , " Journal of a Route through the Western Part of Makran , " JRAS , vol . V (1839) p . 328 - 342.
56. Haig , M . R ., " Ancient and Mediaeval Makran , GJ , vol. VII (1896) p. 668 - 674.
57. Haig , T . W ., " Makran " , El 1st. vol. 111, p. 175.
58. Hansman , John , " A Periplus of Magan and Melukhkha , " BSOAS , vol . XXXVI (1973) p. 554-587.
59. Havikes, Jacquetta, The Atlas of Early Man, assisted by D. Trump (London, 1976).
60. Herzfeld , Ernst , The Persian Empire : Studies in Geography and Ethnography of the Ancient Near East , repr . (Wiesbaden , 1968).
61. Hitti , P .K ., History of the Arabs from the Earliest Times to the Present , 10th ed . (London , 1970).
62. Holdich , T .H ., The Gates of India (London , 1910)
63. Idem, " Notes on Ancient and Mediaeval Makran , GJ" vol .VII (Jan - June , 1896) p. 387 - 405.
64. Idem , " The Perso - Baluch Boundary , " GJ vol LX (1897) p. 416-420.
65. Idem " A Retreat from India , " JUSI , vol .XXXIII (1894) p. 112 - 128.
66. Hrozny , Bedrich , Ancient History of Western Asia . India and Crete , tr . J. Prochazka (Prague , 1954).

67. Hudud AL-Calam: the Regions of the World, tr. & ed. V. Minorsky (London , 1937)

68. Hughes , A .W ., The Country of Baluchiatan : Its Geography . Topography . Ethnology , and History (London , 1877).

69. Imperial Gazetteer of India , W. W. Hunter , 9 vols .(London , 1881).

70. Idem , new ed ., 25 vols (Oxford , 1907).

71. Johnson , B . L . C ., Pakistan (London , 1979).

72. al-Juzjani , Minhaj al-Din ibn Siraj al-Din abu Umer Uthrnan al - Qadi , Tabaqat -i-Nasiri, an English trans. by H .G. Raverty, repr., 2nd vol. (New Dilhi, 1970).

73. Kramer , S.N ., " Delmun-Quest of Paradise , " Antiquity vol .XXXVII (1963) p.111-115.

74. Kureshy , K .U ., A Geography of Pakistan , 4th ed . (Karachi , 1978).

75. Lamberg-Karlovsky , c.c. & Humphries , James , " Cairn Burials of South - Eastern Iran , " EW vol . XVIII , no 3-4 (Sept . - Dec. 1968) p . 269-276.

76. Lamberg - Karlovsky , 0.0., " Mesopotamia and the Indo - Iranian Borderlands , " Iran : JBIPS , vol .X (1972) p . 98-101.

77. Lambrick , H .T ., Sind : a General Introduction (Hyderabad , Pakistan , 1964)

78. Leech , Robert , " Notes taken on a Tour through Parts of Baluchistan in 1838 and 1839 by Hajee Abd -al-nabi of Kabul , " Journal of the Royal Asiatic Society of Bengal , voj .. XIII (2) (1844) p.667 -826.

79. Leemans , W .,Foreign Trade in the Old Babylonian Period (Leiden, 1960).

80. Idem " Trade Relations of Babylonia , JESHO , vol .111 (1960) p. 21-37 .

81. Longworth - Dames , M ., The Baloch Race : an Historical and Ethnological sketch (London , 1904).

82. Idem , " Balocistan " , EI 1st, vol . I , p . 625-640.

83. Lorimer , J .G , Gazetteer of the Persian Gulf , Oman and Central Arabia , repr ., 2 vols (Farnbrough , 1970).

84. Idem , Dalil al - khalij Arab . tran . of the above . 14 vols . (Doha , c . 1975).

85. Maccrindle, John W., Ancient India as in Classical Literature (London, 1971).

86. Idem, The Invasion of India by Alexander the Great as described by Arrian. Q. Curtius. Etc., repr. (London, 1969).

87. Mcgregor, Charles Metcalfe, Wanderings in Balochistan (London, 1892).

88. Macmahon, A.H., "The Southern Borderlands of Afghanistan,"GJ, vol. XC (1897) p.393 - 415.

89. Magnus, Ralph H. (ed.), Afghan Alternative: Issues. Options and Policies (New Brunswick, 1985).

90. Majumdsr, N.G., Explorations in Sind. Being a Report of the Years 1927-28. 1929 - 30 and 1930 - 31, Memoirs of the Archaeological Survey of India, vol. XL VIII (Delhi, 1934).

91. Majumdar, R.C. (ed.), The History and Culture of The India People, vol. l, 1 l: The Vedic Age (London, 1952 - 5).

92. Marquart, J., A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr: Pahlavi Text Version and Commentary (Roma, 1931).

93. Masson, Charles, Narrative on Various Journeys in Baluchistan Afghanistan and the Punjab, vol. l - Ill, repr. (Karachi, 1974).

94. Miles, 6.3., The Countries and Tribes of the Persian Gulf (London, 1966); 2nd ed. (London, 1919).

95. Minorsky, V., "Turan", El 1st. vol. 1 1 l, p. 878.

96. Mockler, E., "On Identification of Places on the Makran Coast mentioned by Arrian, Ptolemy, and Marcian," JRAS, vol.XI (1879) p. 135 - 154.

97. Idem "On Ruins in Makran," JRAS vol.. IX, pt.ii (April 1877) p. 121 - 134.

98. Nazim, Muhammad, The Life and Times of Sultan Mahrnud of Ghazna, 2nd imp. (London, 1973).

99. Piperno, Marcello, "Upper Palaeolithic Caves in Southern Iran: Preliminary Report," EW, vol. XXIV, no. l - 2 (March - June 1974) p. 9 - 13.

100. Potiinger, Henry, Travels in Beloochistan and Sinde. Accompanied by a Geographical and Historical Account on those Countries, repr. (Farnborough, 1972).

101. Raikes, Robert L., "The Ancient Gabrband of Baluchistan," EW, vol. XV', no. l - 2 (Jan.- March 1964) p. 26 - 35.

102. Idem "New Prehistoric Bichrome Ware from the Plains of Baluchistan (West Pakistan)," EW vol. XIV (1969) p. 56 - 68.

103. Raverty, Henry George, Notes on Afghanistan and Beluchistan, repr. (Lahore, 1976).

104. Rawlinson, G., Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World, vol. 11 (London, 1864).

105. Rentz, G. & Mulligan, W.E., "Bahrain", EI 2nd. vol. I, p. 941.

106. Sarkar, S. S., Ancient Races of Baluchistan. Panjab . and sind (Karachi , 1981).

107. Sarma , Akkaraju , ' Decline of Harappan Culture : a Relook , " EW , vol . XXVII , no . 1- 4 (Dec .1977) p. 321-331.

108. Schindler , A .H ., " Notes on Parsian Baluchistan , " JRAS , vol. IX (1876 - 7) p. 147-154.

109. Schmidt , E ., Excavations at Tepe Hissar Damighan (Philadelphia , 1937).

110. Skrine , C .P ., " The Highlands of Persian Balgchietan , " GJ , vol . LXXVIII , no. 4 (Oct . 1931) p. 321-340.

111. Smith, Vincent A., The Early History of India from 600 B.C . to the Muhammadan Conquest including the Invasion of Alexander the Great (Oxford , 1924).

112. Idem , The Oxford History of India . from the Earliest Times to the End of 1911 , 2nd imp . (Oxford , 1928).

113. Spooner , Brian , " Kuch u Baluch and Ichthyophagoi , " Iran : JBIPS , vol . 11 (1964) p. 53-67.

114. Stein , Aurel , Archaeological Reconnaissance in North Western India and South Eastern Iran (London , 1937).

115. Idem , " Archaeological Reconnaissance in South East Persia , " vol . LXXXIII (1934) p . 120-134.

116. Idem , An archaeological Tour into Gedrosia , Memoirs of the Archaeological Survey of India , vol .XLIII (Delhi , 1931).

117. Idem , " On Alexander's Route into Gedrosia : an Archological Tour in Las Bela ," GJ vol.011 , no .5-6 (Nov. -Dec . 1943) p. 193-227.

118. Sykes , P .M ., History of Persia , 2 vols .(London , 1915 -21) .

119. Idem" Southern Persia and Baluchistan, " Liverpool Geographical Society Transactions (1902) p. 69-78.

120. Idem , Ten Thousand Miles in Persia or Eight Years in Iran (London , 1902).

121. Tate , G .P ., The Frontiers of Baluchistan : Travels on the Border of Persia and Afghanistan , repr . (London , 1976).

122. Idem , Seiatan : a Memoir on the History . Topography . Ruins. And People of the Country , repr . (Quetta , 1979).

123. Thompson , R .C ., A Dictionary of Assyrian Botany (london , 1949).

124. Tosi , Maurizio , " Barmpur : the Proplem of Isolation , " EW , vol .XXIV , no . 1-2 (March - June 1974) p. 29-49.

125. Idem " A Tomb from Damin and the Problem of Bampur Sequence in the Third Millennium B .C ., " EW , vol.XX , no .1-2 (1970) p .9-50.

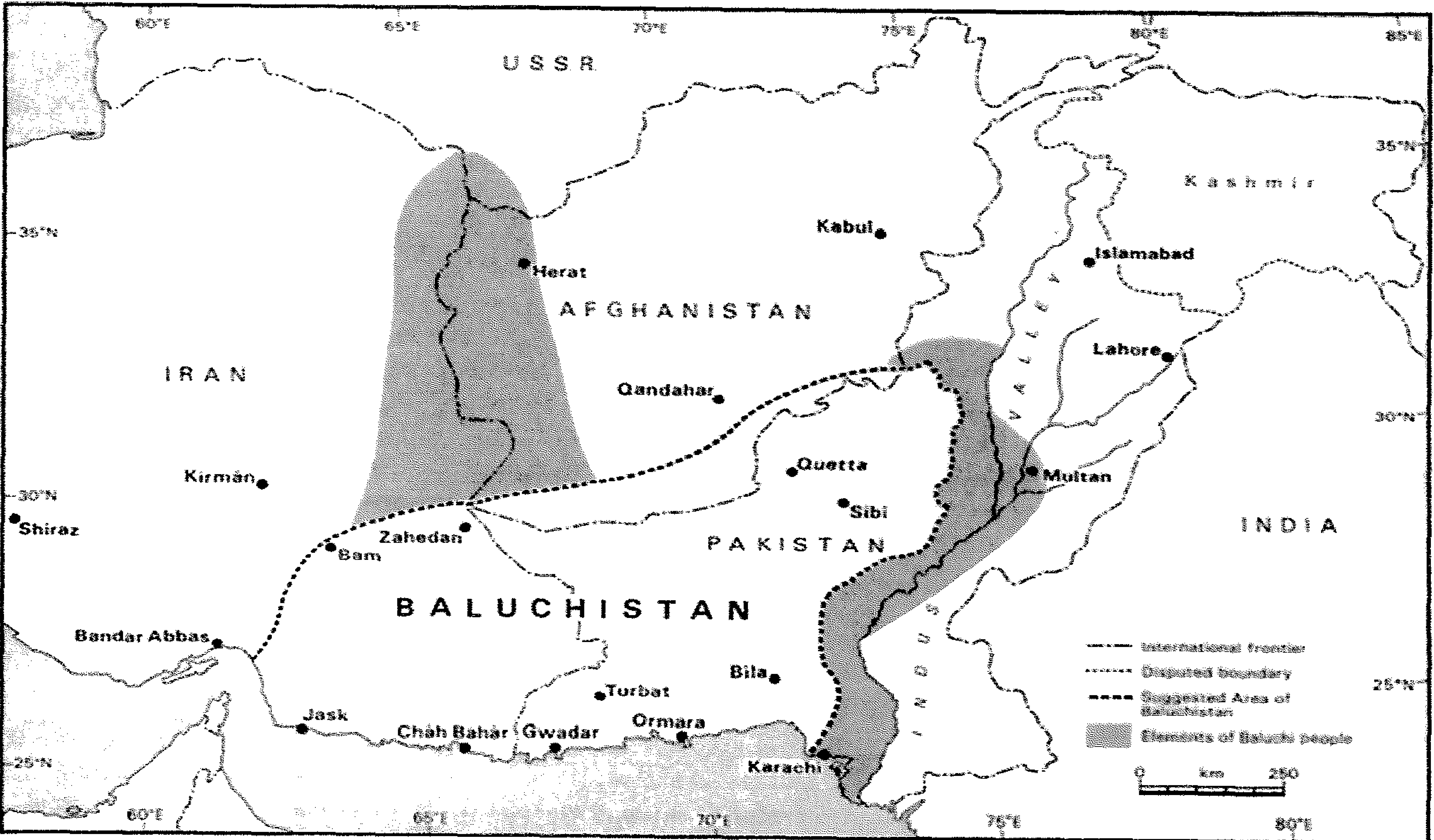
126. Toynbee Arnold J ., From Oxus to Jumna (London, 1963).

127. Wheeler, Mortimer, The Indus Civilization (Cambridge, 1968).

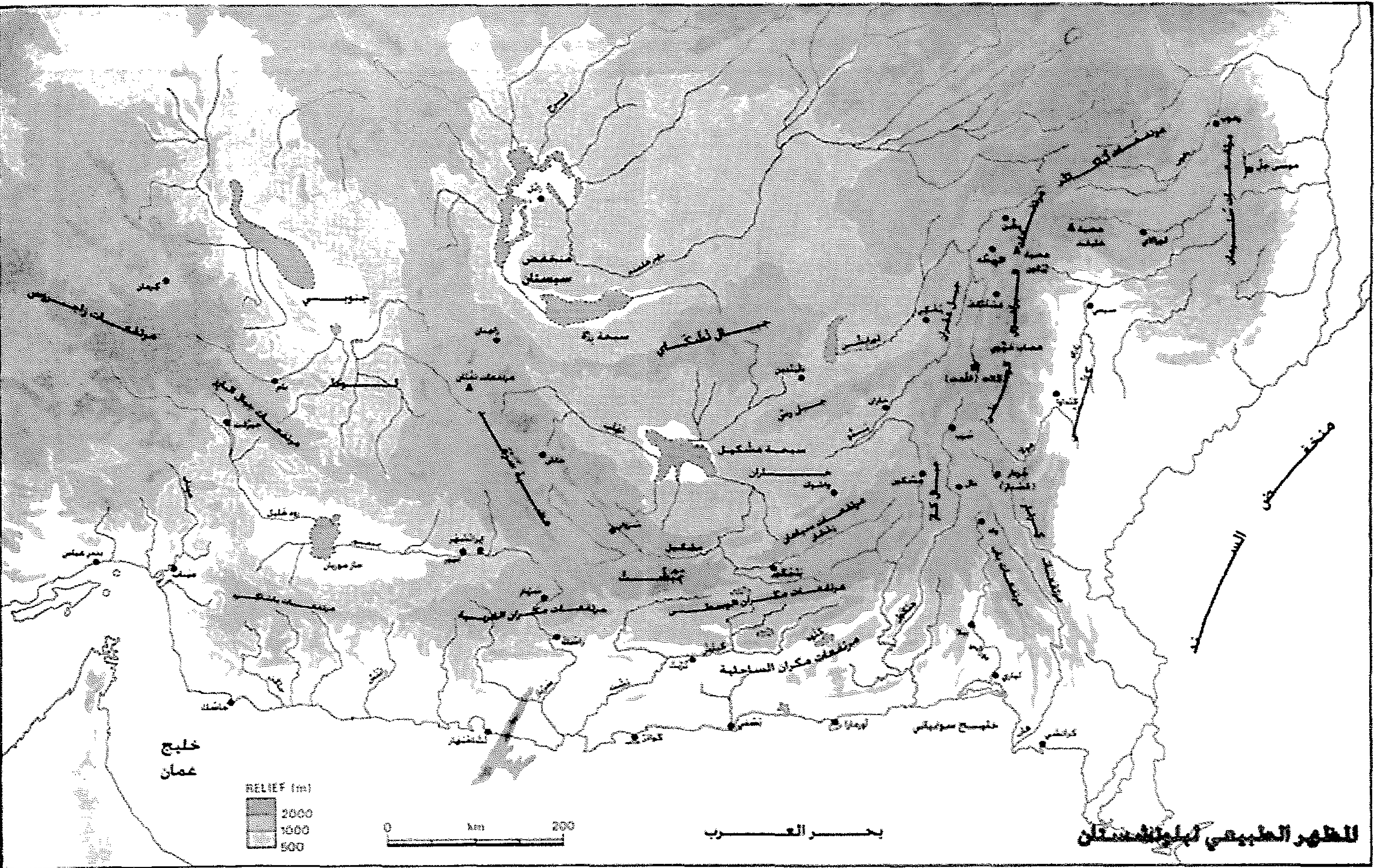
128. Wilber, N . Donald, Afghanistan : its People, its Society. its Culture (New Haven, 1962).

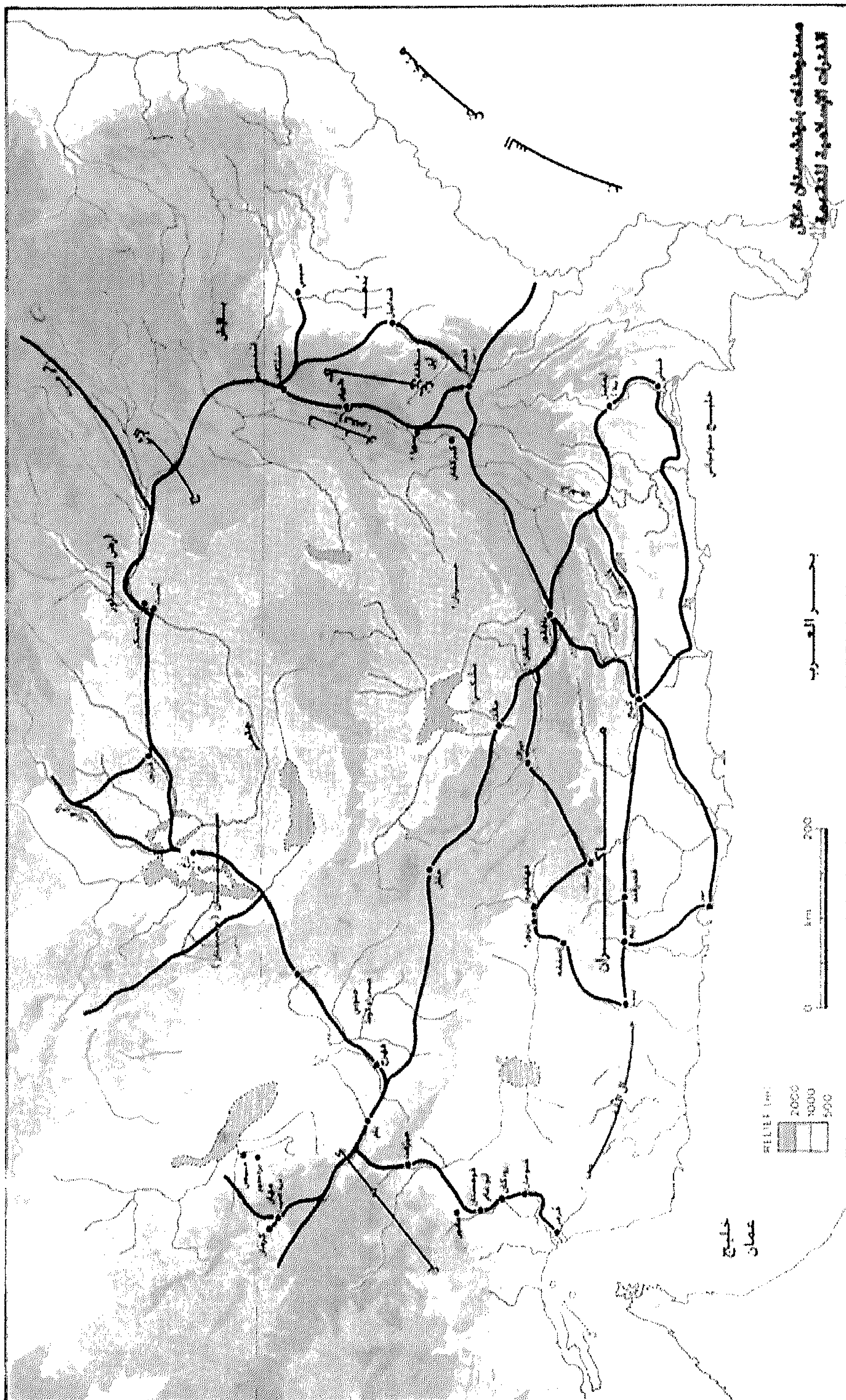
129. Wilson, Arnold T ., The Persian Gulf: an Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Centuery , 3rd imp . (London , 1959).

الكشاف العام



Map 1. The general position of Balūchistān


المظهر الطبيعي لبلوشستان
خليج
عمان
بحر العرب
منخفض سيستان
سبخة مشكيل
مرتفعات مكران الساحلية
كراتشي
RELIEF (m)
2000
1000
500
0
km
200


بحر العرب
خليج عمان



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

الدكتور سعد بن سعيد الحميدي

أستاذ مشارك بقسم التاريخ بجامعة الملك خالد بأبها.

دكتوراه الفلسفة في التاريخ من قسم دراسات الشرق الأوسط، جامعة الملكة فيكتوريا بمانتشستر في المملكة المتحدة.

- عضو مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية ١٤٢٩هـ إلى الآن.
- عميد شؤون المكتبات جامعة الملك خالد سابقاً.
- عضو الهيئة الاستشارية، جامعة الملك خالد ١٤٢٠-١٤٢٢هـ.

من بحوثه ودراساته المنشورة:

١ - قضية القدس في مناهج التعليم العام والجامعي بالمملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج العربية، مكتب التربية لدول الخليج العربي، ١٤٢٣هـ.

٢- "مكانة السيوطي بين مؤرخي عصره" ضمن ندوة السيوطي بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته، في رحاب جامعة مؤتة، ربيع الثاني ١٤١٤هـ.

٣- عرب عمان ودورهم في أحداث ثغر الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين.



ردمك: ٦-١٧-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨